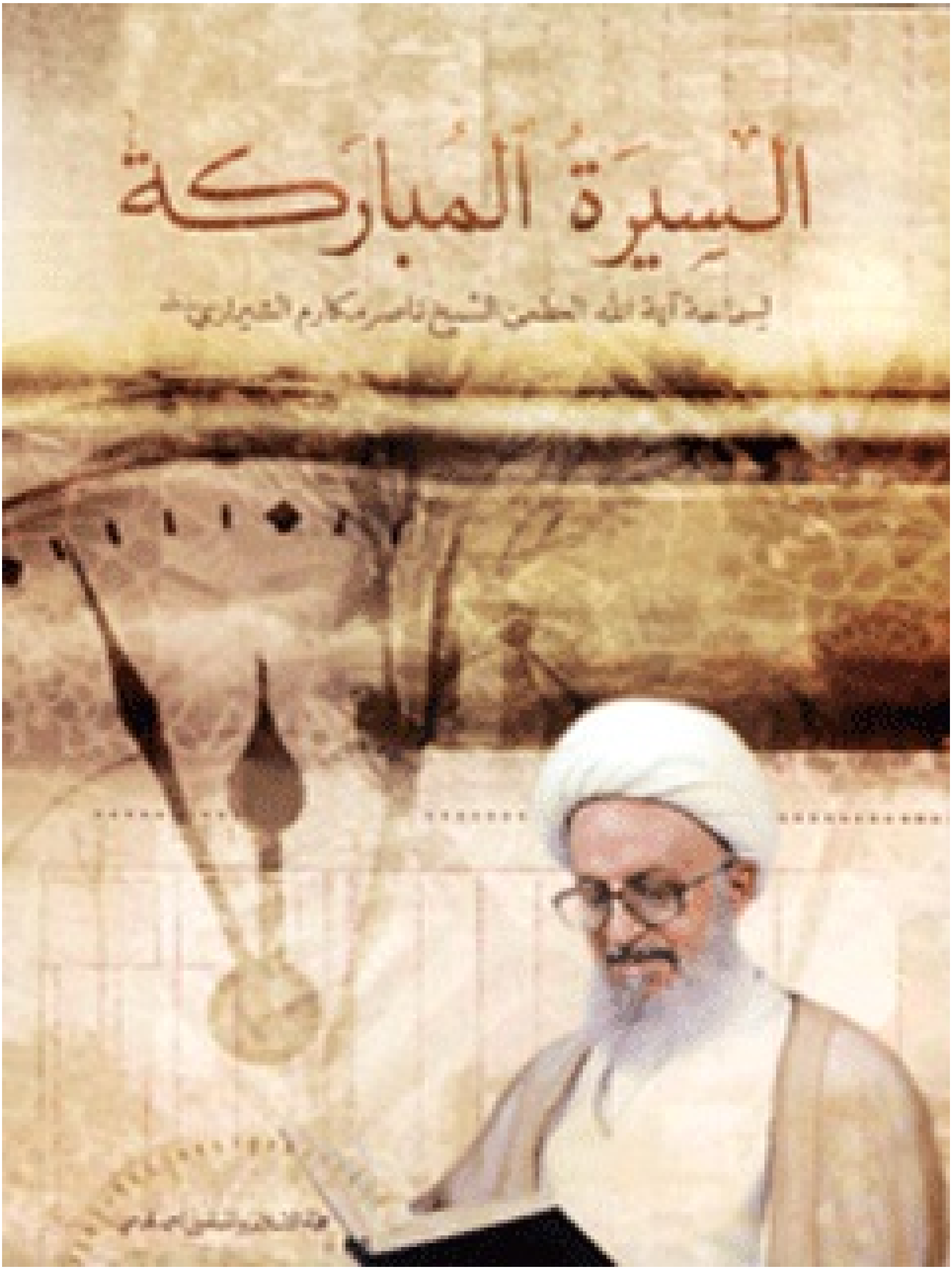

السيرة المباركة
لسماحة آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحیم

السیرهٔ المبارکهٔ

کاتب:

احمد قدسی

نشرت فی الطباعهٔ:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (ع)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

السیرة المبارکة

اشارة

سرشناسه : قدسی احمد عنوان و نام پدیدآور : السیرهالمبارکه لسماحه آیهاللهالعظمیالشیخ ناصر مکارمالشیرازی (مدظله احمد قدسی مشخصات نشر : قم مدرسهالامامعلیبنابیطالب (ع ۱۳۸۴. مشخصات ظاهری : ۳۱۰،[۲۶]ص. تصویر(رنگی). شابک : ۱۲۰۰۰ ریال ۹۶۴-۸۱۳۹-۸۵-۷ یادداشت : عربی یادداشت : پشت جلد به انگلیسی: The biography of Ayatollah al- ozma Makarem Shirazi. یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس موضوع : مکارم شیرازی ناصر، ۱۳۰۵ - موضوع : مجتهدان و علما -- سرگذشتنامه شناسه افزوده : مدرسة الامام علی بن ابی طالب (ع) رده بندی کنگره : BP۱۵۳/۵/م۷۳ ق۴ ۱۳۸۴ رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۹۸ شماره کتابشناسی ملی : م۸۴-۲۵۹۸۵

التعرّف أکثر علی شخصیة معروفة

الحمد للّهالذی فتح أبواب العلم والمعرفة علی الإنسان وجعله فی أسمی مراتب الخلقة بأدوات العلم بالأسماء: «عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ» «۱» ، وجعل فی فطرته وهویته القابلیة والاستعداد لتقبل مقام الخلافة الإلهیّة ولیکون فی مرتبة أسمی من الملائکة بحیث حظی بسجود الملائکة، وخلق فیه القدرة علی استخدام القلم: «الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ یَعْلَمْ» «۲» و «عَلَّمَهُ الْبَیَانَ» «۳» ومهّد له الطریق للسیر فی خط التکامل المعنوی والانفتاح علی اللّه تعالی. والصلاة والسلام علی أنبیاء اللّه ورسله إلی عباده والهداة إلی طریقه لا من خلال فرض الهدایة الإلهیّة علی الإنسان بل لیثیروا فیهم دوافع الخیر ویحرکوا فیهم عناصر الصلاح «ویثیروا لهم دفائن العقول» «۴» ، وخاصة علی الصادر الأول والتجلی الأکمل وغایة الإنسان الکامل الذی یمثل الشاهد علی جمیع الأنبیاء والامم: «فَکَیْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ کُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِیدٍ وَجِئْنَا بِکَ عَلَی هَؤُلَآءِ شَهِیداً» «۵» ، (آدم ومن دونه تحت لوائی یوم القیامة) «۶»، وعلی أهل بیته الطیبین الطاهرین الذین یمثلون مظهر جمیع الأسماء الحسنی التی ظهرت من مخزن الغیب المطلق إلی منصة الظهور والشهود (نحن واللّه الأسماء الحسنی) «۷»، فکانوا مصدر ومهبط الإرادة الإلهیّة فی جمیع الامور ومقدّرات: «إرادَةُ الرَّبِّ فی مَقادیرِ أُمُورِهِ تَهْبِطُ إِلَیْکُمْ وَتَخْرُجُ مِنْ السیرة المبارکة، ص: ۶ بُیُوتِکُمْ «۱»- قُلُوبُنا أوْعِیَةٌ لِمَشِیَّةِ اللّهِ» «۲». وسلام اللّه ورحمته ومغفرته وصلوات النبی والملائکة واستغفارهم علی أتباع مدرسة أهل البیت علیهم السلام وطلاب علومهم الذین تربوا فی مدرسة أهل البیت علیهم السلام والذین حملوا مشعل الهدایة طیلة تاریخ التشیع الدامی ورفعوا لواء الحق عالیاً مع شدّة الضغوط والتحدیات الصعبة. هؤلاء الأشخاص هم الذین نالوا وسام الفخر بأنّ «مدادهم الهادی» إلی سواء السبیل أفضل من تاج کرامة الشهادة «أفضل من دماء الشّهداء» «۳» ، حیث حفظوا ببیانهم وأقلامهم متراس الدین وحرسوا موقع الاجتهاد والتفقّه فی مقابل هجمات التیارات الفکریة المعادیة. ونشکر اللّه تعالی أن یوفقنا للتناول من مائدة کرمه وفضله ویرزقنا من علوم هذه الشخصیات الکبیرة التی تتسم فی نظرة کلیة بأنّها: ۱- شخصیات کبیرة نهلت من الشجرة الطیبة لحوزات العلوم الإسلامیة والمدرسة الجعفریة التی «أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِی السَّمَآءِ* تُؤْتِی أُکُلَهَا کُلَّ حِینٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا» «۴». ۲- أنّ هؤلاء قد تمحضوا فی الإیمان والتحرک فی خط المسؤولیة ومن أجل اعلاء کلمة الحق طیلة تاریخ التشیع، ولم یبالوا بتحدیات وهجمات أهل الدنیا وضغوط الطواغیت وتکفیر المتحجرین، بل تحرکوا بصورة جدّیّة فی خط تبلیغ حقائق الدین ونشر معارف أهل البیت علیهم السلام، وعملوا علی حفظ وحراسة القیم الدینیة والدفاع عن نوامیس التشیع السیرة المبارکة، ص: ۷ وموازین الشریعة المحمدیة بألسنتهم وأقلامهم «۱». ۳- هؤلاء الفقهاء والعلماء الذین اهتموا بالدفاع عن حدود العقیدة من موقع الدلیل والعقل وجاهدوا قوی الانحراف بأداة البرهان والقرآن «۲». ۴- هؤلاء المفکّرون الذین لم یکتفوا بکسب العلوم والمعارف المتداولة فی الحوزات العلمیة فحسب، بل تحرکوا علی مستوی اکتشاف أبعاد جدیدة بأداة الاجتهاد المتحرک واستفادوا من العلوم الجدیدة أیضاً

ولم يجمدوا حركتهم فى بُعد واحد من أبعاد الدين ويغفلوا عن سائر الابعاد الاخرى «۳». ۵- المحققون الذين لم يحترقوا فى تنور ضعف الهِمّة ولم يدفنوا أنفسهم تحت غبار السيرة المباركة، ص: ۸ التساهل والاهمال فى أمر الدين وطلب العلم. ۶- المصلحون الذين عاشوا يقظة القلب فى صحراء الكسل وعصر الظلم واستيلاء الطاغوت، وعملوا على ايقاظ النائمين فى ليالى الديجور الغارقة فى ظلمات الجهل والعصبية ونفخوا فى مجتمعاتهم نسيم الأمل والثبات والاطمئنان. ۷- المصلحون الذين علموا بأنّ ايجاد المجتمع الدينى وتشكل الحكومة الإلهيّة يعتبران من أوائل تكاليف العلماء، وهدفهم تجسيد الأحكام والمعارف الإسلامية فى مفاصل المجتمع البشرى، وهكذا عاشوا نور الأمل بمستقبل زاهر للمسلمين والامة الإسلامية «۱». ۸- السالكون فى خط العلم والمتبحرون فى ميدان الفكر الذين فى عين اشتغالهم بطلب الاسرار الإلهيّة وانتشال الرموز الفرقانية فإنّهم يتصدرون مجالس الإجابة عن أسئلة الناس ورفع حاجات المجتمع الإسلامى المعنوية، الذين حملوا رسالة استنباط الأحكام الدينية وتبيين الثقافة الدينية العامة بحضورهم المتواصل فى المجامع العلمية والحوزوية على أساس من التشكيلة المنسجمة والهادفة، وأعلنوا استعدادهم للإجابة عن الشبهات وعلامات الاستفهام لأفراد المجتمع بحيث جعلت منهم هذه الخصوصية علماء من الطراز الأول. السيرة المباركة، ص: ۹ ۹- الصالحون الذين نالوا مقامات سامية فى دائرة العلوم الدينية والمراتب الدراسية فى الحوزة العلمية ولكنّهم مع ذلك لم يروا فى هذه المقامات والمناصب سوى أداة ووسيلة لخدمة الدين والمذهب ولم يبيعوا الدرجات المعنوية والمثوبات الاخروية التى وعدوا بها فى قبال خدماتهم العلمية فى دائرة القلم والبيان بحطام الدنيا ومتاعها القليل وعناوينها الزائفة. ۱۰- وأخيراً فهؤلاء الاساطين فى علم الفقه الذين رفضوا حالة الجمود والكسل فى حياتهم ومعيشتهم وتحركوا بجدّ واستمرار (حيث إنّهم بعد مضى ستين، سبعين سنة من عمرهم المبارك كانوا يتحركون فى طلب العلم والتعليم بمقدار مضاعف) معرفتهم بمقتضيات الزمان ومتطلبات العصر ومع اتصافهم بحسن الذوق وعلو الهمة وسعة الافق الذهنى وعدم الاعوجاج فى الخط الفكرى المزاجى ودقّة النظم فى حياتهم وثورة الإيمان فى قلوبهم مع اعتمادهم على الشعور العقلانى فى البيان والقول، والعزم الراسخ والروح القوية، حيث نسجوا شخصياتهم الفذة بهذه السمات والابعاد الإنسانية. ربّنا، نسألك وأنت مبدأ الكمالات فى عالم الوجود أن تمنحنا اليقظة وشرح الصدر وتزيل عنّا حجب الغفلة لكى لا تحجبنا عثراتهم عن رؤية سيمائهم النيّرة ولا تبعدنا أخطاؤهم عن الاستمداد من كوكب حكمتهم «فإنّه لا حكيم إلّاذو عثرة» «۱». نسألك اللّهم أن تمنحنا الوفاء والأدب لكى لا نستخدم أقلامنا وبياننا ضد من علّمونا الحكمة والكلام، ولكى لا نصرف همّنا فى اجهاض حركتهم البنّاءة فى سبيل خدمة الدين السيرة المباركة، ص: ۱۰ وتقوية أركان المذهب كما يقول أمير البيان (صوات اللّه عليه): «لا تجعلنّ ذرب لسانك على من أنطقك وبلاغة قولك على من سدّدك» «۱». ونأمل أن لا يمنعنا حجاب المعاصرة الجاهلى من معرفة هذه الشخصيات المرموقة التى تفتخر بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام وأن لا نكون من الذين لا يكتبون عن هذه النجوم الزاهرة فى سماء المعرفة ولا يشرحون سيرتهم للناس إلّابعد افولهم وتوسدهم الثرى. وكذلك نأمل ونسأل اللَّه تعالى أن يرزقنا طول العمر لكسب العبرة والاعتبار فى مشاهدة عاقبة الأشخاص الذين تحركوا فى مقابل هذه الشخصيات الكبيرة من موقع الخصومة والعناد وسخّروا أقلامهم ضد من وضع حياته على طبق الاخلاص فى خدمة الدين والدفاع عن التشيع حتى أنّه لقّب (بشيخ المؤلفين) أو (شيخ القلم) فى العصر الحاضر «۲». السيرة المباركة، ص: ۱۱ نعم، فإنّ الاستاذ الكبير الذى سنتعرف عليه فى هذا الكتاب يعتبر حلقة من هذه السلسلة الطيبة وكوكباً من هذه المنظومة الزاهرة. إنّ ما يميز هذه الشخصية وبقية السلف عن سائر الشخصيات الدينية المرموقة أنّه يعدّ عالماً جامعاً لجميع المكارم والخصال الحميدة التى تجذب الناظر إليها كما سنشير إلى ذلك فى الفصول اللاحقة. وفى الختام نود أن نتقدم بجزيل الشكر إلى العالم والمحقق والأخ العزيز حجة الإسلام والمسلمين سعيد الداودى (دام عزّه) حيث إنّه رفدنا بالكثير من الهوامش النافعة فى هذا الكتاب ونرجو أن يتقبل اللَّه تعالى منه هذا العمل ويجعل ما نبذله من جهد بعنوان (حق الأُستاذية)، ... وفّقنا اللَّه لصالح ما يرضاه الحوزة العلميّة قم المقدّسة- ربيع ۱۴۲۲ ه‍ ق أحمد القدسى. السيرة المباركة، ص: ۱۳

۱ الاصالة العائلية وسلامة المحيط الاسرى

لا يخفى على كل إنسان ما لـدور الأصالـة الأُسـريّة وكرامـة الاسـرة في حركـة الإنسان نحو خط الكمال المعنوى والابتعاد عن الرذائل النفسانية والأخلاقية، وكذلك لا يمكن انكار دور سلامة المحيط الأُسرى فى ابتعاد الإنسان عن الذنوب وعناصر الانحراف واللامبالاة، وبالتالى تأثيرها فى ترشـيد حركة الإنسان وسـعادته، هذه السـلامة وتلك الاصالة وإن لم تكونا علّة تامة لنيل الموفقية فى حركة الحياة إلّاأنّ تأثيرهما فى حياة الشـخص كبير جـدّاً من جهة خلق الشـفافية الباطنية والطهر القلبى وازالة التشويشات الذهنية والازمات الروحية، وبشـكل عام فإنّ تأثيرهما فى ايجاد الأرضـية الخصـبة والقاعدة المتماسـكة لحركة أفضل وأسرع فى دائرة التحصيل العلمى والأخلاقى غير قابـل للانكار. عنـدما يقرر رسول اللّه صـلى الله عليه و آله هـذه الحقيقـة ويفتخر بأسـلافه الطاهرين ويقول: «لم يزل ينقلنى اللّه من أصـلاب الطاهرين إلى أرحام المطهّرات حتّى أخرجنى فى عالمكم هـذا لم يدنسـنى بـدنس الجاهليّـة» «۱» . وعنـدما نقرأ كذلك فى زيارة وارث فى خطابنا لسيد الشـهداء: «أشهد أنّك كنت نوراً فى الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة لم تنجّسك الجاهليّة بأنجاسها ...»، كلّ ذلك شاهد على هذا المدّعى وأنّ اسـتاذنا الجليل قد منحه اللّه تعالى هذه النعمة الكبيرة، فقد كان جدّه الأكبر «الحاج محمد باقر» من تجار مدينـة شـيراز حيث كان يشـتغل بالتجارة فى محلـة «سـراى نو» فى شـيراز وكان يرتـدى لباساً شبيهاً بلباس رجال الـدين ويشارك باسـتمرار فى صـلاة السيرة المباركة، ص: ۱۴ الجماعـة فى مسـجد «مولاى» فى شـيراز حيث كان يتمتع باحترام كبير من قِبل النـاس، وكـان جـدّه سـماحة الاسـتاذ المرحوم «الحاج محمـد كريم» (ابن محمـد باقر) يرتـدى العمامـة أيضاً، ولكنّه فى أثناء عمله فى السوق كـان يلبس قبعـة على رأسه، وقـد اشـتغل موظفـاً أيضـاً فى «سوق الجمـارك» فى شـيراز ثم فى «سوق وكيل» كتاجر فى مـدينة شيراز، وكان ملتزماً بالاشتراك فى صـلاة الجماعـة فى مسـجد «مولاى» فى شـيراز وكانت له علاقـة وطيـدة بالمرحوم أيـة اللّه العظمى الحاج الشـيخ محمـد جعفر المحلاتى رحمه الله (والد المرحوم أية اللّه العظمى الحاج الشـيخ بهاء الدين المحلاتى) وكذلك كانت له علاقة بآية اللّه الحاج السـيد محمد جعفر الطاهرى رحمه الله. ويتحدث الاستاذ عن هذه العلاقة بالقول: «كان جدّى الحاج محمد كريم مكارم، رجلًا متـديناً، وكان لى من العمر أربع سـنوات عنـدما جاء الخبر بوفاته فى الحمام العمومى بالسـكتة، وأتذكر تلك الفترة جيداً ومـا كـان يحوطنى به من رعايـة ومحبّـة فى زمان حياته، وكانت جـدّتى لا تعرف القراءة والكتابـة ظاهراً ولكنّها على درجـة عاليـة من الـذكاء وقوّة الحافظة، حيث كانت تذهب باسـتمرار إلى مجالس الوعظ وتسـتمع إلى أصـحاب المنبر وتحفظ ما يقولونه، وعندما تعود إلى البيت تحـدثنى بما سـمعته من الأحاديث والروايات الشـريفة من أصـحاب المنبر، وكنت أحفظ مقداراً كبيراً منها منذ أيّام الطفولة بسـبب علاقتى العاطفية الشديدة معها، فكنت أسـمع منها قصـص الأنبياء والأولياء، وتدريجياً أصبحت علاقتى شديدة بالمسائل الدينية، وكانت جـدّتى على اطلاع كبير بمسائل الطب القـديم وتتحـدث معى عنها، بينما كان جـدّى الأكبر الحاج محمد باقر الذى لم أره فى حياتى رجلًا متديناً ومحبّاً لأهل البيت عليهم السلام وللتشيع، وفى الجملة كانت اسرتى عاشقة لأهل البيت عليهم السلام ومتعاطفة بشدّة السيرة المباركة، ص: ۱۵ مع مـذهب التشـيع رغم كون جـدّى ووالده ليسوا من رجال الدين ولا من أبناء الروحانيين. وأتذكر جيداً أنّ جـدّتى كانت تأخـذنى دائماً إلى المسـجد، وهكـذا تعلمت الذهاب إلى المسـجد منذ الطفولة، وعندما كان لى من العمر ثمان سـنوات كنت أذهب إلى مجالس الوعظ والإرشاد وكنت أشـعر بلذة كبيرة فى الاسـتماع إلى المواضـيع الدينية». وكذلك يقول الاسـتاذ: «كان والـدى له علاقـة شديـدة بتلاوة القرآن الكريم، فمنـذ دخولى إلى المدرسـة الابتدائيـة كان يدعونى أحياناً إلى غرفته فى بعض الليالى ويقول لى: يا ناصـر، اقرأ لى من كتاب الآيات المنتخبـة وترجمتها «وهـذا الكتاب عبارة عن مجموعـة من الآيات الكريمة التى اختارها بعض العلماء لغرض تدريسـها فى المـدارس الدينية فى زمان الشاه رضا خان» وكنت بدورى أقرأ هذه الآيات وترجمتها له وكان يسرّ بذلك كثيراً» «۱».

۲ النبوغ والاستعداد الموهوب

اشارة

إنّ النبوغ أو الموهبـة الذاتیـة تعتبر ودیعـة إلهیـة فی واقع الإنسان النموذجی حیث لا یشـهد المجتمع البشـری فی کل جیل من الأجیال سوی عـدّة معدودة من هؤلاء الشخصـیات الفذة. ولعلنا نعرف بوضوح الحکمة الکامنة وراء تخصـیص بعض أفراد البشـر بهذه الموهبة الممتـازة، هل أنّها مجرّد امتحان وابتلاء إلهی لهـذا الشـخص الموهوب؟ وکیف یسـلک مثل هـذا الإنسان فی خط الاسـتفادة من هـذه المواهب الإلهیـة وکیف یسـقی شـجرة النبوغ هـذه فی نفسه لتثمر وتتفتـح أزهارها بما ینفع الناس؟ وهل أنّ هذا المعنی یخضع لقانون معین وهو أنّ کل صاحب نعمـة یتحمل بمقـدارها من المسؤولیـة، وبمقدار ما لدیه من رأس المال سـیکون ربحه السـنوی، وبمقدار ما یبـذل من الجهـد والحرکـة فـإنّه سـیتمتع بمحصول أکثر؟ أو أنّ هـذا الإنسان النابغـة یکتم نبوغه فی إطار ضـیق من رغباته الذاتیـة ولا یتحرک من أجل تفعیل هـذا النبوغ بما فیه خدمـة الناس وبالتالی سـیقنع بالتکاسل وینفق هـذه الموهبة فی خط الانحراف والرذیلة ولا یکون نصـیبه منها سوی الخسـران؟ «۱» السیرة المبارکة، ص: ۱۸ وبعبـارة اخری أنّ هـذه النعمـة من النبوغ والفطنـة هـل تکون بمثابة امتحان للشـخص وللآخرین أیضاً من الرقباء لیتّضـح جیـداً رضاهم بهـذا التقـدیر الإلهی لصاحبهم، أو یحسـدونه علی هـذه النعمـة ولا یتعاملون معه من موقع الاحترام والقیم الأخلاقیـة؟ أو یکون لهذا التفضـیل الذاتی حکمة اخری کأن تکون هذه النعمة مثلًا نتیجة وثمرة للأعمـال الصالحـة التی قـام بها الوالـدان أو بعض الأباء والأجـداد «۱»، لیکون لهم هـذا الولـد ثمرة من الباقیـات الصالحـات لأعمالهم ونتیجـة لما اکتسـبوه بجهـدهم لیکون لهم ذخراً وذخیرة فی الـدنیا والآخرة؟ أو هناک حِکم ومصالـح غیبیـة اخری. وعلی أیّة حال فلا شکّ فی حقیقـة هذا المعیار الإنسانی الذی طرحه القرآن الکریم بقوله: «وَأَنْ لَیسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَی» «۲» ، أی أنّ معیار الفضیلة هو ما یکتسـبه الإنسان بیده وبعمله ومن خلال سـعیه وحرکته فی خط الفضـیلة والأخلاق والمسؤولیة، وبعبارة اخری: إنّ النفع الذی یجنیه الإنسان إنّما هو بمقـدار ما لـدیه من رأس مال ذاتی ومواهب فطریة: «فانّ أصل رأس المال هذا لا یتعلق به بل هو من عند اللّه»، وببیان أدق: «إنّ معیار کرامـة الإنسان یکمن فی سـعیه وحرکته فی إطار قابلیاته الذاتیـة والفطریة، ولا بدّ أن یکون هذا السـیرة المبارکة، ص: ۱۹ السعی هادفاً فی حرکة الحیاة، ویصبّ هذا الهدف فی جهة التکامل المعنوی والأخلاقی بما یحقق للإنسان الانفتاح علی اللّه تعالی، ولا یکون ذلک إلّامع خلوص النیّة وتحت مظلة التقوی التی تمثل حالة راسخة تعیش فی مشاعر الإنسان الداخلیة، ومن هنا جاءت الآیة الشـریفة: «إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاکُمْ ...» «۱» نـاظرة إلی هـذا المعنی بالـذات. ومن الواضـح أنّ الالتفات إلی هـذه الحقیقـة المهمّة بإمکـانه أن یخلق فی نفس الإنسـان النابغـة اهتزازاً وخشـیة من تحمل المسؤولیـة الثقیلـة الملقاة علی عاتقه، وکـذلک تسـبب فی بعث الطمأنینـة من جهة اخری فی قلوب أحبائه وأصدقائه باعتبار أنّ وجود هذا الإنسان یمثل نعمة إلهیّة فی أوساطهم. طبعاً لا ینبغی التردید فی هـذه الحقیقـة وهی أنّ الإنسـان لو سـخر جمیع قابلیـاته ومواهبه فی خط الطاعـة والإیمان والعبودیـة فانّ ذلک سـیعود علیه بالبرکة العظیمـة وسـیقترب من مرتبـة لقاء اللّه وسـیحقق لنفسه درجات سامیـة من الکمال الإلهی فی هـذا السبیل. إنّ اسـتاذنا الجلیل یتمتع فی الأصل بهـذا النبوغ والموهبـة الذاتیة من جهة، ومن جهة اخری فإنّه تحرک بلطف اللّه وعنایة أهل البیت المعصومین علیهم السـلام فی خط الطاعة والمسؤولیة والرسالة (کما سـیأتی فی البحوث اللاحقة) وعمل علی تفعیل هذه المواهب الإلهیة وتجسیدها فی أرض الواقع النفسـانی والاجتمـاعی، وبـالطبع فـانّ ذلک یمثل حقاً کبیراً فی ذمّـة طلابه وتلامیـذه بأن یتحرکوا من أجل اسـتمرار هـذا الخط ودعم سماحـة الاسـتاذ وتثبیت أقـدامه بـدعواتهم وممارساتهم العملیـة. إنّ نبوغ سـماحة الاسـتاذ کان مشـهوداً منذ الطفولة وکان یتجلّی علی شخصیته أکثر فأکثر طیلة مراحل عمره الشریف.

أقدم قضیة فی الذاکرة:

ویحدثنا سـماحة الاسـتاذ عن قضـیة تمتد إلی مرحلة الطفولة ویقول: السیرة المبارکة، ص: ۲۰ «إنّ أقـدم ما أتـذکره من طفولتی هو ما

يتعلق بمرضى فى ذلك الوقت حيث أتذكر أننى مرضت مرضاً خفيفاً ونمت فى المهد، وكان الفصل شتاءً وكان سريرى يقع فى زاوية من باحة البيت، وفى وسط الباحة هناك حوض نملؤه من ماء البِئر، ولكن بما أنّ ماء الحوض قد تنجس ولم يمكن تطهيره بماء الدلو الذى يستخرج من البئر، وكان حل هذا المشكل أن يتمّ افراغ بعض ماء الحوض ثم يملاؤون ظرفاً كبيراً من الجلد يدعى بالكر «وهو بمقدار كر واقعاً» ثم يتمّ افراغه فى الحوض ليختلط ماؤه بماء الحوض ويطهر الجميع «وبالطبع فاننى أفهم الحالة هذه ولكننى فى ذلك الوقت كنت اذكرها بصورة ضبابية» وأخيراً تمّ مل الظرف الجلدى بالماء من البئر وأفرغوه فى الحوض فامتلأ الحوض بالماء وفاض من جوانبه وجرى الماء إلى تحت سريرى وكنت أرى كل هذه الامور وثبتت فى خاطرى بحيث أننى أتذكرها جيداً وكأنّ القضية حدثت بالأمس». هذه الواقعة تذكرنا بالقصص والاساطير لنوابغ من أمثال ابن سينا، وتدلّ بوضوح على وجود نبوغ غير طبيعى لدى سماحة الاستاذ.

الدروس الطفروية:

وقد أشار كذلك سماحة الاستاذ إلى الدروس التى كان يحضرها بشكل قفزات إلى الأمام ويقول: «عندما كان لى من العمر أربع أو خمس سنوات كنت أذهب إلى المدرسة الابتدائية، وبما أنّ سنى لم يكن يسمح لى بالدراسة الرسمية، لذلك كنت أشترك فى دروس مقدّماتية فى مدرسة تدعى «زينة» فى شيراز، ولكننى فى نفس تلك الدروس كنت أستوعب التعليمات بصورة جيدة السيرة المباركة، ص: ۲۱ ولذلك تمّ ارتقائى إلى دروس أعلى بدون مراعاة سلسلة المراتب المفروضة».

بداية الدروس الدينية:

هذا النبوغ غير العادى تجلى أكثر فأكثر بعد الانتهاء من مرحلة الدراسة الابتدائية والمتوسطة وبعد سقوط رضا شاه والانفتاح والانفراج النسبى حيث تمّ ارسال دعوة من قِبل أحد علماء شيراز الكبار «وهو المرحوم آية اللّه الحاج السيد نورالدين الشيرازى» لجميع الراغبين فى تحصيل العلوم الدينية «وكان سماحة الاستاذ فى الصف الثالث للمرحلة الاعدادية أو الثانوية وفى نفس الوقت يشترك بهذه الدروس الدينية بشوق كبير إلى جانب دروس الثانوية». ويقول الاستاذ: «فى المرحلة التالية دخلت مدرسة «خان» فى شيراز وكانت من المدارس القديمة والكبيرة جدّاً وكانت محل تدريس وتحصيل الفيلسوف الكبير صدر المتألهين الشيرازى، بدأت بدراسة جامع المقدمات وشرح الأمثلة وكان استاذى فيها المرحوم ربانى الشيرازى، وقلت له إننى لا أمتلك كتاب جامع المقدمات فلو أنّك أعرتنى هذا الكتاب ليوم واحد لأقرأه وأقرأ كذلك الأمثلة وشرح الأمثلة وأتقدم للامتحان، فقدم لى الكتاب وبدأت بقراءته جميع ساعات الليل والنهار وتوجهت إلى الامتحان فى الغد ونجحت فيه وتمّ ارتقائى لمرحلة أعلى فودعته واشتركت فى صف آخر».

مسيرة عشر سنوات من التحصيل بأربع سنوات:

إنّ ذروة هذا النبوغ للاستاذ تجلّت بصورة أكبر عندما تحرك بخطوات واسعة فى التحصيل العلمى فى الحوزات الدينية بحيث إنّ ما كان يستغرق من الطالب عشر سنوات من السيرة المباركة، ص: ۲۲ الدراسة فى الحوزة قد اختزله الاستاذ بأربع سنوات، فعندما كان عمره عند ذلك سبع عشرة سنة كان يكتب حاشية على متن كفاية الاصول للمرحوم الآخوند الخراسانى، ويقول الاستاذ فى هذا الصدد: «كنت قد شرعت بالدراسة الحوزوية على يد استاذى الهمام «آية اللّه موحد» من أول كتاب السيوطى إلى آخر الكفاية بمدّة أربع سنوات، هذه الدروس التى تستغرق الآن فى الحوزات العلمية مدّة عشر سنوات، وعندما أتممت درس الكفاية كان لى من العمر سبع عشرة سنة وكنت فى شيراز حينما بدأت بكتابة حاشية مضغوطة على الكفاية، وأذكر هذه الملاحظة الشيقة وهى أننى بعد اتمام جامع المقدمات فى مدرسة خان جاء المرحوم آية اللّه موحد يوماً إلى دكان والدى، وكان الفصل فصل الصيف حيث كنت اشتغل

فى دكان والدى الذى كان يعمل فى حياكة الجوارب، فالتفت إلى والدى وقال له بما مضمونه: - كم ولد لك؟ - أربعة أولاد. فقال له الشيخ موحد: تعال واجعل هذا الولد (ناصر) وقفاً للإمام صاحب الزمان عليه السلام، فقبل والدى بالرغم من أننى كنت اساعده فى كثير من امور المتجر، وبذلك أرسلنى مع الشيخ موحد إلى الحوزة العلمية فى مدرسة آقاى بابا خان».

اتمام الصمدية فى أقل من يومين:

ومن عجائب وقاع ذلك الزمان ما تحدث به سماحة الاستاذ حيث قال: «فى أحد الأيّام سألنى استاذى عن العبارة المعروفة فى كتاب السيرة المباركة، ص: ۲۳ «الصمدية» (والمبرد إن كان كالخليل فكالخليل وإلّا فكيونس وإلّا فكالبدل»، وأوصانى بحلّ هذا الإشكال، ولم أكن قرأت كتاب الصمدية من بين كتاب جامع المقدمات إلى ذلك الوقت فى حين أنّ هذا الكتاب يعتبر من أصعب كتب جامع المقدمات، فعزمت على حلّ الإشكال بمطالعة الصمدية وانتهيت من مطالعته فى أقل من يومين (۳۶ ساعة) واستطعت أن اجيب عن سؤال الاستاذ وشرحت له عن قراءتى للكتاب، فتعجّب كثيراً وشوقنى». إنّ هذا التوهّج وصل إلى الذروة عندما نرى شاباً فى السابعة عشرة أو التاسعة عشرة من العمر يشترك فى درس شيخ الفقهاء واستاذ الاساتذة المرحوم آية اللّه العظمى السيد البروجردى قدس سره «(۱).:

الاشتراک فى درس آية اللّه العظمى البروجردى قدس سره

لقد كان السيد البروجردى (كما يحدثنا سماحة الاستاذ) رجلًا قد ملئ إيماناً وتقوى، وذو ذكاء نادر وسيماء نورانى وجذاب وفقيهاً بارعاً، وفى والواقع كان يمثل مدرسة مستقلة فى الفقه تقترب من الواقع الشىء الكثير، وأمّا فى علم الرجال والحديث والعلوم والادب فإنّه كان متبحراً كثيراً، وكان درسه جذّاباً لسماحة الاستاذ كثيراً بحيث يعترف استاذنا أنّه قد حاز الكثير من الفقاهة فى محضر مدرسة البروجردى الفقهية. ويتحدث سماحة الاستاذ عن مشاركته فى درس السيد الكبير فى الفقه والحديث بما يلى: «فى بداية شبابى (كنت فى الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة) وكانت مشاركة الطالب فى مثل هذا العمر فى درس آية اللّه العظمى البروجردى الذى يعد من أساطين الحوزة- وكان يشترک فى هذا الدرس استاذى آية اللّه العظمى الداماد وآية اللّه العظمى الكلبايگانى وكذلک الإمام الراحل قدس سره- أمراً عجيباً ولا سيما أننى كنت أتجرأ أحياناً وأطرح إشكالًا على الاستاذ فى أثناء الدرس، فكانت ظاهرة عجيبة للطلاب فى ذلک الوقت بحيث كان البعض يقول: كيف يتجرأ هذا الغلام الشيرازى ويسمح لنفسه بأن يطرح إشكالًا فى مثل هذا الدرس الكبير».
هنا نورد حكاية تتعلق بهذه القضية كما يلى:

تشويق آية اللّه العظمى البروجردى قدس سره:

«فى أحد الأيّام أشار آية اللّه العظمى البروجردى فى بحث الفقه إلى مسألة صيد اللهو»، أى أن يسافر الإنسان لطلب الصيد لغرض اللهو، والمعروف بين الفقهاء أنّ الصلاة فى هذا السفر لا تكون قصراً بل يتم هذا الشخص صلاته، ولكن قلّ ما يحكم الفقهاء بحرمة هذا العمل، وكنت فى ذلک الوقت طالباً صغير السن وجمعت أدلة كثيرة على حرمة هذا النحو من الصيد من كلمات القدماء والمتأخرين وأثبتُّ أنّ صيد اللهو من مصاديق السفر الحرام بحيث يجب على المكلّف أن يتمّ صلاته فيه. عندما قرأ آية اللّه العظمى البروجردى ما كتبته فى هذا الموضوع سألنى متعجباً: هل كتبت أنت هذا الموضوع؟ فقلت له: نعم.

درجة الاجتهاد:

إنّ هذا النبوغ والذكاء الخارق مع جملة من الصفات والخصوصيات فى شخصية الاستاذ أدّى إلى أن يحصل الاستاذ على إجازة

الاجتهاد وهو فی سن الرابعهٔ والعشرين من العمر: ويتحدث الاستاذ لنا عن ذلک بقوله: «بعد مجيئی إلی النجف الأشرف ومن خلال مشارکتی فی بحوث الخارج للأساتذهٔ الکبار فی حوزهٔ النجف وطرح أسئلهٔ متعددهٔ أصبحت يشار إلیّ بالبنان واهتم الأساتذهٔ والعلماء بی ومنحونی حبّهم ورعايتهم بحيث إننی استطعت أن أحصل علی إجازهٔ الاجتهاد فی سن الرابعهٔ والعشرين من عمری من مرجعين کبيرين فی ذلک الوقت، أحدهما: آيهٔ اللّه العظمی الاصطهباناتی الذی يعد من المراجع الکبار ويعتبر شيخ الفقهاء فی السيرهٔ المبارکهٔ، ص: ۲۶ ذلک الوقت، وقد بذل لی رعايته ولطفه کثيراً ولذلک کتب لی الاجازهٔ بالاجتهاد الکامل، والآخر آيهٔ اللّه العظمی الحاج الشيخ محمد حسين کاشف الغطاء، وبما أنّه لم يکن علی اطلاع بحالی وتحصيلی الدراسی طلب أن يمتحننی، فقبلت ذلک، فطلب منی أن أکتب له رسالهٔ فی مسألهٔ: هل أنّ التيمم مبيح للصلاهٔ أو رافع للحدث؟ فکتبت له رسالهٔ مفصّلهٔ فی هذا الموضوع وعرضتها عليه، ومضافاً إلی ذلک أجری لی الشيخ کاشف الغطاء امتحاناً شفوياً أيضاً وسألنی عن أعقد مسألهٔ من مسائل العلم الإجمالی، فعندما أجبته عنها کتب لی إجازهٔ الاجتهاد ومنحنی کل الحبّ والرعايهٔ». من الامور التی تشهد علی وجود هذا النبوغ والموهبهٔ الذاتيهٔ لسماحهٔ الاستاذ «وفی نفس الوقت تعتبر شاهداً علی الحافظهٔ القويهٔ له» هو أنّ الاستاذ أحياناً کان يکتب درس آيهٔ اللّه العظمی السيد الخوئی وهو فی النجف الأشرف بعد مضی اسبوعين من تلقی الدرس، فی حين أننا نری فی هذا العصر أنّ أغلب الطلاب يکتبون درس الاستاذ فی مکان الدرس حتی لا تفلت منهم ملاحظهٔ أو ينسوا شيئاً منه.

تقريظ آيهٔ اللّه العظمی السيد الحکيم قدس سره:

وفی آخر قصّهٔ يحدثنا سماحهٔ الاستاذ عن حوزهٔ النجف الأشرف، وهی شاهد آخر علی نبوغ الاستاذ وبلوغه أوج النضج العلمی، هو ما تفضّل به صاحب مستمسک العروهٔ الوثقی المرحوم آيهٔ اللّه العظمی السيد الحکيم «۱» الذی يعد من أساطين فقهاء الشيعهٔ حيث السيرهٔ المبارکهٔ، ص: ۲۷ کتب لسماحهٔ الاستاذ تقريظاً وثناءً جميلًا فی حاشيهٔ دفتر کتاب الطهارهٔ «وهو تقريظ بحث الخارج للفقه للسيد الحکيم وبقلم الاستاذ» فقد کتب السيد الحکيم ما هذا نصّه: «بسم اللّه الرحمن الرحيم وله الحمد والصلاهٔ والسلام علی رسوله وآله الطاهرين، قد نظرت فی بعض مواضع هذا التقرير «۱» بمقدار ما سمح به الوقت فوجدته متقناً غايهٔ الاتقان ببيان رائق وأسلوب فائق يدلّ علی نضوج فی الفکر وتوقّد فی القريحهٔ واعتدال فی السليقهٔ فشکرت اللّه سبحانه أهل الشکر علی توفيقه لجناب العلّامهٔ المهذّب الزکی الألمعی الشيخ ناصر الشيرازی سلّمه اللّه تعالی ودعوته سبحانه أن يسدّده ويرفعه إلی المقام العالی فی العلم والعمل، إنّه ولیّ التسديد وهو حسبنا ونعم الوکيل والحمد للّه ربّ العالمين». محسن الطباطبائی الحکيم ۹/ ج ۱/ ۱۳۷۰ ه ق

مباحثهٔ الاستاذ مع الإمام موسی الصدر حول کتاب (أشباه الفلاسفهٔ):

لقد تجلّی نبوغ الاستاذ وقابليته الوفيرهٔ فی مجال التدريس والتحقيق والتأليف بعد إقامته فی حوزهٔ النجف مدّهٔ سنهٔ ونصف ورجوعه إلی قم المقدّسهٔ «۱» ولا سيما فی مجال التحقيق والتأليف أولًا: لقد کتب الاستاذ کتاب «أشباه الفلاسفهٔ» وله من العمر سبع وعشرون سنهٔ. وثانياً: إنّ هذا الکتاب قد صدر فی أجواء مشحونهٔ ضد رجال الدين والحوزهٔ العلميهٔ والدين الإسلامی وقد عرف بأنّه (کتاب العام) وذلک من خلال سعی وتعريف العلّامهٔ الشيخ الشهيد المطهری قدس سره. ثالثاً: علی مستوی التجربهٔ العمليهٔ فی دائرهٔ التأليف يمثل هذا الکتاب الثانی من مصنّفات المؤلف. السيرهٔ المبارکهٔ، ص: ۲۹ ورابعاً: لقد تمّ طبعه ثلاثون مرّهٔ، وبديهی أنّ الکتاب الذی يطبع ثلاثين مرّهٔ يعدّ فی عالم المطبوعات رقماً مهماً، ويحدثنا الاستاذ عن هذا الکتاب بقوله: «کان لدينا جلسهٔ اسبوعيهٔ مع فضلاء الحوزهٔ العلميهٔ من اصدقائنا الذين کنّا نشترک معهم فی المباحثهٔ، ويحضر هذه الجلسهٔ بعض الشخصيات المهمّهٔ منهم: الإمام موسی الصدر وأشخاص آخرون لا أجد مسوغاً لذکر أسمائهم، وکانت البحوث التی تطرح علی بساط البحث تتعلق بالشيوعيهٔ حيث کانت الشيوعيهٔ تتمدد بسرعهٔ فی ذلک الزمان إلی ايران والبلاد الإسلاميهٔ المجاورهٔ للاتحاد السوفيتی السابق، «وخاصهٔ أنّ حکومهٔ الشاه

كانت تتحرك على مستوى توهين عرى الإيمان والتدين بين الناس» فكان ذلك سبباً فى اشاعهٔ الأفكار الماركسيهٔ بواسطهٔ حزب تودهٔ الشيوعى الذى كان يتحرك على مستوى الجامعات خاصهٔ وكانت لديهم نشريات وصحف كثيرهٔ اهتمت بترجمهٔ كتابات رواد الماركسيهٔ وبعضها كان من كتابات الشيوعيين فى ايران، وأخيراً وصل الأمر إلى درجهٔ التأزم والتسافل بحيث خرج عن حدود البحوث المنطقيهٔ وأخذ يتجلى على شكل توجيه الإهانهٔ إلى المقدّسات الدينيهٔ من قبلهم لأنّهم كانوا يعلمون أنّ الإسلام مهما كان ضعيفاً فإنّه يقف سدّاً منيعاً بوجه مطامعهم، وقد امتدت هذه البحوث إلى الحوزات العلميهٔ التى وجدت أنّ وظيفتها التصدى إلى هذا التيار المخرّب، وكان المرحوم العلّامهٔ الطباطبائى وتلميذه الشجاع المرحوم العلّامهٔ المطهرى من جملهٔ الأشخاص الذين تصدوا إلى هذه المسؤوليهٔ حيث كتبا «اصول الفلسفهٔ والمنهج الواقعى» الذى يمثل حصيلهٔ جهد هذين العلمين فى هذا المجال. وقد شرعنا مع أصدقائنا بالتحقيق حول عقائد وأفكار هذه المدرسهٔ وكنّا نبحث فى جلستنا الاسبوعيهٔ المواضيع المتعلقهٔ بالماركسيهٔ من خلال مطالعهٔ السيرهٔ المباركهٔ، ص: ۳۰ كتبهم لكى نكون على اطلاع كامل بأفكارهم ونظرياتهم ثم نضعها قيد الدراسهٔ والنقد، وقد طلبت من الاخوهٔ الموافقهٔ على أن أكتب بعض المواضيع المتعلقهٔ بالماركسيهٔ ثمّ أطرحها فى هذه الجلسهٔ لكى يتكامل الموضوع بصورهٔ أفضل، وبالفعل فقد كتبت هذا الكتاب وسمّيته «أشباه الفلاسفهٔ» وذكرت فيه جملهٔ من المواضيع للفلاسفهٔ الماديين وخاصهٔ من أتباع المدرسهٔ الماركسيهٔ ونقدتها مستعيناً بالملاحظات التى أوردها الاخوهٔ فى تلك الجلسهٔ. ثم عملت على صياغتها بأسلوب قصصى لتكون أكثر جذّابيهٔ، وتمّ نشر هذا الكتاب وهو الكتاب الثانى من تأليفاتى، وقد استقبله الناس بشوق بالغ بحيث تكرّر طبعه لثلاثين مرّهٔ تقريباً».

التأثير العميق لكتاب (أشباه الفلاسفهٔ) فى يقظهٔ المسلمين:

ويتحدث سماحهٔ الاستاذ عن تأثير هذا الكتاب الواسع لا سيما فى البلدان الإسلاميهٔ الخاضعهٔ لسيطرهٔ الروس، ويقول فى هذا الصدد: «لقد كان الاخوهٔ القادمون من أفغانستان يقولون لى: إنّ هذا الكتاب كان له أعظم تأثير فى زمن سلطهٔ الروس على أفغانستان وخاصهٔ بين صفوف طلاب الجامعهٔ الذين كانوا يدافعون عن الإسلام فى وجه التيار الشيوعى وحتى أنّه تمّ وضعه فى بعض الصفوف بصورهٔ كتاب تدريسى، وبذلك حصل لى أصدقاء كثيرون من الشيعهٔ وأهل السنّهٔ فى صفوف الاخوهٔ الافغان بواسطهٔ هذا الكتاب». ثم يذكر سماحهٔ الاستاذ حادثهٔ شيقهٔ فى هذا المجال لا بأس بالاستماع إليها من لسانه: «قبل عدّهٔ سنوات وبينما كنت متشرفاً للحج إلى مكهٔ المكرمهٔ وقد دعيت من قبل بعثهٔ الإمام الراحل قدس سره إلى الحج، أخبرنى أحد الاخوهٔ فى أحد السيرهٔ المباركهٔ، ص: ۳۱ الأيّام فى مكتب البعثهٔ بأنّ رجلًا من طاجكستان يريد ملاقاتك، فقلت له: لا مانع لدى. فجاء ذلك الرجل وكان فى متوسط العمر وله لحيهٔ طويلهٔ ووجهٌ نورانىٌ ويتحدّث بالفارسيهٔ بطلاقهٔ فقال: لقد كنت قبل ثلاثين سنهٔ افكر فى الماركسيهٔ وكان بلدى طاجكستان من بلدان الاتحاد السوفيتى السابق، ولم يكن لدى مصدر لأتبيّن به الحق من الباطل إلى أن عثرت على كتاب «أشباه الفلاسفهٔ» وقد قرأت عليه اسمك فقرأته وتبيّنت لى الامور بوضوح، وكما يعبر ذلك الرجل: لقد حصلت على الحجهٔ القاطعهٔ، وبالرغم من أجواء الاضطهاد والارهاب الفكرى الشديد فى ذلك الوقت قمت بمخاطرهٔ كبيرهٔ وطبعت من هذا الكتاب ألفى نسخهٔ ونشرتها بخفيهٔ «والظاهر أنّ هذا الكتاب قد وصل إلى طاجكستان عن طريق أفغانستان»، وعلى أيّهٔ حال فبعد ثلاثين سنهٔ قررت التوجه إلى مكهٔ المكرمهٔ وكنت أفكر بأنّ مؤلف هذا الكتاب هل هو حى أو ميت؟ فقلت فى نفسى أنّه ليس فى حال الحياهٔ بعد ثلاثين سنهٔ، ولكن جئت على سبيل الاحتياط أسأل من الاخوهٔ الايرانيين فى هذا المقر عنك، فقالوا لى: إنّه حى يرزق وقد جاء إلى مكهٔ أيضاً «ولعله تصور أنّ مؤلف هذا الكتاب له من العمر سبعون عاماً عندما كتب هذا الكتاب وبعد مضى ثلاثين سنهٔ أصبح له من العمر مائهٔ سنهٔ ومن البعيد يبقى حياً إلى هذا الوقت، فى حين أننى كنت كتبت هذا الكتاب ولى من العمر سبعهٔ وعشرين سنهٔ تقريباً».

لا يضيع عمل الخير:

وبينما كان الاستاذ يتحدث عن هذه القضية إذ أشار إلى نكتة دقيقة ولطيفة، وهى أنّ العمل الصالح مهما كان قليلًا فإنّه يفتح طريقه ويتجلّى بنفسه للآخرين بل ينمو ويشتد حتى السيرة المباركة، ص: ۳۲ يصير شجرة طيبة: «تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا» «۱» ، حيث يقول: «وأنا أشكر اللَّه تعالى على أنّ هذا الكتاب انتقل بدون علمى واطلاعى إلى أفغانستان ومن هناك نفذ إلى طاجكستان وبعث على يقظة الناس وانتباههم، وهنا أقول: إنّ عمل الخير لا يضيع كما ورد فى الحديث الشريف: (ما كان للّه ينمو) فبالرغم من أنّ هذا الكتاب لا يمثل إلّاعملًا صغيراً إلّاأنّه ازداد ونما وأنا أنظر إليه، واللطيف أنّ ذلك الرجل قال لى بعد ذلك: إننى على المذهب الحنفى ولكننى احب الثورة الإسلامية فى ايران كثيراً، وأتوجه كل اسبوع إلى سفارة ايران فى دوشنبه (عاصمة طاجكستان) ولى ابنان أرغب فى ارسالهما إلى قم ليدرسا فى الحوزة العلمية عندك، وبدورى أرشدته إلى طريقة ذلك ولكنّ أحداث طاجكستان وقعت بعد ذلك ولم تتحقق هذه الرغبة».

فتوة واخلاص الشهيد المطهرى رحمه الله:

وعلى أيّة حال فإنّ النبوغ والابتكار والابداع وأمثالها من السمات التى يتميز بها سماحة الاستاذ تجلّت بوضوح فى هذا الكتاب بحيث إنّ العلّامة المخلص الشهيد المطهرى الذى يعدّ ثمرة من ثمرات هذه الشجرة الطيبة لم يمنعه حجاب المعاصرة عن الاعتراف بقيمة هذا الكتاب حيث أخذه بنفسه إلى هيئة الاشراف على الكتاب السنوى لتقييمه، ويتحدث سماحة الاستاذ عن فتوة الشهيد المطهرى فى هذا الصدد ويقول: «ومن الضرورى أن اشير إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ المرحوم الشهيد المطهرى قال لى: إننى قرأت كتابكم (أشباه الفلاسفة) وبما أنّنى اعجبت به رأيت أن اقدمه السيرة المباركة، ص: ۳۳ إلى هيئة الاشراف على أفضل كتاب السنة (وهم هيئة من أساتذة الجامعة) وأرغب أن يطلع طلاب الجامعة على هذا الكتاب ويعلموا بوجود عقول مفكّرة فى الحوزة العلمية ينافسون أفضل العقول المفكّرة فى الجامعة. وهكذا قدّم الشهيد المطهرى هذا الكتاب وفاز بالجائزة الاولى وانتخب فى تلك السنة على أنّه أفضل كتاب لذلك العام، وكان كتاب الشهيد المطهرى ا (اصول الفلسفة والمنهج الواقعى) وهو عبارة عن أبحاث للاستاذ العلّامة الطباطبائى والشهيد المطهرى ٠ قد فاز فى السنة السابقة بالجائزة الاولى فى هذه المسابقة العلمية. وطبعاً هناك بعض الاخوة وبسبب عدم اطلاعهم على محتويات هذا الكتاب بصورة جيدة كانوا يتحدثون عنه من موقع الإشكال والنقد».

۳ الإبداع والإبتكار

اشارة

إنّ الذهنية الخلاقة والمبدعة لسماحة الاستاذ مع حافظته القوية وانسه بالآيات القرآنية وكلمات نهج البلاغة وروايات أهل البيت عليهم السلام، أدّت إلى أن يكون هذا الاستاذ سريع البديهة وحاضر الجواب لأغلب الأسئلة العلمية والمعضلات الفكرية، إنّ ملكة الابداع والتجديد لدى سماحة الاستاذ بإمكانها أن تصهر فولاذ المشاكل العلمية وتتغلب على التعقيدات الفكرية، فقد شوهد مراراً أنّ رواية من الروايات تتضمّن مفهوماً ساذجاً وبسيطاً ولا يعقل فى حقّها التدقيق والتحليل العميق، أو بالعكس تتضمّن عقدة عمياء وبحاجة إلى تحليل وتفسير دقيق فانّ الاستاذ كان يستخرج منها نكات ظريفة وحقائق دقيقة بشكل جذّاب للغاية. إنّ حلّ العُقد العلمية ورسم زوايا جديدة للمعرفة الدينية وعدم الخوف من نقطة البداية، وكذلك الشهامة والفراسة تتطلب وجود موهبة خاصة لدى الفرد، فعندما يتحرك الإنسان فى تعامله مع القدماء من أساطين العلم من موقع التقديس والاحترام الكبير، وفى نفس الوقت يلتفت بدقّة إلى قصور أفكارهم عن إيجاد الحلول الدقيقة للمشكلات العلمية ولا تحجبه عن اكتشاف نقاط الخلل سيرتهم الجليلة، فانّ ذلك يحتاج إلى تأييد روح القدس، وهذا ما نلاحظه بشكل جلى فى آفاق الاستاذ العلمية المختلفة.

النظر إلى التفسير الأمثل بعين الانصاف:

إذا نظرنا بعين الانصاف إلى «التفسير الأمثل» لسماحة الاستاذ بما يحتوى من بيان السيرة المباركة، ص: ۳۶ سلس وجذّاب، وقارنّا بينه وبين سائر التفاسير، لاتضحت لدينا هذه الحقيقة، وهى: إنّ هذا التفسير قد خطى خطوة كبيرة فى علوم التفسير إلى الأمام كما هو حال تفسير «الميزان» للعلّامة الطباطبائى قدس سره، وفى نفس الوقت فانّ هذا التفسير يتضمّن منتخبات من التراث التفسيرى العظيم من علماء الإسلام، ويتضمّن فى طياته حقائق بديعة فى دائرة الاجتماع والسياسة والأخلاق، والحقيقة إنّ هذا الكتاب قد ملأ فراغاً محسوساً فى العصر الحاضر فى علم تفسير القرآن بل إنّه أثبت البعد الخالد للقرآن الكريم وأنّه كتاب هداية وشفاء لجميع الأجيال البشرية على مرّ العصور. ولكن لا يخفى أنّ الوصول إلى حقيقة القرآن وروح كلام أهل البيت عليهم السلام، يحتاج، مضافاً إلى عنصر النبوغ والابداع (الذى تقدم بيانه فى الفصل السابق) إلى علو الهمّة وعظمة الروح والانسجام مع مفاهيم هذا الكتاب السماوى الذى لا يلمس معانيه ولا يدرك عمق مضامينه إلّاالطاهرون «۱».

كتاب «القواعد الفقهية» ظاهرة مستجدة فى مجال الفقه:

إذا تجاوزنا التفسير الأمثل نرى أمامنا كتباً عديدة ومتنوعة فى العقائد والأخلاق السيرة المباركة، ص: ۳۷ والتربية الاجتماعية بل فى مجال الدراسات الحوزوية كلها مؤيدة وشاهدة على موهبة الابداع الكبير التى يتحلّى بها سماحة الاستاذ، ومن جملة هذه الكتب «أشباه الفلاسفة» الذى تقدم الحديث عنه فى الفصل السابق، والكتاب القيم الآخر «القواعد الفقهية» الذى يعدّ فى زمان طبع المجلد الأول «۱» منه، كتاباً فريداً فى موضوعه ومحتواه، لأنّ الكتاب المهم للمحقق الكبير المرحوم البجنوردى فى هذا الباب قد تمّ طبعه ونشره بعد طبع كتاب الاستاذ، وهكذا بالنسبة إلى كتب اخرى فى هذا الباب نظير «القواعد والفوائد» للشهيد الأول قدس سره، و «القواعد» للمرحوم العلّامة قدس سره، و «العناوين» للعلّامة المحقق الحسينى المراغى قدس سره، و «عوائد الأيام» للمرحوم النراقى قدس سره، أو أنّ هذه الكتب لم تكن تبحث فى القواعد الفقهية بصورة خاصة، أو أنّها أساساً تبحث فى المسائل الفقهية من موقع كونها فروعاً فى أبواب الفقه لا من باب كونها قواعد فقهية، بينما نرى أنّ سماحة الاستاذ تمكن لأول مرّة من تنظيم وجمع القواعد الفقهية المبثوثة فى جميع أبواب الفقه، وأكثرها لم تكن تحظى باهتمام الفقهاء ولم تمنح حقّها من التحقيق والدراسة اللازمة. ويحدثنا سماحة الأستاذ فى مقدمة هذا الكتاب بما يلى: «من أهم ما يجب على الفقيه تحقيقه والبحث عنه هى «القواعد الفقهية» وهى مجموعة فى القواعد التى تكون ذريعة للوصول إلى أحكام كثيرة من أول الفقه إلى آخره، وتبتنى عليها فروع هامة فى شتى المباحث والأبواب. لكن رغم فائدتها الكبيرة هذه، لم يبحث عنها بما يليق بها، ولم يؤدَ حقّها من البحث، لا فى الفقه ولا فى اصوله، إلّاشىء طفيف منها، كقاعدة لا ضرر، وبعض القواعد الاخرى كقاعدة التجاوز والفراغ التى وقع البحث عنها فى بعض كتب المتأخّرين من الاصوليين بحثاً تبعياً استطرادياً، لا ذاتياً استقلالياً، فأصبحت هذه القواعد النفيسة كالمشردين لا تأويها دار ولا تجد قراراً، لا عدّت من الاصول ولا من الفقه، مع أنّ من حقّها أن يفرد لها علم مستقل، السيرة المباركة، ص: ۳۸ وغير خفى أنّه لا يمكن تنقيحها ضمن الأبحاث الفقهية، لأنّ كل مسألة منها تختص ببحث خاص، كما أنّ كثيراً منها لا تمسّ المسائل الاصولية كى يبحث عنها فى علم الاصول ولو استطراداً. نعم، قام شرذمة قليلون من متأخرى الأصحاب بتأليف رسالات تحتوى على بعض تلك القواعد. ولكن مع الأسف لم يصل شيء من هذه الكتب إلينا. وأمّا الكتاب «القواعد» الذى صنفه شيخنا الشهيد الأول قدس سره فليس متمحضاً فى سرد القواعد الفقهية، بل يحتوى على مسائل فقهية مختلفة من شتى الأبواب، واخرى اصولية، ويرى فيه بعض المسائل الكلامية بل اللغوية أيضاً، فهو كتاب فقهى أشبه منه بغيره. وكذا «تمهيد القواعد» للعلّامة النحرير الشهيد الثانى، فهو كما ذكر قدس سره فى مقدمته يحتوى على مائة قاعدة اصولية وما يتفرع عليها من الأحكام، ومائة قاعدة أدبية مع ما يناسبها من الفروع الشرعية. وأمّا كتاب «عوائد الأيّام فى بيان قواعد الأحكام ومهمّات

مسائل الحلال والحرام»، الذى ألفه شيخنا المحقق النراقى قدس سره فهو- كما يظهر من اسمه- وإن اشتمل على بعض القواعد الفقهية إلّاأنّه لاـ يستوعبها، كما أنّه لا يختص بها بل يعمّها وغيرها. فتحصّل من ذلك كله أنّه لا يوجد فى مؤلفاتنا تأليف يحتوى على تلك القواعد الهامة بأجمعها ويبحث عنها بحثاً يليق بها، ولذلك لم يبق لى شك فى أنّ القيام بهذه المهمّة بجمع تلك القواعد فى موسوعة مستقلة والبحث عنها بما يليق بها خدمة للعلم وأهله» «۱» «۲».

عين صافية فى صحراء الطاغوت:

المورد الثالث فيما يتعلق بالفكر الحر والخلّاق لسماحة الاستاذ هو إصدار مجلة «مكتب اسلام» التى تعتبر عيناً صافية فى صحراء الظلم والشرّ فى زمان الطاغوت «حكم الشاه»، فكانت بعنوان أول مجلة دينية يبزغ نورها فى ظلمات تلك الأيام الحالكة، ويقول الاستاذ فى حديثه عن هذه المجلة: «لقد تمّ إصدار هذه المجلة فى مرحلة من أشدّ مراحل النظام السابق ظلماً واضطهاداً على الدين، فلم تكن أيّة مجلة دينية تصدر فى جميع مناطق ايران، فكان أن اجتمع بعض الاخوة الأفاضل وعلماء الدين المثقفين وصمموا على إصدار مجلة دينية تتولى أمر التصدى للانحرافات الفكرية والمفاسد الأخلاقية فى هذا البلد، وتمّ الشروع فى هذه المجلة بعد تقديم معونات من بعض الأخيار وتجّار طهران الذين تكفّلوا تأمين مصروفاتها المالية، وبما أنّ الناس كانوا متعطشين للمعارف الدينية وللثقافة السليمة فكانت هذه المجلة بمثابة جرعة الماء للعطشان فى الصحراء المحرقة أو المنار والمشعل للسالك فى الظلمات الحالكة، فكان استقبال الناس لهذه السيرة المباركة، ص: ۴۰ المجلة عظيماً جدّاً بحيث لم نتوقع مثل هذا الاستقبال فكان عدد المجلة يزداد بشكل كبير فمن ألفى نسخة فى الاعداد الاولى إلى أن بلغ عدد النسخ فى العدد الواحد مائة ألف نسخة وتمّ ارسالها إلى جميع أرجاء ايران من المدارس والجامعات إلى الادارات والسوق وقد استطاعت هذه المجلة خلق موج كبير فى أجواء الثقافة الدينية السائدة».

حماية آية اللَّه العظمى البروجردى؛ وعرقلة أزلام النظام:

هذه الحركة الثقافية بدأت فى عهد المرحوم آية اللَّه العظمى السيد البروجردى، وبما أنّ مثل هذه الحركات الثقافية تعتبر جديدة فى أجواء الحوزة العلمية قلنا لبعض الأصدقاء: لعل آية اللَّه العظمى السيد البروجردى يقف منها موقفاً سلبياً ويخالف إصدار مثل هذه المجلة، فكنّا قلقين فى هذا الشأن فقمنا بإرسال المجلة إلى سماحته وانتظرنا جوابه، ولكننا كنّا فى غفلة من أنّ هذا المرجع الكبير والمقتدر والذائع الصيت كان أكثر انفتاحاً وثقافة ممّا كنّا نتوقع، حيث أرسل إلى بعض الاخوة: إنى قرأت أعداداً من مجلتكم الكريمة وهى مجلة جيدة ومفيدة وأنا بدورى سأقف معكم فى هذا المشروع، وهكذا كان موقف السيد البروجردى قدس سره هذا مؤثراً بشدّة فى حركتنا الثقافية لأنّ هذه المجلة كانت تصدر بدون امتياز للنشر خلافاً لما هو المتداول فى عالم الصحف والمجلات، لأنّ الحكومة كانت تمانع من إصدار مثل هذه المجلة وكنّا نتوقع أنّ الحكومة ستبادر إلى كبت هذا الصوت الحر وإغلاق المجلة، وهكذا وقع بالفعل فما أن أحس نظام الشاه بهذه الحركة وأنّ هذه المجلة الإسلامية تحولت إلى رقم مهم فى صعيد الثقافة الدينية والاجتماعية بحيث كان بإمكانها خلق بعض المشاكل للنظام فيما تنشره من السيرة المباركة، ص: ۴۱ أفكار دينية فى جميع المناطق، فقد أصدرت الحكومة أمراً بتوقيف إصدار المجلة، ومعلوم أنّ هذا الأمر صدر بذريعة عدم وجود ترخيص رسمى للمجلة، ولو كنّا نتقدم بطلب إجازة إصدار هذه المجلة من الحكومة فسوف لا نحصل عليها اطلاقاً». ويشير سماحة الاستاذ فى بيانه هذا إلى دور آية اللَّه العظمى السيد البروجردى المؤثر والمهم فى إحياء واستمرار هذه المجلة بما له من نفوذ كبير فى أوساط الناس فى ذلك العصر ويقول: «لقد تحدثنا فى هذا الموضوع مع آية اللَّه العظمى السيد البروجردى، فكان أن استدعى رئيس الشرطة فى قم وقال له: عليكم بفتح هذه المجلة فوراً، وبما أنّ نظام الشاه كان يعلم جيداً أنّ تهديد آية اللَّهالعظمى السيد البروجردى يمثل تهديداً جدياً للنظام، فقد رأيت أنّ رئيس الشرطة أخذ بالبحث عنّى وقال: أرجو منك أن تصدر أمراً بالسماح باصدار المجلة وأنا الآن أمنحكم إجازة شفوية ثم أُلحقها

بإجازهٔ کتبیهٔ فی ذلک، وهکذا تمّ نشر المجلهٔ مرّهٔ اخری بدون إجازهٔ رسمیهٔ وبقیت مشکلهٔ عدم الترخیص الرسمی إلی وقت طویل إلی أن اشتدت ضغوط المرجعیهٔ علی النظام فتمّ إصدار الترخیص الرسمی بالاکراه، واللطیف أنّه قد کتب علی ملف المجلهٔ فی قسم المطبوعات فی وزارهٔ الداخلیهٔ ما یلی: (إنّ هذه المجلهٔ محل عنایهٔ آیهٔ اللّه العظمی البروجردی)، وهذا الأمر کان مفتاحاً لحلّ جمیع المشاکل».

الأبعاد الانتقادیهٔ والسیاسیهٔ لمجلهٔ «مکتب إسلام» ودورها فی تصعید الثورهٔ:

ثم یتحدث سماحهٔ الاستاذ عن البعد الانتقادی والسیاسی لهذه المجلهٔ المبتکرهٔ ویقول: السیرهٔ المبارکهٔ، ص: ۴۲ «بعد أن شعرنا بأننا نقف علی أرضیّهٔ متماسکهٔ من دعم المرجعیهٔ بدأنا بطرح مقالات انتقادیهٔ واجتماعیهٔ وسیاسیهٔ بعد أن کانت جمیع المقالات تبحث جوانب عقائدیهٔ وتفسیریهٔ وأخلاقیهٔ وروائیهٔ فقط، ولکن بعد هذه الواقعهٔ تطرقنا إلی المفاسد الاجتماعیهٔ أیضاً وتحدثنا عنها من موقع التحلیل والعلاج والنقد، وبحمد اللّه کان هذا الفصل مؤثراً جدّاً وقد منحت هذه المقالات المجلهٔ قدرهٔ ودینامیهٔ کبیرهٔ فی التحرک علی مستوی النشریات والمجلات الدینیهٔ فی ذلک الوقت فی عملیهٔ إصلاح الفکر الدینی فی أجواء المتدینین والوقوف ضد الکلمات والبحوث الضّارهٔ بالفکر الدینی». ثم إنّ الاستاذ ذکر حادثهٔ فی هذا المجال وأضاف یقول: «فی أحد أعداد صحیفهٔ اطلاعات التی کانت صحیفهٔ حکومیهٔ بإشراف «مسعودی» الذی یعتبر من أصدقاء الشاه المقربین کانت هناک مقالهٔ ضد الحوزهٔ ورجال الدین، فکتبت رسالهٔ شدیدهٔ اللحن إلی مسعودی وأکّدت علیه بأنّه ما لم تنتهِ الصحیفهٔ من نشر مثل هذه المقالات المضادهٔ للروحانیین فاننا سنقوم بتحریم صحیفهٔ اطلاعات فی جمیع المناطق، وسیکون هذا التحریم مؤثراً کثیراً من خلال هذه المجلهٔ التی تتمتع بمقبولیهٔ واسعهٔ فی أوساط الناس، ولم تمض فترهٔ وجیزهٔ إلّاوکتب مسعودی رسالهٔ یعتذر فیها عن خطأ الصحیفهٔ ا لمذکورهٔ وأنّ الغرض لیس هو إهانهٔ رجال الدین وهتک حرمهٔ الروحانیین ولکن بما أنّکم تلقیتم المقالهٔ من موقع الاهانهٔ واعتبرتم ذلک العمل بمثابهٔ هتک لمقام الحوزهٔ العلمیهٔ فأنا بدوری سوف أصدر أمراً للعاملین فی الصحیفهٔ بعدم تکرار مثل هذا العمل، وأنتم أعلی شأناً وأجلّ مقاماً من أن تقوموا بتحریم صحیفهٔ اطلاعات، ومن الواضح أنّه کان مرتبکاً لما حصل لعلمه بخطأ موقفه من الحوزهٔ العلمیهٔ».

دور الإمام موسی الصدر، المطهری، البهشتی ... فی مجلهٔ «مکتب اسلام»:

ثم إنّ سماحهٔ الاستاذ أشار إلی الدور الهام والمؤثر لبعض أساطین العلم ورواد المعرفهٔ کالعلّامهٔ الطباطبائی، والشهید المطهری، والشهید البهشتی والإمام موسی الصدر والشهید مفتح (قدس اللّه أسراهم) فی دعم مسیرهٔ الفکر الدینی وکذلک دورهم الفعّال فی تفعیل المجلهٔ وحرکهٔ العلم والتبلیغ فی الحوزات العلمیهٔ حیث عبّدوا الطریق بنشاطاتهم العلمیهٔ لإنجاح الثورهٔ الإسلامیهٔ، فیقول: «إنّ أصدقاءنا فی المجلهٔ کانوا یمثلون نخبهٔ واعیهٔ من رجال الحوزهٔ العلمیهٔ الذین أصبحوا بعد ذلک من الشخصیات الکبیرهٔ فی الحوزهٔ کالإمام موسی الصدر، المرحوم آیهٔ اللّه الشهید المطهری، المرحوم آیهٔ اللّه الشهید البهشتی، والمرحوم آیهٔ اللّه الشهید مفتح (قدّس سرهم) وحتی بعض الاساتذهٔ الکبار أمثال العلّامهٔ الطباطبائی قدس سره کانوا یساهمون بدورهم وبمقالاتهم فی تفعیل المجلهٔ وتحقیق أهدافها المرسومهٔ، ونحن بعد أن اتصلنا بشرائح مختلفهٔ من أفراد الشعب أحسسنا بأنّ شیئاً ما قد حصل، وهو أنّ هذه المجلهٔ قد عبّدت الطریق للثورهٔ، وکشاهد علی ذلک أنّ کثیراً من الشخصیات المرموقهٔ التی تحتل مناصب مهمّهٔ فی النظام الإسلامی الحالی کانوا وقتذاک یتصلون بنا ویقولون: نحن من قراء مجلهٔ (مکتب اسلام) ومن صنائع المجلهٔ، والحقیقهٔ أنّها کانت کذلک، فهذه المجلهٔ کانت واقعاً اللسان الناطق باسم الحوزهٔ العلمیهٔ فی قم المقدّسهٔ، وفی الحال الحاضر فهذه المجلهٔ ما زالت تصدر تباعاً «غایهٔ الأمر أنّ بعض الاخوهٔ تکفّلوا بمسؤولیهٔ إصدارها وقد اعتذرت عن الاستمرار فی العمل معهم بسبب الظروف والمشاغل الفعلیهٔ الکثیرهٔ»، وبالطبع فانّ المجلهٔ المذکورهٔ لا تصدر الآن بالکمیهٔ السابقهٔ لأنّ مجلات إسلامیهٔ اخری والحمد للّهقد سدّت فراغاً فی هذا المجال من قبیل

المجلات التی تصدر فی الحوزة العلمیة وخارجها، السیرة المبارکة، ص: ۴۴ ولکنّ هذه المجلة کانت الشعاع الوحید تقریباً فی ذلک الزمان شقّ ظلمات الجو الحاکم فی زمان الطاغوت». ثم إنّ الاستاذ ذکر لنا خواطر عدیدة فیما یرتبط بهذه المجلة وموقف السافاک منها، وسوف نشیر إلیها فی الفصول اللاحقة إن شاء اللّه.

المسائل المستحدثة والحوادث الواقعة:

المورد الرابع فی ما یخص نبوغ الاستاذ وقدرته الخلّاقة، الحرکة الثمینة والمثمرة التی شاهدناها فی الأعوام الأخیرة فیما یتعلق بالمسائل الفقهیة المستحدثة فی الحوزةالعلمیة فی مشهد والتی بدأها سماحة الاستاذ هناک فی فصل الصیف. وبما أنّ الدخول فی دائرة الحوادث المستحدثة وبسبب جدتها وعدم طرحها سابقاً فی کتب العلماء والفقهاء وبالتالی عدم وجود المنابع والمدارک الکافیة لها وعدم الانس بهذه المدارک والمصادر، کان هذا العمل ملیئاً بالمشاکل والتعقیدات الفکریة بحیث یحتاج إلی مهارة فائقة وسعة صدر وقدرة اجتهادیة کبیرة وجرأة علی تحدی الموانع للوصول إلی نتیجة مقبولة وعملیة فی دائرة الاستنباط الفقهی، ویحدثنا الاستاذ عن نشاطه هذا فی مجال المسائل المستحدثة ویقول: «کنت أتوجه فی أیّام الصیف إلی مدینة مشهد المقدّسة وأبقی لمدّة أسابیع معدودة وذلک لمدّة عدّة سنوات، وکنت أتفرغ إلی المسائل المستحدثة فی دروس الفقه لطلاب الحوزة العلمیة فی مشهد فی تلک الفترة، وأعتقد أنّ هذه المباحث تمثل بحراً عمیقاً وموضوعاً مهمّاً من مواضیع الفقه، بسبب الظروف المتغیرة فی عنصر الزمان والمکان والظروف المعیشیة والثقافیة للمجتمعات البشریة من جهة، ومن جهة اخری فانّ نجاح الثورة الإسلامیة وتشکیل الحکومة الإسلامیة تسبّب فی خلق مسائل جدیدة فی جمیع المجالات السیاسیة والاقتصادیة والقضائیة فی امور الطب السیرة المبارکة، ص: ۴۵ والصحة والجریمة وحتی فی مسائل العبادات أیضاً، ونحن نعتقد أنّ فقهنا بإمکانه أن یستجیب لجمیع الحاجات البشریة فی کل زمان ومکان ولا توجد مسألة فی فقهنا بدون جواب، والشاهد علی ذلک ما ورد فی الأحادیث الشریفة عن المعصومین علیهم السلام فی هذا الصدد، وعلی هذا الأساس یجب علی فقهائنا البحث بجدیة من أجل استنباط الأجوبة لهذه المسائل من متون الأدلة والمنابع الغنیة للفقه الإسلامی، ونحن بدورنا بحثنا هذه المواضیع المستحدثة وتحرکنا للأجابة عن الاسئلة وعلامات الاستفهام الجدیدة فی دروس الخارج الصیفیة إلی جوار حرم الإمام الرضا علیه السلام وبالاستمداد من روح هذا الإمام العظیم، وتمّ تدوینها وجمعها بصورة کتب متعددة ثمّ طبعها ونشرها، وبحمد اللّه کانت النتیجة هی هذا الأثر الفقهی الجید، ونأمل فی المستقبل أن یقوم الفقهاء بدورهم فی إیجاد الحلول التی تلامس أزمات المجتمعات الإسلامیة فی العصر الحاضر وحلّ العُقد المستعصیة فی الفقه لإثبات أنّ الفقه الإسلامی لا یواجه نقصاً فی أی مجال من المجالات وبإمکانه الاستجابة لجمیع الحاجات البشریة والاسئلة الفقهیة للناس، وهذا بنفسه یشکل علامة من علامات خلود الدین الإسلامی المقدّس».

فکر جدید بهیئة جدیدة:

والمورد الخامس والأخیر من الموارد المتعلقة بنبوغ الاستاذ وإبداعه الفکری هو مجموعة الابتکارات فی مجال الفکر الدینی سواء فی مسائل التفسیر، العقیدة، الاجتماع، الأخلاق وغیر ذلک. ویری الاستاذ أنّ مجرّد تغییر المقالة والقالب والشکل من دون إجراء تغییر فی المضمون والمحتوی هو أمر غیر ممکن، ویعتقد بأنّ المنهج فی التعلیم الدینی بحاجة إلی تحول جذری مضافاً إلی إجراء تغییرات أساسیة فی کثیر من المسائل، ومن هذا المنطلق السیرة المبارکة، ص: ۴۶ تحرک الاستاذ فی کتاباته وتصنیفاته من خلال ابداع اسلوب جدید فی تدوین المفاهیم الدینیة والتعالیم الإسلامیة «۱»، فقد کان الاستاذ فیما مضی یدرّس طلابه أسالیب الکتابة ویصرّ دائماً علی لزوم تجنّب التکلّف فی الکتابة وترک التعقیدات البلاغیة والمفهومیة، وسیأتی الکلام عن سلاسة قلم الاستاذ فی المواضیع اللاحقة. وبنظرة فاحصة إلی «التفسیر الأمثل» من هذه الزاویة نری– ولعله لأول مرّة– وجود تقسیم للبحوث التفسیریة إلی قسمین أساسیین: ۱–

البحوث التوضيحية والأدبية المتعلقة بظاهر الآيات والجمل والمفردات. ٢- الملاحظات والمعطيات. وبهذه الصورة تجلّى هذا التفسير بشكل مقبول لـدى الذهنيـة المسلمة فى مجال المفاهيم التفسيرية لجميع الناس على اختلاف مستوياتهم الثقافية، وهذا يمثّل أفضل شاهد على المدّعى، وهذا المنهج نجده بشكل أكمل فى تفسير «نهج البلاغة» حيث يبتدىء الاستاذ فى هذا الكتاب بالتحقيق والبحث فى سند الخطبة (وبالطبع فانّ الهامش يختص بالجهات الفنية واللطائف العلمية التى تخرج عن دائرة اهتمام العامة من الناس) ثم ينطلق الاستاذ فى شرح الخطبة بعد تقسيمها إلى عدّة أقسام منسجمة ومتناسبة، أى أنّه يشرع بتفسير وشرح كل عبارة منها بصورة مستقلة ويبيّن مراد المتكلّم ومضمون العبارة منها وارتباطها بما قبلها وبعدها، وفى المرحلة الثالثة يبيّن الاستاذ الملاحظات والمعطيات فى هذا المقطع من الخطبـة الكريمـة تحت عنوان مناسب، وفى المرحلـة الرابعـة نجـد اهتماماً بمعنى المفردات اللغويـة والمعقـدة وذلـك فى الهامش «وهذا الموضوع أيضاً خارج دائرة اهتمام العامة من الناس»، وفى آخر مرحلة نقرأ ترجمة فارسية لهذا المقطع من الخطبة. هذا الاسلوب من البيان والشرح الذى يحلل فى طياته العبارات الصعبة والمغلقة فى السيرة المباركة، ص: ٤٧ الظاهر من خطب نهج البلاغة ويقدّمها للخاص والعام بشكل مريح للذهن وسهل الهضم، هـذا بنفسه دليل واضح على المـدّعى، كما هو الحال فى مجلة «مكتب اسلام» لسماحة الاستاذ حيث نجد فيها هذا المنهج المبتكر فى عرض المعارف الدينية والمفاهيم الإسلامية بقوالب عصرية مناسبة لـذلك الوقت. المورد الآخر: التفسير الموضوعى «نفحات القرآن» الـذى يعد- انصافاً- منهجاً جديداً وإبداعاً فى دائرة العرض والبيان وهو عبارة عن دورة كاملة فى اصول العقائد والمعارف الاعتقادية والأخلاقية فى القرآن الكريم، ومن الجدير أن يكون هذا الكتاب، كما ذكر ذلك بعض اساتـذة الحوزة العلميـة، كتاباً دراسياً فى الحوزات العلميـة. وقد تحرك الاستاذ فى هذا الكتاب من منطلق بيان وبحث جميع المواضيع المتعلقة بالعقيدة الإسلامية من باب فلسفة المعرفة إلى مباحث المعاد والعدل والإمامة، وكذلك البحوث المتعلقة بالحكومة والأخلاق الإسلامية فى الآيات القرآنية (مع تطعيمها بالروايات الشريفة والنكات التاريخية المتعلقة بها) وذلك بأن يبدأ البحث باستعراض مجموعة الآيات المتعلقة بذلك الموضوع العقائدى، ثم يشرع الاستاذ بأسلوبه السلس ومنهجه التفسيرى بشرح وبيان معانى الآيات الكريمة بعد ترجمتها، ثم يبيّن الملاحظات المهمّة المستخلصة من فذلكة هذه الآيات وعلاقتها بالموضوع العقائدى محلّ البحث، وهكذا يأتى على بقيت الآيات الكريمة. المورد الرابع: كتاب «أشباه الفلاسفة» فبغض النظر عن الابداع المهم فى محتويات ومضامين هـذا الكتاب (كما تحدثنا عنه فى الفصل السابق) فإنّه قد بلغ الـذروة فى عالم الابداع والتجديد على مستوى عرض المفاهيم وبيان المواضيع العلمية فى هذا الكتاب ولا سيّما الكتب فى دائرة الحوزة العلمية والدراسات الدينية، لأنّه أولًا: قد مزج النقد العلمى للماركسية والمادية بالحقائق الاجتماعية والتاريخية الجذّابة. وثانياً: تمّ اخراجه بشكل قصة رائعة تتناول موضوعاً علمياً معقداً، ويحدثنا الاستاذ فى هـذا الصدد فى مقدمة هذا الكتاب: السيرة المباركة، ص: ٤٨ «لقد كنت منذ سنوات أقرأ وأتأمل (فى المذهب الماركسى والعواقب الوخيمة المادية والمعنوية المترتبة على هذا الفكر الخطير تجاه المجتمع البشرى، ولكنّ المانع الكبير الذى يتجلّى للباحث قبل كل شىء هو عدم اطلاع أغلب الناس على المصطلحات الفلسفية الجديدة والقديمة، ولذا قمنا بحذف هذه المصطلحات أو تبديلها بعبارات سهلة وميسورة، بدون أن تفقد قيمتها الحقيقة، مضافاً إلى ذلك فانّ المواضيع العلمية المذكورة فى هذا الكتاب تمّ دعمها بمجموعة من الحقائق التاريخية والاجتماعية الجذّابة من أجل تسهيل فهم مضامين هذا الكتاب وتمّت صياغتها فى قالب قصصى جميل» «١». ولذلك لا نتعجب إذا رأينا إنّ هذا الكتاب تكرر طبعه (أربعين مرّة) وحظى باستقبال واسع فى صفوف المؤمنين. المورد الخامس: «كيف نتعرّف على اللَّه» حيث ذكر سماحة الاستاذ فى مقدّمة هـذا الكتاب: «إنّ الفلاسفة اختاروا طريقاً خاصاً لمعرفة اللَّه، واختار علماء الكلام طريقاً آخر، وعلماء الحديث اختاروا بدورهم طريقاً ثالثاً، ونأمل أن نسلك فى هذا الكتاب طريقاً يجمع بين مزايا جميع تلك الطرق، وفى نفس الوقت نتجنّب نقاط الضعف فيها، وذلك سعينا على مستوى جمع تلك البحوث وإدغامها وسلوك طريق معتدل يوصلنا إلى الحقيقة بشكل أفضل» «٢». وعلى أيّة حال فانّ الفكر الجديد يتطلب عرضاً جديداً وصياغة جديدة فى الاسلوب لأننا نرى فى هذا العصر الجديد مستمعين وقراء جدد، وذلك يقتضى صياغة المعارف والمفاهيم الدينية صياغة

جديدة ويتمّ تبليغها إلى الناس بأحدث الوسائل والإرتباطات وأجهزة الإعلام، فالاستاذ كان ملتفتاً بدقّة إلى المتغيرات الكبيرة التى حدثت فى هذا العصر السيرة المباركة، ص: ۴۹ وكتب فى مقدّمة كتابه «دوافع ظهور الأديان» يقول: «إنّ تصادم الأفكار فى عصرنا الحاضر، عصر ثورة الارتباطات والمعلومات الهائلة، أمر حتمى وغير قابل للاجتناب، إنّ صراع العقائد والحضارات فى عصرنا أوسع وأعمق بكثير من الحروب العسكرية، ووجود أدوات الإعلام المتطورة والأجهزة الدقيقة فى مجال نشر الثقافات قد زاد فى مساحة هذا السجال والصراع الثقافى بحيث إنّ نصف سكان المعمورة «مليارى شخص تقريباً» يتمكنون من مشاهدة مباراة لكرة القدم مثلًا بهذه الأجهزه المتطورة فوراً وفى وقت واحد، أو يتمّ طبع مجلة أو صحيفة بعدّة ملايين من النسخ وتوزع فى خمس قارات فى العالم، ومن ذلك ندرك جيداً أهميّة صراع وتصادم العقائد من خلال الاستفادة من هذه الأجهزة المتطورة، ولإدراك أهميّة هذا الموضوع يكفى أن نعلم أنّنا إذا أردنا أن نعقد جلسة فى كل يوم يبلغ عدد الحضار فيها ألف نفر فانّ توفير ذلك العدد الغفير من المستمعين سوف يستغرق ستة آلاف سنة، أى يستغرق جميع التاريخ البشرى المرقوم، أو إذا أردنا طبع كتاب منذ بداية التاريخ البشرى إلى الآن فى كل سنة مرّة بمقدار مائة ألف نسخة، فستكون بمجموعها بمقدار نسخ إحدى الصحف اليومية فى بلادنا فى الوقت الحاضر» «۱». وفى ختام هذا الفصل نرى من الضرورى الإجابة عن هذا السؤال، وهو أنّ مثل العقل المبدع والخلّاق هل يوجد فى جميع أفراد البشر أو يحظى به بعض الأفراد فقط؟ وعلى أيّة حال كيف نتمكن من ترشيد قوّة الابداع فى العقل البشرى وتجسيدها فى الواقع الفعلى؟ بالنسبة إلى جواب السؤال الأول، ينبغى القول إنّ هناك شواهد من الآيات والروايات تدلّ على أنّ جميع أفراد البشر يمتلكون نوعاً من الابتكار وبالابداع بالقوّة، وأساساً فانّ هذا الأمر يعد من امتيازات النوع البشرى على سائر الأنواع، ويمكن أن تكون الآية الشريفة السيرة المباركة، ص: ۵۰ «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» «۱» ، ناظرة إلى هذا المعنى.

كيف يتمّ ترشيد قوّة الابداع والابتكار؟

وفى مقام الجواب عن السؤال الثانى يمكن القول إنّ أحد أسباب نمو وتفتح الابداع والابتكار فى الإنسان يكمن فى حصول الشك بل الوسواس فى كل مسألة من المسائل التى ترد على ذهن الإنسان. فإذا كانت المسألة المطروحة على ذهن الطالب تمثّل عقدة مستعصية عن الحلّ ويفضى ذلك إلى أن يعيش هذا الشخص الشك فى نظرات وأفكار الآخرين بل فى كل فكرة ورأى فانّ مثل هذا الشخص لا يذوق طعم الراحة قطعاً بل يتحرك بجدية وبسعى كبير فى دائرة الابداع والابتكار. والشاهد على ذلك ما ذكره سماحة الاستاذ من حكاية فى مرحلة شبابه قال: «لقد واجهت فى بداية دخولى إلى الحوزة وسواساً عجيباً فى جميع الأبواب وبدأ ذلك من مسائل الطهارة والنجاسة ثم اتسعت دائرة هذا الوسواس تدريجياً وشملت جميع الأبواب الفقهية وحتى العقائدية أيضاً ابتليت بالوسواس فى جميع الامور وأحياناً بلغ إلى درجة أننى كنت أشك فى وجودى أيضاً، أو أننى كنت فى حالات اليقظة أشك هل أنّنى الآن فى حالة النوم أو اليقظة؟ وامتدت ظاهرة الوسواس حتّى أننى عندما أتذكرها الآن فانّها تثير الضحك، مثلًا كنت فى صباح شهر رمضان عندما أتيقن من طلوع الفجر كنت أشك هل طلعت الشمس أم لا؟!».

جذور الوسواس:

ويتحرك الاستاذ فى تفسيره وتحليله لهذا الوسواس العميق والواسع على مستوى السيرة المباركة، ص: ۵۱ البحث عن علله وجذوره ويقول: «أنا أعتقد أنّ بعض هذه الظاهرة تعود إلى خصوصية معينة فى مرحلة البلوغ التى كنت أقترب منها، ومعلوم أنّ مرحلة البلوغ تمثّل مرحلة الاستقلال الفكرى، والشخص فى هذه المرحلة يودّع التقليد والتبعية للآخرين، ولذلك فلو افتقد التعليم الكافى فمن الطبيعى أن يبتلى بالوسواس، والقسم الآخر من الوسواس يمثّل افرازات لحالة الجهل لعدم الاطلاع على المسائل الفقهية فى دائرة الطهارة والنجاسة، والحلال والحرام وأمثال ذلك، فلو أنّ المكلّف تعلم هذه المسائل جيداً فسوف يتخلص من هذا النوع من

الوسـواس، وهنـاك قسـم آخر من الوسـواس يتفرع على حالـة الفراغ والبطالـة، فلـو أنّ الإنسـان وجـد له عملًا فـإنّه سـيغفل عن ذلك الوسواس، ولم أكن وسواسـياً من القسم الثالث قطعاً لأننى كنت أشتغل أكثر من اللازم، ولكننى كنت أقترب من مرحلة البلوغ الفكرى والنضـج العاطفى، ووقفت فى مقابل عشـرات أو مئات علامات الاسـتفهام التى دارت فى ذهنى من دون العثور على جواب مقنع، هذه الحالة استمرت بعد البلوغ إلى ما بعد سن العشرين وكانت تؤرقنى كثيراً، وكانت على شكل مجموعة من الأسئلة والإشكالات المعقدة من قبيـل إشـكالات «هيوم» المعروفـة حول برهان النظم وإشـكالات اخرى كثيرة من قبل التيار المادى والفكر الوضـعى والوهابى وغير ذلك، فكانت تعصف بى وتضـغط على روحى وفى ذلك المحيط الفكرى لم يكن هناك من مجيب على هذه الأسـئلة والمشـكلات الفكرية، لقد كان استاذى رجلًا فاضلًا ولكنّه كان يدور فى دائرة علم الكلام التقليدى ويجيب عن بعض المشكلات الفقهية فحسب».

النتائج النفسية والبدنية الوخيمة للوسواس:

ثم إنّ الاسـتاذ تحدّث عن الآثار والنتائج النفسـية والبدنية للوسواس التى كان يعيشها وتحملها فى ذلك الوقت وقال: «فى هذه المرحلة تحملت متاعب وآلاماً كثيرة وكنت أشـعر بالهزال والـذبول يوماً بعـد آخر، وافكر باسـتمرار فى حالتيالوخيمـة حيث كنت أشـعر أننى غريب عن الجميـع وأنّ الجميع غربـاء عنى، وكنت أتصور أننى أعيش فى عـالم يختلف عن العـالم الـذى يعيش فيه الآـخرون، وكنت أشـعر بالرغبة فى الصـلاة ولكن ما تنفع الصـلاة؟ كنت اريد أن يجيبنى أحدهم عن مجموعة الأسـئلة والإشكالات التى تدور فى ذهنى عن المبدأ والمعاد واصول الدين وفروعه، وعندما اشـتدّ ضغط هذه الأفكار علىَّ كنت أخلو أحياناً لوحدى وأجهش بالبكاء متوسلًا إلى اللَّه تعالى أن يفتح لى أبواب معرفته وينقذنى من هذا الوسواس، كان قلبى يحبّ الاستيقاظ آخر ساعة من الليل لُاصلى فيها صلاة الليل واناجى ربّى ولكن الاستيقاظ فى هـذه الساعة لشاب مثل عمرى كان صـعباً للغاية، فقررت شـراء ساعة لتوقظنى بصوت جرسـها، وكان أحـد تلامذتى ولعله كان يعمل فى حانوت لبيع الساعات قد جاءنى بساعة ذات جرس وقال: إنّ قيمتها ثلاثة عشـر توماناً، فما كان منى إلّاأن أعدتها إليه باحترام لأنّ حقوقى الشـهرية لا تتجاوز ثلاثة تومانات للشـهر الواحد، يعنى (ثلاثين ريال) فى ذلك الوقت، وعليه فلا يمكننى شراء ساعة بهذا المبلغ».

بركات الوسواس:

وفى الختام تطرق سـماحة الاستاذ لبيان المعطيات الإيجابية للوسواس وبركاته الخاصة وطرق علاجه أيضاً، فقال: «إنّ هذا التعب والألم بالرغم من شدّته إلّاأنّه لا يخلو من بركات كثيرة السـيرة المباركة، ص: ۵۳ أيضاً، حيث أجبرنى على مطالعة كتب الأعاظم والعلماء فى دائرة العقائـد والكلام والتـدقيق فى أدلتهم والتدبر والتأمل فى الآيات القرآنية والروايات الشـريفة، ولعل هذه المعارف أصـبحت بمثابة رأس مـال فكرى لمـا سأقوم به من تـأليف وتصـنيف لكتب كـثيرة فى اصول الـدين لاحقـاً. ومن أجـل التعرف على المسائـل الفرعية والعمليـة المتعلقة بالامور الفقهية ولغرض قلع الوسواس من جذوره، بدأت بمطالعة «العروة الوثقى» وأعدت قراءته مرات عديدة، فكان هـذا سـبباً لخلق ملكـة فقهيـة لدىّ بحيث تسـلطت على المسائل الفرعية (ولكن ليست بصورة اسـتدلالية بل بصورة عادية) وأتصور أنّ الإنسان إذا واجه الوسواس بهـذه الصورة ومن موقع التأمل الفكرى والعقلى فانّ ذلك من شأنه أن يمنحه حركة فكرية قوّية، ولكن إذا اتخـذ موقفاً سـلبياً من الحيـاة وواجه الوسواس من موقع اليـأس فربّمـا يؤثر ذلك سـلبياً على عقيـدته وإيمانه ويتحرك بالتالى فى خط الانحراف والكراهيـة للدين كما كنت أرى مثل هذه النماذج طيلة حياتى فى أجواء المجتمع المتدين، ومن هنا اوصـى أعزّائى المبتلين بحالـةالوسواس أن يتوجهوا من أجل علاج الوسواس إلى الشخصـيات المجربـة والعالمـة. وعلى أيّـة حال لقـد وجدت فى نفسـى أننى أعيش عاصـفة فكرية وطوفاناً فى روحى واسـتمر هذا الحال لسـنوات عديدة ولكن لم تمنع هذه الحالة استمرارى فى الدرس والبحث بل بالعكس كنت أحسّ بالنشاط فى الـدرس والاهتمام بالاشـتغالات الفكريـة التى كانت تسـكّن ما أشـعر به من اضـطراب، وعلى أيّة

حال كنت أعيش هذه الحالة من الصراع النفسی عندما دخلت فی صفوف الحوزة العلمية فی قم» «۱». السيرة المباركة، ص: ۵۵

۴ الجدّية والاستقامة

اشارة

من خصوصيات سماحة الاستاذ أنّه كان يتسم بالاستقامة والجدّية فی أعماله وكان يتحرك فی تحصيل العلم بقوّة ومثابرة بعيداً عن أی تساهل وتسامح فی هذا الأمر. وأتذكر دائماً نصيحتين للاستاذ فی هذا المجال، وهما: أ) ينبغی الشروع فی العمل بقوّة وجدّية ولا ينبغی التسامح والتماهل أبداً فی البداية، وهذه النقطة يذكرها سماحة الاستاذ مراراً فی بداية كل سنة دراسية وبلحن محرك ومثير ويقرأ فی هذا الصدد قوله تعالی: «يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ» «۱». وأحياناً يقرأ بيتاً من الشعر يفور حرارة واخلاصاً وجدّية ويقول: أنا لا أقول كن ملكاً أو كن فراشة ولكن إذا احترقت بنيران العشق فكن رجلًا ب) ويشترط بعد الشروع فی العمل أن يستمر الإنسان فيه ولا يشعر بالتثاقل أو يتقطع فی عمله، ويتمسك الاستاذ، أولًا: بهذه الآية الشريفة: «وَ الَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» «۲». ويقول: إن رمز التوفيق والنجاح لطالب من طلاب الدروس الدينية أمران: أحدهما: الجهاد والسعی بجدّية «جاهدوا». والآخر: خلوص النيّة «فينا». وثانياً: كان الاستاذ يشير إلی حوادث التاريخ ويقول: إذا تصفحتم تاريخ العظماء من السيرة المباركة، ص: ۵۶ الرجال وقرأتم سيرة أساطين العلم الذين بذلوا جهدهم فی خدمة الإسلام وحملوا راية العلم والدعوة إلی اللّه لوجدنا أنّ أغلب هؤلاء العظماء لم يكونوا يتمتعون بنبوغ خارق بل إنّ كثيراً منهم يملكون قابليات متوسطة ولكنهم تحملوا فی هذا السبيل المشاق والمخاطر وأتعبوا أنفسهم فی هذا السبيل «۱».

المهم ترشيد الشخصية:

وببيان آخر: أنّه حتی المتوسطين من الناس إذا تحركوا بعزم وجدّية فی خط الاستقامة والرسالة فإنّ قابلياتهم الكامنة بالقوّة تصبح بالفعل وتتحرك فی مسيرها الواقعی، وبذلك يتمكنون من أن يخطوا خطوات واسعة علی مستوی خدمة الدين والبشرية، فالكثير من السيرة المباركة، ص: ۵۷ الناس يتمتعون بالمقدرة الخطابية أو الأدبية بالقوّة ولكنهم لم يبذلوا جهدهم فی سبيل تفعيل هذه المقدرة النفسية ولم يمارسوا عملًا من أجل تقوية هذه الملكة فيهم ولذلك بقوا فی حالة متخلّفة فلا هم يستطيعون الخطابة ولا يتمكنون من كتابة مقالة أو تأليف كتاب. ويحدّثنا الاستاذ فی هذا المجال ويقول: «لا شك أنّ فنّ الكتابة والخطابة لم يمنح للبشر علی السويّة، ولكن علی أيّة حال فانّ كل شخص يمتلك مقداراً من هاتين الموهبتين ينبغی أن يمارس عملية تفعيل هذه الملكة ويجسد هذه الموهبة علی أرض الواقع العملی بأن يخطب أو يكتب ويدافع عن معتقده ورأيه، بالرغم من أنّ موهبة الخطابة أو الكتابة يجب أن نضعها فی دائرة الفنون الإنسانية المهمّة بل هی أهم الفنون ولكن باعتقادی إنّ فنّ الكتابة أو الخطابة ليس مثل فنّ الشعر الذی يملك تذوقه بعض الناس ويفقده البعض الآخر، وعلی هذا الأساس يجب علی جميع الفضلاء وطلّاب العلوم الدينية أن يتحركوا فی هذا السبيل ويبذلوا قصاری جهودهم من خلال التمرين والممارسة والتتلمذ لدی استاذ ليتسلحوا بهذين السلاحين ويكونوا من الخطباء أو الكتّاب المتميزين، وأنا بدوری لم يكن لدی موهبة الكتابة فی مرحلة الابتدائية والثانوية، فعندما كنت أكتب موضوعاً إنشائياً فی المدرسة لم يكن إنشائی أفضل من الآخرين لعدم وجود الأرضية المناسبة لتفتح هذه القابلية والملكة، ولكن تجربتی الشخصية تحكی عن أنّ الإنسان إذا أراد تقوية وتفعيل هذه الملكة فی نفسه يجب عليه مطالعة آثار الكتّاب والادباء الجيدين، وهكذا فعلت فی هذا المجال وقرأت كتباً عديدة مشهورة بقوّة الأدب وقد طبعت مرّات عديدة وكانت مورد استقبال الناس فی مجالسهم وكلماتهم. وهنا تجربة اخری أيضاً وهی أن يشتغل الطالب فی هذا المجال تحت السيرة المباركة، ص: ۵۸ نظر مرشد واستاذ فانّ ذلك من شأنه

الاسراع فى عملية ترشيد المواهب الفنية لدى الطالب، ولكننى مع الأسف كنت أفتقد الاستاذ فى الكتابة، واقتصرت على الطريق الأول وهو قراءة الكتب الجيدة للآخرين (وهذا أيضاً من قبيل الاستفادة من الاستاذ) ولكن الأشخاص الذين اشتركوا فى جلساتنا وتعلموا فن الكتابة بصورة منظمة كانوا أسرع من غيرهم فى اقتباس هذا الفن وتجسيده فى الخارج على شكل تأليف كتب جيدة».

أهميّة التأليف والخطابة:

يتحدث الاستاذ عن أهميّة فنّ التأليف والخطابة بقوله: «لقد ذكرت الآيات القرآنية والأحاديث الإسلامية هاتين الموهبتين بعنوان أنّهما من المواهب الإلهيّة الكبيرة للإنسان، مثلًا نقرأ فى سورة «الرحمن» بعد أن يتحدث عن خلق الإنسان يذكر مباشرة مسألة تعليمه البيان: «الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيانَ» «۱» ، ويقول تعالى فى الآية الاولى من سورة القلم: «ن وَالْقَلَمِ وَما يَسْطُرُونَ»، حيث يقسم اللَّه بالقلم وبمحتويات القلم، ومن هنا يتضح جيداً أهميّة هذا الأمر حيث يقسم اللَّه تعالى دائماً بالامور المهمّة. أمّا الأحاديث الشريفة فقد سمعتم جميعاً الحديث المعروف: «مدادُ العلماءِ أفضلُ مِن دِماءِ الشُّهَداءِ»، لأنّ قلم العلماء وتأليفاتهم هى التى تبعث على حركة بالشهداء من أجل الدين والفضيلة، مضافاً إلى أنّ الحافظ لدماء الشهداء هو قلم العلماء، وقد ورد فى الحديث النبوى المعروف: «إذا مات المؤمن انقطع عمله إلّامن ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» «۲». السيرة المباركة، ص: ۵۹ ولنستمع إلى ما ذكره أحد الأصدقاء وهو «آية اللَّه ذاكر الشيرازى» يحدثنا فى هذا المجال عن حادثة شيّقة ويقول: «إنّ أحد الامور الدخيلة فى نجاحى فى الحياة هو النشاط والجدّية التامة فى العمل، وأتذكر أننى كنت فى شيراز فى مدرسة (آقا بابا خان) كنت أشتغل طيلة اليوم والليلة ما عدا أربع ساعات للنوم والاستراحة مع أننى كنت أستغل أيّام العطل أيضاً للعمل والمطالعة والبحث العلمى». ويحدّثنا صديق آخر وهو «حجّة الاسلام والمسلمين مؤمن الشيرزاى» بهذه الحكاية: «إنّ أحد الخصوصيات التى أعلمها عن الاستاذ أنّه كان كثير الاشتغال والنشاط، وعندما توفى والده ذهبنا لتشيع جنازته وعدنا إلى المدرسة، ولكنّه توجه إلى بيته وجاء صباح الغد إلى الدرس، وكان يشتغل بالدرس والبحث طيلة أيّام السنة فى تلك المدرسة حتى أيّام العطلة ما عدا أيّام الجمعة وثلاثة أيّام اخرى فى السنة: يوم عاشوراء و ۲۸ صفر و ۲۱ من شهر رمضان، فكان جاداً فى عمله وعندما قدم إلى مدينة قم حضر درس المحقق أية اللَّهالعظمى الداماد وكان من طلّابه المقرّبين». السيرة المباركة، ص: ۶۱

۵ المداوة والاستقامة «۱»

اشارة

من الامور الجميلة أنّ سماحة الاستاذ لا يوجد فى قاموسه معنى ومفهوم لكلمة العطلة، فعندما يدخل إلى المدرسة يتوجه فوراً إلى غرفته الخاصة ويبدأ بالمطالعة والكتابة إلى أن يحين وقت خروجه من المدرسة، وهكذا كان حاله فى جميع أيّام السنة، ولعلّه يمكن القول أنّه كان يستفيد من أيّام العطلة أكثر ممّا كان يستفيده من أيّام التحصيل والدرس. ولو لم يكن كذلك فلا يعقل أن يتمكن الاستاذ من الانتهاء من تفسير القرآن بأجمعه وبذلك التفصيل والشمولية خلال خمسة عشر سنة، هذا العمل والفعالية كما يعبّر عنها بعض اساتذة الحوزة العلمية المعروفين أنّها من المواهب الإلهيّة، واللطيف أنّ هذا الرجل المملوء حزماً وتصميماً كان لا يترك السعى والاشتغال حتى فى أيّام المنفى، فعندما أمرت حكومة الطاغوت بتبعيده كان الاستاذ يعقد جلسات تفسيرية فى محلّ المنفى «۲». السيرة المباركة، ص: ۶۲ ويحدثنا الاستاذ عن هذه القضية ما يلى: «أتذكر أننى كنت أكتب التفسير الأمثل ليل نهار ولم يكن لدى وقت إضافى، وفى أيّام التبعيد والنفى كنت أشتغل بكتابة التفسير الأمثل، لأننى كنت أملك وقتاً كثيراً لهذا العمل، وكان يشترك معى عشرة من الأصدقاء بحيث كان يأتى إلى محلّ التبعيد شخصان منهم على التوالى، وبالطبع كان مجيئهم إلى ذلك المكان يتضمّن مخاطرة

ومشاكل سياسية وغير سياسية، ولكن في النهاية كانوا يأتون إليّ في ذلك المكان، وهكذا استمر العمل، وأحياناً كنت أشتغل بتأليف كتاب وأنا مسافر بالقطار أو في الطائرة ولكن الكتابة في السيارة كانت تواجه بعض الصعوبة فكنت أشتغل بالتفكير وكتابة بعض الملاحظات والنقاط، والكثير من الموضوعات والأشعار كتبتها في أسفاري، وباعتقادي أنّ جميع المؤلفين الكبار هم من الأشخاص الفاعلين والنشيطين».

العمل أربعة عشر ساعة في اليوم والليلة:

ويحدّثنا هذا الاستاذ الكبير في هذا المجال ويقول: «لم أكن بحمد اللّه أتعب من العمل، والآن وقد بلغت من العمر سبعين السيرة المباركة، ص: ۶۳ سنة فأنا أعمل أحياناً في بعض الأيّام مدّة أربعة عشر ساعة في اليوم، وبما أنني أحبّ العمل والفعالية فانّ هذه الرغبة تسبب زيادة روح النشاط في نفسي بعيداً عن حالة التعب، ولعلّكم تعجبون ممّا أذكره لكم بأنني أحياناً أغرق في العمل إلى درجة أنني إذا أردت تقليم أظافري فإنني أقوم بتقليم أظافر كفّ واحدة في هذا اليوم ولا أجد وقتاً كافياً لتقليم أظافر اليد الاخرى، فاوكل أمرها إلى الغد، وأحياناً لا أجد الوقت لأن أشرب الماء، ولا أحسّ بذلك إلّاإذا اشتدّ بي العطش لأنني لا أجد فرصة في أثناء عملي لشرب الماء، هذه الامور قد تورث العجب لدى البعض ولكن بالنسبة إلى الأشخاص الذين يعيشون قريباً من هذه الأجواء فلا يتعجبون من ذلك، والأقرباء والأهل بدورهم يدركون جيداً هذه الحالة». وهذه الملاحظة تحلّ مسألة كثرة تأليفات الاستاذ «أكثر من مائة كتاب» وترد شبهة العجلة في كتابة وتأليف هذه الكتب بأن تضحي العجلة بالكيفية لحساب الكمية، «وربّما تصحّ هذه المقولة بالنسبة لبعض المؤلفين الذين عُرفوا بكثرة تأليفاتهم» فالشخص الذي يشتغل أربعة عشر ساعة أو أكثر في اليوم لا نتعجب لكثرة تأليفاتهم، وكما يقول بعض «۱» أصحابه عنه: «كان يستيقظ آخر ساعة من الليل وبعد الإتيان بالنوافل يصلي صلاة الصبح ثم يشتغل بالمطالعة إلى أن يحين موعد تناول طعام الفطور ثم يخرج من غرفته لممارسة نشاطاته العلمية الاخرى من الدرس والتدريس». ولا سيّما إذا أخذنا بنظر الاعتبار سرعة العمل وملكة النبوغ الذاتي والذهن الخلّاق الذي مرّ الكلام عنه سابقاً وسرعة البديهة ودرك المطالب والمسائل العميقة فانّ مثل هذا الشخص يمكنه الجمع بين كثرة التأليف والدقّة والعمق في مجال الموضوعات العلمية.

الكمية لا تكون على حساب الكيفية:

ويحدّثنا الاستاذ عن هذه الخصوصية في تأليفاته ويقول: «إنني اوصي دائماً بعدم العجلة في الامور وخاصة في مجال التأليف، فالتأليف مثل السهم المنطلق من القوس عندما ينطلق ويخرج من سيطرة الإنسان وينتشر في المجتمع لا يمكن بعد ذلك جمعه وإعادته، فأنا اوصي الاخوة في هذا المجال وفي المجالات الاخرى أن لا يضحّوا بالكيفية فداءً للكمية، علينا الاقلال من الكتابة لحساب زيادة الجودة والكيفية، فلعلّكم تشكلون عليّ بأنّك أكثرت من التأليف وكتبت كتباً كثيراً حيث يبلغ عددها مائة وعشرين كتاباً. جوابي عن هذا الإشكال أنني إذا أردت أن اضحي بالكيفية لحساب الكمية فانني قادر على أن أكتب أكثر من ذلك بكثير، ولكنّ بعض هذه التأليفات قد كتبتها مرّتين أو ثلاث مرّات قبل طبعها، وهذا الأمر حصيلة كثرة العمل والفعّالية (أحياناً أعمل أربعة عشر ساعة في اليوم) ولا أعتقد أنني قد أكثرت من كمية التأليفات على حساب اهتزاز الكيفية والجودة».

۶ العشق للعمل

اشارة

ممّا لا شك أنّ أحد عوامل زيادة النشاط والفعالية هو أن يمتلك الإنسان حالة العشق للعمل والطريق الذي يختاره الإنسان في حركة

الحياة، فلو أنّ هذا العشق لم يكن عشـقاً أعمى بل يتحرك من موقع الحِكم والمصالح المعقولة فإنّه سيكون سبباً لكثرة العمل وزيادة النشاط وعدم التعب، وكذلك يورث الإنسان استمرارية وجدّية فى عمله، مثلًا إذا اختار الإنسان فرع العلوم الدينية واشـتغل فى الحوزة العلميـة حيث تعتبر هـذه العلوم والـدراسات من أفضل وأسـمى الفروع العلمية لأنّها تتسبّب فى هداية الناس وإرشادهم، وهذه المسألة تعتبر من أعظم الحاجـات فى المجتمع البشـرى، فالمجتمع الـذى يخلو من الأخلاق والإنسانيـة فإنّه بمثابـة جسـد بلا روح (ولا يختلف حاله عن المجتمع الحيوانى بل يكون أقصى وأشدّ توحشاً وانحطاطاً حتى لو كان يملك أعلى قدرة تكنولوجية ويملك أحسن الأطباء والمهندسين والفنانين فى مختلف العلوم والفنون) فلو أنّ الإنسان تحرك من هذا المنطلق وسلك فى حياته هذا الخط أى أنّه سلك طريق الأنبياء واتخذ مهمّة أولياء الدين عملًا له وجعل من نفسه جندياً للدين وخادماً للإمام صاحب الزمان عليه السلام، وعاش فى هذه الأـجواء من العشق للتحقيق والتـأليف، فمن المسـلّم أن يكون مثل هـذا الشـخص كثير النشاط والفعاليـة ولا يتعب ولا يمل من التحقيق والعمل والدراسة ولا يقف فى وسط الطريق بدون إكمال المسيرة الرسالية.

خمس الأبناء يقدّمه إلى الإمام المهدى عليه السلام:

لقد وضع استاذنا قدمه فى هذا الطريق بهدف أن يكون جندياً من جنود صاحب الزمان عليه السلام، بل أنّ والده بنيّة خالصة كما يعبّر أيـة اللّه موحـد (اسـتاذ اسـتاذنا)، قـدّم ابنه هذا بعنوان أنّه خمس أبنائه إلى الإمام المهدى عليه السـلام، ومن هنا شـعر الاسـتاذ بالعشـق الملتهب فى وجـدانه يزيـل عنه كـل أشـكال الكسل والتعب ويسـلب منه طعم الراحـة. وحكى لنا سـماحة الاسـتاذ عن عمل والـده فى تقـديمه إلى الدراسة وقائلًا: «بما أنّ الدروس العلمية فى مدرسة خان فى شـيراز كانت متقطعة من جهة، ومن جهة كنت أعيش العشـق الملتهب لتحصـيل العلوم الدينيـة وقد ملك هذا العشق جميع وجودى وألهب روحى فلم يرونى هذا المقدار القليل من الدراسة، وكان أن انتهت امتحانات السـنة الثالثـة فى المدرسـة الثانوية وانتقلنا إلى مدرسة اخرى تدعى «آقا بابا خان» من المدارس المعروفة فى شـيزار والتى يـدرس فيها الطلّاب جميع الوقت، فتوجهت إلى آيـة اللّه موحـد وبـدأت أتتلمـذ عنـده، وفى أحـد الأيام جاء آية اللّه موحد إلى السوق وحضـر فى دكان والـدى وقال له: أنت والد لخمسة أبناء أحدهم ناصـر، فاجعل هذا الولد بعنوان خُمس أبنائك للإمام صاحب الزمان عليه السـلام ودعه يحضـر دروسه الدينية بشـكل منظم، فوافق والدى، وذلك فى وقت كان لى من العمر ثلاثة عشـر سـنة وكان والدى فى أمس الحاجة إلىَّ».

العشق للإمام صاحب الزمان عليه السلام:

ويتحـدّث سـماحة الاسـتاذ عن حبّه الشديـد للإمام صاحب الزمان عليه السـلام ويقول: «لا أتـذكر بالدقّة كم كان لى من العمر عنـدما شعرت بالعشق الشديد لمعرفة اللّه وأولياء الدين وخاصة الإمام صاحب الزمان (عج)، ولعلّه كان لى السيرة المباركة، ص: ٦٧ من العمر اثنتا عشرة سنة حيث كنت أشعر دائماً بأننى أبحث عن ضالتى وينبغى علىَّ البحث عنها والعثور عليها، فتوجهت إلى المسجد واشتركت فى مجـالس الوعـظ والإرشاد وكنت أزور مرقـد «شاه چراغ» «١» فى شـيراز ولكننى لم أعثر على ضـالتى، وكـانت لى دعوات ومناجاة مختلفـة ولكنّها لم تكن تروى عطشـى إلى الغايـة المنشودة، وصارت لى علاقـة شديـدة بالعبادة ولكننى لم أكن ادرك فى هـذا العمر الطفولى مضـمون العبـادات، وأحيانـاً كنت أحتاج للـذهاب إلى الحمام ولكن بما أنّ البيوت فى ذلك الزمان تفتقر إلى الحمام وكنت أشـعر بالخجل «ولم أكن أرغب أن آخـذ نفقـة الحمام من أبى وامى، وأساساً الأولاد فى عمرى كانوا يتوجّهون إلى الحمام مع أبائهم» فاضـطررت إلى الذهاب إلى خارج المدينة فى محلة «قصـر سعدى» حيث يمرّ من هناك غدير للماء ولعله يبعد عن منزلنا فرسخ واحد فكنت أغتسل هناك بـذلك الماء وأعود إلى البيت، ولكننى كنت أشـعر بالرضا فى قلبى، وعنـدما دخلت سـلك طلّاب العلوم الـدينية ازدادت هذه الحالة واشتدّت أكثر من السابق».

العشق لطلب العلم:

وعلى أيّة حال هـذا العشق المقدّس لطلب العلم، كما تقدّم في الفصول السابقة، تسبب في أن ينتهي سـماحة الاسـتاذ من قراءة كتاب الصمدية بدون استاذ في أقلّ من يومين ويجيب على إشكال استاذه، أو أن يقرأ في يوم واحد كتاب الأمثلة وشرح الأمثلة ويشترك في الامتحـان به ويرتقي إلى صف أعلى، ويحـدّثنا الاسـتاذ عن ذلک بقوله: السـيرة المبارکـة، ص: ۶۸ «أنـا لا أرى أنّ هـذه الامور ترتبط بالقابليـة والاسـتعداد الـذاتي بل تتعلق بشـكل أكبر بالعشق الجياش لطلب العلم وأعتقـد أنّ العشق والعلاقة العاطفية بإمكانه أن يحدث معجزة في هذا المجال ولكن قليلًا من الناس يصدّق بهذا المعنى». وكذلك يقول سماحته: «كنت أدرس ليل نهار، في الصيف والشتاء، في شـهر رمضان ومحرم وصـفر ما عـدا يوم الجمعة وبعض أيّام التعطيل المهمّة (ثلاثة أيّام في السـنة)، ولم يكن اهتمامنا في المدرسـة سوى المطالعة والتدريس، وكان عشـقي يزداد ويشتدّ يوماً بعد آخر، وكنت كلما درست أكثر لا أشعر بالرضا في نفسي فكنت أضغط على اسـتاذي أن يدرسـني أكثر، ولكنّه لم يكن يقبل بذلک، ولعله كان يتصور أنّ الصبي الذي له من العمر ثلاث عشـرة سنة لا ينبغي له أن يـدرس كل هـذه الدروس ويضـغط على نفسه وأعصابه فيصاب بالذبول والضـعف بسـرعة، ويواجه الخطر في مسـتقبله، ولكنني كنت دائماً في صراع معه لأكسب منه دروساً أكثر وكان هو يسعى أكثر بأن لا أدرس أكثر من اللازم، وكان الحق معه ولكن الشخص العاشق لا يـذعن لهذه الأقوال بسـهولة «۱». السـيرة المباركة، ص: ۶۹ ولعلّكم لا تصـدّقونني بل إنني بـدوري لا أكاد اصـدق بأنني في تلك الأيّام شـرعت بتـدريس المراحل البدائية من المقدمات وأحياناً كان لي في تلک المدرسة ثمان جلسات للتدريس في يوم واحد مضافاً إلى دروسـي والمباحثات التي كنت اجريها مع اخواني، ومع أن بيتنا في شـيراز لم تكن تفصـله عن المدرسة فاصـلة كبيرة فإنني قلّما كنت أذهب إلى البيت بل كنت أبقى ليل نهار في المدرسة مشـتغلًا بالمطالعة والدرس إلى وقت متأخر، حيث كان لدينا في ذلک الوقت مصـباح نفطي، وفي أحـد الليـالي ملكني النوم وأنا في أثناء المطالعـة وانقلب المصـباح فلما استيقظت في الصـباح رأيت نفسـي وكتبي كلّها سوداء والمصـباح منطفيء، وقـد ملكتني رحمـة اللّه أنّ السـيرة المباركـة، ص: ۷۰ الغرفـة لم تحـترق. ولم أكن أهتم لنوع الغذاء إطلاقاً، وأساساً فإنّ حالة الطلاب في ذلکالوقت كانت أشدّ صعوبة من الحالة في هذا الزمان، فقد سبب مجموع هذه الامور أن اصاب بالضعف والذبول في بدني ولكنّ حرارة العشق لطلب العلم كانت تعوّض تلک الخسارة».

۷ النظم في جميع الامور «۱»

اشارة

إنّ حالة النظم في حياة الاسـتاذ إلى درجة من الدقّة بحيث يذعن لها كل إنسان منظم ولا يطيقها كل شـخص غير منظم، وهذه الحقيقة يدركها كل شـخص كانت له رابطة معينة مع سماحة الاستاذ. السيرة المباركة، ص: ۷۲ ويتحدّث الاستاذ عن هذا الجانب بقوله: «كنت أتحرک في حياتي وفقاً للنظم لا في مجال الدرس والبحث والتحقيق فحسب بل حتى في مجال الأكل والنوم والاستيقاظ وسائر الامور الاـخرى، وقـد أدّى هـذا النظم إلى أن أسـتفيد من أوقـاتي بأفضـل مـا يكون، ولو لم يكن هناک نظم في حياتي لم أكن موفّقاً لإنجاز أعمال مهمّة، ومن غير الممكن أن أنتج هذه التأليفات المهمّة بدون برنامج منظم». وأمّا بالنسـبة إلى حكايات الاخوة والأصدقاء فكلّها تحكي عن وجود مثل هـذا النظم الـدقيق في حياة الاسـتاذ منـذ قديم الأيّام حيث يقول أحدهم «۱»: «إنني رأيت في الاسـتاذ أمراً مهمّاً وهو نظمه في العمـل وقـد كـان يتحرک وفق برنامـج معين ومنظم للمطالعـة، وبرنامـج للنوم، وبرنامـج للعبادة، وبرنامـج لأعمال داخل الغرفة». إنّ تنوع نشاطات سماحة الاستاذ العلمية وكثرة رجوع الناس إليه وخاصة بعد قبوله لمسؤولية الافتاء والمرجعية الدينية من شأنها أن تؤدّي إلى مشـكلات كثيرة في حال عـدم وجود النظم والانضـباط في دائرة الأعمال والنشاطات المختلفة لأنّ النظم يعني وضع كل شيء في محلّه وبالتالي سـتكون الإجابة على الكم الهائل من الأسئلة والاستفتاءات في الأبواب الفقهية المختلفة ممكنة وميسورة، يقول

الاستاذ فى هذا الشأن: «النقطة الاخرى التى لها جنبة خصوصية واجتماعية فى نفس الوقت لأننى أعتقد أنّ الإنسان المسؤول يجب عليه أن يجيب على طلبات الناس ورسائلهم، هـذه الرسائل إذا استمرت تمثل حلقة وصل بين الفرد والمجتمع، وأنا بدورى أوصيت الاخوة فى قسم الرسائل فى مكتبى أن يكون هـذا القسم فعّالًا ولابـدّ من الإجابـة على كل رسالـة حـدّ الإمكان فلا ينبغى أن السيرة المباركة، ص: ٧٣ تكون هـذه الرابطـة مع الناس ضـعيفة ومهزوزة، لأنّ الرسائل تورث الإنسان معلومات كثيرة عن وضع المجتمع والناس، ولهذا السبب نرى فى الحـال الحاضـر الكم الهائل من الرسائل، وفى كل يوم يفتـح المسؤولون عن هـذا القسم رسائل عديـدة تصل إلينا من الناس وبما أنّ هـذه الرسائل بمثابـة أمانة من المرسـلين فأنا لا اجيز لمسؤولى المكتب فتح هذه الرسائل لوحدهم بل يجب عليهم فتحها وقراءتهـا فى حضورى ليتمّ عزل تلك الرسائل التى تتضـمن أسـرار الناس، وتفكيكها عن الرسائل العاديـة التى لا تحتوى على موضوع خـاص، وهكـذا يتـمّ بعث الرسائـل الخاصـة بالاسـتفتاءات إلى قسم الاسـتفتاء، والرسائـل المتعلقـة بطلب الكتب إلى قسـمها الخـاص، والرسائل العلمية التى كتب عليها «رسالة علمية» ترسل إلى القسم الخاص بالأجوبة العلمية، والرسائل العادية ترسل كذلك إلى قسـمها الخـاص، ولكل واحـد منها شـخص مسؤول عن الإجابـة عنها ولكنّ التوقيع النهائى على الرسائل وخاصـة فيما يتعلق بالاسـتفتاءات إنّما يكون تحت نظرى».

بركات النظم وروح الإصلاح والتنظيم:

إنّ روح النظم المتوغلـة فى شخصـية الاسـتاذ عنـدما تتحـد مع إرادة الإصـلاح والتكامـل فـانّ من شأنها أن تفرز بركات كثيرة للحوزة العلميـة، إنّ اتصاف الاسـتاذ بمثل هـذه الروحيـة الإيجابيـة أدّى إلى أن يهتم منـذ عنفوان شبابه بإصـلاح وتنظيم البرامج الدراسـية فى الحوزة العلمية، ومن هنا كان له لقاء مثير وشيّق مع آية اللّه العظمى السـيد البروجردى (وبصـحبة مجموعة أصدقائه الطلّاب الشباب فى الحوزة)، وسـيأتى تفاصـيل هذا اللقاء تحت عنوان «حرية الفكر والاعتماد على النفس» لسماحة الاستاذ، ولكن لا بأس بالإشارة فى هذا الفصل إلى هـذه الحقيقة، وهى أنّه بالرغم من أنّ مثل هذه الاطروحات الإصـلاحية لإيجاد النظم فى السـيرة المباركة، ص: ٧٤ الحوزة العلميـة فى زمان آيـة اللّه العظمى البروجردى قـدس سره لم تؤثر كثيراً فى تغيير الوضع الراكـد فى الحوزة، والراكد على مدى الزمان فانّهـا أثرت تـأثيراً ملموسـاً على يـد مراجع كبـار كالسـيد الإمام قـدس سره وآيـة اللّه العظمى الكلبايكانى (الـذى كان يعـدّ فى زمان المرحوم آية اللّه العظمى من علماء الدرجة الثانية ولكن بعد ذلك أصبـح من علماء الدرجة الاولى وزعيماً للحوزة العلمية)، والأفضـل أن نستمع لهـذه الواقعـة من الاسـتاذ نفسه بحيث يقول عنها: «لقد شـعر القائمون على امور الحوزة بعد آية اللّه العظمى البروجردى وما رافق ذلـك من تحولات كثيرة، أنّ مسألـة الامتحان مثلًا فى الحوزات العلميـة أضـحت من الواجبات، ولابـدّ فى المراحل الابتدائيـة فى دروس الحوزة من وضع برنامج دقيق للمدارس الدينية، من هؤلاء العلماء آية اللّه العظمى السـيد الكلبايكانى حيث شـكل أول مدرسة علميـة وفقاً لهـذا البرنامـج: حيث كان هناك برنامـج دراسـى منظم، وساعات دراسـية منظمـة، وتسـجيل للحضور والغياب فى جلسات الـدرس، وكان الطالب يؤدّى الامتحان بصورة مرتبـة، وكانت هناك حالة من الاهتمام بأمر معيشة الطلّاب فيها، ثم إنّ هذا المنهج امتد إلى دائرة أوسع فى الحوزة، وأتـذكر جيـداً أننى تحـدثت مع مجموعـة من الاخوة الفضـلاء فى ضـرورة أن يكون هناك درس لبعض اللغات الأجنبية إلى جانب دروس الحوزة، وقد عثرنا على استاذ خاص لتدريسنا هذه اللغة فى الليالى التى لم يكن لدينا بحث أو درس حوزوى، ولكن بعـد ذلك أصـبحت هـذه المسألة تمثل ظاهرة عامة، وأنا بنفسـى اسـتخدمت اسـتاذاً لتعليم اللغة الأجنبية لمجموعة من الطلّاب الـذين يدرسون فى مدرسة أميرالمؤمنين عليه السـلام التابعة لى، وقد اسـتقبل الطلّاب هذا الدرس بشوق بالغ وقد رأينا ضـرورة هذا الدرس لبعض الطلّاب بعنوان مقدّمة الواجب على الأقل، لأننا يجب علينا الاطلاع على أصـحاب التيارات السيرة المباركة، ص: ٧٥ الفكريـة الاخرى ومصادرها الفكريـة بلغتهم من جهـة، ومن جهـة اخرى ينبغى علينا إيصال صوت الإسـلام من خلال القلم والبيان إلى أقصـى نقاط العالم، وكانت هذه البرامج الإصـلاحية تسـتوعب جهات مختلفة: منها، إصـلاح وتكميل الكتب الدراسـية غير كتب الفقه

والاصول، حذف المباحث الزائدة فى الفقه والاصول، الاهتمام بالمسائل المستحدثة، الاهتمام بالمذاهب المنحرفة والمجعولة ومباحث اخرى، حيث رأينا أنّ الاهتمام بهذه المواضيع يزداد يوماً بعد آخر حتى بداية الثورة الإسلامية حيث أثمرة الجهود بحمد اللّه وكان الإمام الراحل قدس سره من المؤيّدين لهذه البرامج الإصلاحية وقد اقترح تأسيس شورى مديرية الحوزة وأوصى بتشكيلها، وقد بعث من جانبه ثلاثة أشخاص لهذا الشأن وثلاثة أشخاص من قبل آية اللّه العظمى الكلبايكانى، وثلاثة أشخاص من مجمع المدرسين، فبلغ عددهم مجموعاً تسعة أشخاص من فضلاء وأساطين الحوزة العلمية، حيث تقبلوا هذه المسؤولية وشرعوا باصلاح الوضع فى جوانب مختلفة، وقد رأينا بحمد اللّه معالم التوفيق لهذه الشورى المحترمة، وعندما انتهت مهمتهم اقترح علىَّ الاخوة فى مجمع المدرسين قبول هذه المسؤولية وقد وافقت على هذا الطلب لأسباب متعددة كما اتّضح فيما سبق (أى أننى كنت راغباً جدّاً فى إيجاد تحول وإصلاح فى الحوزة العلمية مضافاً أنّ بعض الأصدقاء اشترطوا لدخولهم فى هذه الشورى مشاركتى فيها وقبولى لهذه المسؤولية)، ولكننى كنت متردداً فيما إذا كانت هذه المسؤولية الجديدة تتوافق وتنسجم مع أعمالى الكثيرة الفعلية أم لا؟ فاستخرت اللّه تعالى فى الحرم المقدّس للإمام الرضا عليه السلام وكنت فى عداد خدّامه الإفتخاريين طبق المقررات المعمول بها لدى مديرية الحرم الشريف) فخرجت الآية الشريفة: «فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ اتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن السيرة المباركة، ص: ۷۶ سَفَرِنَا هذَا نَصَباً» «۱» ، فعلمت أنّ هذا الأمر تتخلله صعوبات كبيرة ولكنه يتضمن أيضاً ماء الحياة وفقاً لما ورد فى شأن هذه الآية الشريفة، وعلى أيّة حال فقد وافقت على طلبهم واستلمت منصب مدير هذه الشورى فى الدورة الثانية والثالثة وبحمد اللّه توفقنا إلى أداء خدمات كثيرة ...». ويستمر سماحة الاستاذ فى بيان فهرست مفصّل عن هذه النشاطات والخدمات «وقد وردت بالتفصيل فى مجلة پيام حوزة» فراجع، وفى الختام يقول الاستاذ: «ومن جملة الأعمال المهمّة التى استطعنا تقديمها فى تلك الفترة مسألة تنظيم القانون الأساسى لشورى الحوزة العلمية وقد تمّ امضاؤها من قِبل آية اللّه العظمى الكلبايكانى وآية اللّه العظمى الأراكى وقد أقرّها سماحة السيد القائد، وتقرر أن يوافق عليها سائر الأعاظم فى الحوزة العلمية فى قم حيث أنّها تمثل دعامة قوية من جهة حقوقية وقانونية للحوزة العلمية فلا تكون أموال الحوزة باسم أشخاص معينين بل باسم شخصية حقوقية فقط، ومن هذا الطريق فإنّ الأموال التى ترد إلى الحوزة فى الحال الحاضر وفى المستقبل ستكون محفوظة ومصونة من التلاعب، ولا أنسى أنّى قمت بزيارة المرحوم آية اللّه العظمى الكلبايكانى فى أواخر عمره وتحدثنا عن مسائل الحوزة العلمية فرأيته يبكى ويتحرق على مستقبل الحوزة، واكد كثيراً بقاء استقلال الحوزة العلمية (وهذا المعنى قد أكد عليه جميع الأعاظم منهم الإمام الراحل) فقلت له: اطمئنوا إلى ذلك فاننا كأبنائكم نسعى بجدية إلى حفظ هذا الاستقلال وخاصة مع عدم وجود من يخالف فى الوقت الحاضر، والحمد اللّه، وستكون الحالة كذلك فى المستقبل بإذن اللّه».

۸ البيان الجيد فى ظلّ الفهم الجيد

اشارة

إنّ سلاسة بيان الاستاذ وسهولته فى بيان المعانى والمفاهيم إلى درجة أنّ بعض الطلّاب فى بداية الأمر يشكّون فيما إذا كان هذا الموضوع يتضمّن عمقاً أكثر ولم يؤدّ الاستاذ حقّه فى بيان الموضوع. وأنا بدورى كنت غارقاً فى أجواء الترديد فى هذا المجال إلى حدّ الوسواس وكنت أسعى إلى مطالعة الموضوع بدقّة والمباحثة فيه مع اخوانى الطلّاب فى عملية التحقيق فى جوانب وأبعاد المسألة، وبعد البحث الكثير وصلنا إلى هذه النتيجة، وهى أنّ حقّ المطلب هو ما ذكره الاستاذ بدون تعقيدات لفظية وابهام فى العبارة بل وصل إلى النتيجة بطبعه السيال وفكره الثاقب وبيّنه للطلّاب بسهولة وجذّابية خاصة. وبما أنّ اللسان والبيان بمثابة المترجم لما يختلج فى ذهن الإنسان وفكره فيمكن القول: إنّ هذا البيان الجذّاب والسلس يعكس الفهم السليم والجيد لسماحة الاستاذ، ومن المسلّم أنّ المهم فى صياغة البيان السهل هو كيفية الورود والخروج من المسألة والتحليل الصحيح للبحث وما يتضمنه البحث من تفريعات ودقّة فى الامور

الجزئيـة للموضوع الكلى العام، وبالجملـة إراءة معالم الموضوع بكل أبعاده وبما يتضـمنه من دقائق وتفاصـيل بإمكانها رفع السـتار عن محلّ النزاع، والانصاف أنّ الاسـتاذ فى هـذا الجانب كان موفقاً جـدّاً. ولا بأس ببيان هـذه الحقيقـة، وهى أنّ الاسـتاذ يتحرك فى بيانه الدرسـى بكامل النشاط ويؤدّى الكلمات بقوّة ومتانـة بحيث يخلق جواً من النشاط والانشـداد الـذهنى عندما السـيرة المباركة، ص: ٧٨ يتحدّث بالموضوع العلمى وهو على كرسى التدريس بحيث إنّ الطالب لا يشعر بالكسل والكلل ولا يرى نفسه متخلفاً عن قافلة البحث والـدرس بـل إنّ كل طالب يجـد فى نفسه فهماً واضـحاً لموضوع الـدرس ويعلم بأنّ الآخرين فهموا هـذا المطلب مثله. وهـذه الحقيقة كنت أشـعر بهـا مراراً فى أثنـاء درس الاصول لسـماحة الاستاذ، وأتـذكر أننى فى بدايـة اشتراكى وحضورى فى درس الاسـتاذ تفألت بالقرآن الكريم وخرجت الآيـة: «وَقَالُواْ الْحَمْدُلِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ» «١» ، وهكذا كان درس الاستاذ يذهب عنّا الحزن فى حلّه للعقـد العلميـة الدقيقـة فى هـذا الـدرس. وبـديهى أنّ التمتع بهـذه الخصـلة الجيـدة بإمكانه أن يؤثر كثيراً فى جذب الطلّاب إلى درس الاسـتاذ فى الفقه والاصول (فى تلك السـنوات التى كان الاسـتاذ يـدرس الاصول أيضاً، حيث تحوّل درس الاسـتاذ إلى أكبر درس فى الحوزة من حيث عدد المشاركين.

الاعتراف بذنب كبير:

والملفت للنظر أنّ هـذه السـهولة والسـلاسة يمكن مشاهـدتها أيضاً فى قلمه وكتاباته بدرجة كبيرة، بحيث إنّها تعتبر من خصائص قلمه وتأليفاته، فمن يقرأ كتب الاسـتاذ يـذعن لهـذه الحقيقة وهى أنّ المعارف القرآنية العميقة والمفاهيم الدينية السامية تمّ عرضـها بشـكل جذّاب وشـيق وقابل للفهم والهظم، ولهذا تمّ طبع بعض هذه الكتب من تأليفات الاستاذ أكثر من ثلاثين مرّة وكان مورد استقبال الناس من الخاص والعام، هذه الخصوصـية قد يتصورها البعض على أساس أنّها تمثل عيباً كبيراً فى دائرة التأليف، والاسـتاذ نفسه يتحدّث فى مقدّمـة كتابه المعاد عن هـذه الخصوصـية بعنوان «الذنب الكبير للكاتب» ويقول: «... إن السبب فى كل هذا التوفيق (فى تأليف الكتب العقائديـة للاسـتاذ من قبيـل كتـاب «خـالق العـالم» و «كيف نعرف اللّه» و «القـادة العظـام» و «القرآن السـيرة المباركـة، ص: ٧٩ والنبى الخاتم») رعاية أربعة اصول: اجتناب الاصـطلاحات المعقدة، الصدق والاخلاص فى بيان الموضوع، الابتعاد عن التعصب، التجديد فى المعرفـة. ولكن البعض يتصور أنّ هذه السلسـلة من التأليفات والكتب تتضـمن عيباً كبيراً من شأنه أن يقلل من قيمتها، ولعلكم تتعجبون إذا علمتم بـأنّ العيب الكبير فى نظرهم هو نفس اجتنـاب المصـطلحات المعقـدة والعبـارات الغامضـة والكلمات المبهمـة ورعايـة الحدّ الأعلى من السـلاسة فى التعبير لتقريب فهم الموضوع إلى أذهان الناس بصورة عامة، فهذه الامور بحسب نظرهم القاصـر تقلل من شأن الكتاب على المسـتوى العلمى وتهبط به إلى مراتب دانيـة». ثم يقول الاسـتاذ: «و لا يسـعنى هنا إلّاالاعتراف بهـذا «العيب» أو «الذنب» و أعلم لو تركت العنان لقلمى ليسـطر ما يشاء من المصـطلحات المعقدة و العبارات المغلقة لبدا البحث لذلك البعض أكثر علمية، لكنى مـا فعلت ذلـك عامـداً و أعتقـد أنّ هـذه هى رسالـة الكـاتب. و بالطبع يمكن القول بقوّة أنّه يمكن تعقيـد كل بحث من أبحاث هـذه السلسـلة بحيث يصـعب فهمها على أغلب القراء الاعتياديين، فيكتفون بالقول أنّها أبحاث علمية ذات مستوى رفيع لايسعنا إدراكه» «١». إنّ السـبب الذى أدّى إلى أن يُنتخب «أشـباه الفلاسفة» لسماحة الاستاذ على أساس أنّه (كتاب العام) ويحضى باستقبال كبير بين الناس ويطبع لأكثر من ثلاثين مرّة، هو سـهولة التعبير والابتعاد عن الاصـطلاحات المعقدة والعبارات الفلسفية الغامضة وتبديلها بعبارات سهلة وميسورة. السـيرة المباركـة، ص: ٨٠ يقول الاسـتاذ فى مقدّمـة هـذا الكتـاب أيضاً: «كنت لسـنوات عديـدة افكر وأتأمل فى الماركسـية والفكر الماركسـى، وكنت ادرك العواقب المعنوية والمادية الخطيرة التى يتضـمنها هذا الفكر إلى البشـرية والمجتمع البشـرى، فقمت بمطالعـات كثيرة عن مقولـات وكتابات هـذا الفكر وكنّا نجتمع مع بعض الاخوة ونتـذاكر هـذا الفكر من موقع التحليل والنقـد إلى أنّ صممنـا على عرض نتيجـة أفكارنـا على الناس وكتابـة هـذه المواضـيع، ولـذلك تحركنا على مسـتوى جمع هـذه المواضـيع فى كتاب خاص، ولكن المانع الكبير الـذى كان يقف أمامنا هو عدم اطّلاع أغلب الأفراد على الاصـطلاحات الفلسـفية الجديدة والقديمة ولكننا

قمنا بحذف هذه الاصطلاحات أو تبديلها إلى عبارات ومفردات سهلة وميسورة (بدون التقليل من قيمتها الحقيقية)» «۱».

دور التدريس:

ومن جملة الامور التی تساهم فی سلاسة البيان ورفع مستوى قدرة التصميم هو كثرة التمرين والممارسة فی إفهام الناس من خلال كرسی التدريس أو منبر التبليغ، فيجب أن يكون الدرس إلى جانب التدريس، والتدريس والتعليم إلى جانب تحصيل الدرس واكتساب العلم، وطبعاً فإنّ من بركات التدريس هو حلّ العُقد البيانية وتحصيل القدرة والملكة على تبيين المسألة إلى المخاطب بسهولة ويُسر، وهنا يتحدّث لنا الاستاذ عن حكاية فی مجال شروعه فی عملية التدريس وكيفية الاستمرار فيها ويقول: «عندما ودعت النجف الأشرف وحرم الأئمّة الاطهار عليهم السلام بعين باكية وتركت العراق بكل ما يحفل به من حسنات ومشاكل وأقمت فی الحوزة السيرة المباركة، ص: ۸۱ العلمية فی قم كنت امارس عملية التدريس إلى جانب الاستفادة من درس الاساتيذ العظام فی هذه الحوزة، وطبعاً لم يكن تدريس العلوم الدينية أمراً جديداً علیَّ حيث شرعت فی ذلك منذ السادسة عشرة من عمری حينما كنت فی حوزة شيراز، وعندما أتيت إلى قم شرعت بتشكيل درس فی الحوزة أيضاً، وكذلك فی النجف أيضاً كنت امارس التدريس، وأعتقد أنّ التدريس واجب كتحصيل الدرس، فالإنسان حين التدريس يقف على بعض الامور وتنفتح له بعض المسائل المغلقة التی لم يكن يقف عليها أثناء تلقی الدرس، وعند التدريس يشعر الإنسان بمسؤولية أكثر وأنّه ما لم يفهم الموضوع بصورة جيدة ودقيقة لا ينبغی له طرحه على الآخرين من موقع التدريس. لقد ازداد رونق أبحاثی ودروسی يوماً بعد آخر بسبب معرفتی التدريجية وزيادة تجربتی فی فن التدريس الذی يعتبر فناً ظريفاً ودقيقاً جدّاً، فعندما كنت ادرس الرسائل والمكاسب والكفاية كنت أرى مجموعة من الطلاب الأذكياء والمستعدين يحيطوننی ويجلسون على مقربة منّی، وأنا بدوری اوصی جميع الطلّاب والفضلاء أن لا يهملوا عملية التدريس إلى آخر عمرهم حتی لو كان ذلك لطالب واحد». ثم يشير الأستاذ إلى بداية تدريسه لبحوث الخارج ويقول: «لعل البداية كانت قبل أربعين سنة حين فكرت بتدريس البحث الخارج وشرعت بتدريس الاصول ثم البحث الخارج فی الفقه وكنت أعيش العلاقة الشديدة بالتدريس وأشعر بلذة كبيرة من تدريس الطلّاب وكان التعب يزول عنی تماماً وأنا الآن أشعر بهذا الشعور أيضاً ...». وفی الختام يشير الاستاذ إلى دور التدريس المهم فی عملية النهضة العلمية للطلّاب ويؤكد مرّة ثانية لطلّاب الحوزة العلمية الأعزاء على هذه الحقيقة ويقول: السيرة المباركة، ص: ۸۲ «مرّة اخرى اوصی الطلّاب الأعزاء أن يغتنموا هذه السنّة الشريفة فی الحوزة العلمية، وعلى الأشخاص الذين يتلقّون الدروس العالية أن يهتموا بتدريس الكتب فی المراحل الدانية، وليكن معلوماً لديهم كما أنّ الطلّاب ينتفعون من بيانهم ووجودهم فانّهم بدورهم ينتفعون من وجود الطلّاب فی حلقات دروسهم، ولعل التدريس ينفع الاستاذ أكثر من الطالب، فالتدريس يجبر الإنسان على التحقيق فی جوانب المسألة أكثر ويهتم بمعرفة غوامض المسألة، ومضافاً إلى فهم المسألة ستكون لديه القدرة على تفهيمها، وبكلمة واحدة: إنّ العالم الذی لا يمارس التدريس فإنّه يبتلی بالنقص فی معلوماته».

لماذ قمنا بتأليف التفسير الأمثل؟

وينطلق قلم الاستاذ فی مجال التأليف والتحقيق سلساً وجذّاباً كما هو الحال فی بيان الاستاذ الجذّاب فی التدريس، فكان قلمه نشطاً وفعّالًا فی كافة المجالات العلمية، وأساساً فانّ الباعث المهم على تأليف كتابه القيم «التفسير الأمثل» هو إراءة تفسير سهل وميسور وبعيد عن التعقيدات والابهام، وفی نفس الوقت تفسير جيد وشامل، وفی هذا الصدد يقول الاستاذ: «لا بأس بأن أذكر لكم الباعث على تأليف (التفسير الأمثل)، فانّ الكثير من طلّاب الجامعات والشباب المثقفين كانوا يأتون إلينا ويطلبون تفسيراً باللغة الفارسية خالياً من التعقيدات فی البيان، ففكرت بأن أذكر لهم بعض التفاسير المتداولة، ولكننی كنت أرى بأنّها لا تحلّ لهم أيّة مشكلة، ومن الطبيعی أنّ الإنسان عندما يجد طلباً من الناس ويرى أنّ مشكلتهم لا تنحل بما هو موجود من التفاسير والكتب فإنّه سيشعر بالمسؤولية الثقيلة على

السيرة المباركة، ص: ٨٣ عـاتقه وأنّه يجب عليه أن يعزم الهمـة ويقـدم على التـأليف فى هـذا المجـال، ومن هنا فكرت بكتابـة تفسـير يحوى دقائق الامور التفسيرية للآيات الكريمة وفى نفس الوقت يكون سـهلًا ميسوراً ويتضـمن كذلك بيان الحلول التى يعيشـها الناس فى العصـر الحاضـر ... وأملنا أن يكون هناك تفسير شامل ينفع العلماء الفضـلاء وكذلك عامة الناس لا سيّما الشباب الأعزاء وشريحة طلاب الجامعـات، مع العلم بأنّ الجمع بين هـذه الامور ليس بالأمر السـهل بل يحتاج إلى توفيق إلهى خاص، فكان أن انتهينا من هـذا العمل بحمد اللَّه، ولذلك فانّ أغلب الأشخاص الذين يتحدثون معنا فى هذا المجال يقولون: إنّ الغاية قد تحققت فى هذا التفسير».

الامتداد الواسع للتفسير الأمثل فى نشر ثقافة القرآن:

ثم أشار الاستاذ إلى النفوذ والامتداد الواسع والتأثير العميق للتفسير الأمثل فى نشـر الثقافة القرآنية والمعارف الإسـلامية وقال: «وهنا أذكر جملة قصيرة فى هذا المجال، فقد جاءنى أحد الاخوة وذكر لى أنّ پروفسوراً يدرس فى جامعة كندا المعارف الإسلامية قال: (إنّ المنبع الأصـلى لمعلوماتى فى تدريس المعارف الإسلامية فى تلك الجامعة هو التفسير الأمثل)، ونقل لى المرحوم حجة الإسلام الحاج السيد صفدر الحسينى النجفى الباكستانى الذى كان رجلًا مخلصاً ونشيطاً وقد ترجم جميع أجزاء التفسير الأمثل إلى اللغة الاوردية، بأنّ أحـد العلمـاء من أهل السنّة الناطقين بالاوردو قال: (أنا لم اطالع كتب علماء الشـيعة، ولكن وقع بيـدى الجزء الأول من التفسـير الأمثل باللغة الاوردية فقرأته وثبت لى أنّ العلوم الإسلامية هى عند الشيعة».

٩ خلق الاعتماد لدى الاستاذ

اشارة

إنّ من جملة الامور التى تلعب دوراً أساسياً (ولعله من أهم الامور) فى تكوين شخصية الطالب ورجل الدين بشكل عام هو السعى لنيل اعتماد الاستاذ وبالتالى كسب محبّته وعطفه الأبوى، بيد أنّ أجواء المحافل الدراسية فى الحوزات التعليمية سواء على مستوى الجامعات أوالحوزة مليء بمعالم الحسد وأشكال التنافس السلبى بين الأفراد ممّا يؤدّى إلى تزريق روحية اليأس والشعور بالتخلّف عن القافلة فى نفسية الطالب وبالتالى ينتج أنواع الكآبة والكسل الفكرى. وأهم عامل بإمكانه القضاء على هذه الامور السلبية ويبعث فى الإنسان روح الأمل والتقدم العلمى هو تشويق الاسـتاذ ونفخه روح الاعتماد على الذات وقوّة الشخصية لدى الطالب، إنّ أذكى طالب إذا لم يتحرك فى دراسـته فى أجواء سـليمة وحول محور الاسـتاذ المبدع والمتخلّق بالأخلاق الإسـلامية، وما لم يتخلص من عنصـر (الأنانية) والتحرر المطلق من أجواء الـدرس والتربيـة الأخلاقيـة فـانّ ذلـك من شـأنه أن يجر الطـالب إلى منزلقـات خطيرة وطموحات وهميـة وادّعاءات عجيبة وغريبة. القليل من الأشخاص الذين يعيشون الحرمان من عطف الاساتذة وبتعبير آخر لم يتربوا فى أجواء نورانية على يد معلمين ربانيين، ومع ذلك لم يواجهوا مشاكل فكرية ونفسية وحركة الحياة والواقع الاجتماعى.

آية اللَّه الاصطهباناتى وكاشف الغطاء:

وعلى أيّـة حال فانّ الموهبة الاخرى التى كان يعيشـها سـماحة الاسـتاذ هو أنّه كان منذ بداية شـبابه مورداً لألطاف أساتذته وتشويقهم، والشاهـد على ذلك ما تقـدّم من حكايـة فى الفصل الثانى «النبوغ والقابليـة الذاتيـة» تحت عنوان «درجة الاجتهاد» ونجد من المناسـب إعادة هـذه الحكايـة: «بعـد مجيئى إلى النجف الأشـرف ومن خلال مشاركتى بحوث الخارج للاساتذة الكبار فى حوزة النجف وطرح أسـئلة متعـددة أصبحت يشار إلىّ بالبنان واهتم الاساتـذة والعلماء بى ومنحونى حبّهم ورعايتهم بحيث أننى اسـتطعت أن أحصل على إجـازة الاجتهـاد فى سن الرابعة والعشـرين من عمرى من مرجعين كبيرين فى ذلك الوقت: أحـدهما: آيـة اللَّه العظمى الاصـطهباناتى

الذی یعد من المراجع الکبار ویعتبر شیخ الفقهاء فی ذلک الوقت، وقد بذل لی رعایته ولطفه کثیراً ولذلک کتب لی الاجازهٔ بالاجتهاد الکامل، والآخر آیـهٔ اللَّه العظمی الحاج الشیخ محمد حسین کاشف الغطاء، وبما أنّه لم یکن علی اطلاع بحالی وتحصیلی الدراسی طلب أن یمتحننی، فقبلت ذلک، فطلب منی أن أکتب له رسالهٔ فی مسألـهٔ: «هل أنّ التیمم مبیـح للصلاهٔ أو رافع للحـدث؟» فکتبت له رسالهٔ مفصّلهٔ فی هـذا الموضوع وعرضتها علیه، ومضافاً إلی ذلک أجری لی الشیخ کاشف الغطاء امتحاناً شفویاً أیضاً وسألنی عن أعقد مسألهٔ من مسائل العلم الإجمالی، فعندما أجبته عنها کتب لی إجازهٔ الاجتهاد ومنحنی کل الحبّ والرعایهٔ».

آیهٔ اللَّه حجّت رحمه الله:

والحکایـهٔ الاخری تتضـمن تشویق آیـهٔ اللَّهالعظمی حجّت رحمه الله حیث یحـدّثنا الاستاذ عن ذلک بقوله: السیرهٔ المبارکـهٔ، ص: ۸۷ «ومرّهٔ اخری کنت حاضراً فی درس المرحوم آیـهٔ اللَّه العظمی حجّت رحمه الله فکـان أن طرح سؤالًا وفقاً للمنهـج الـذی یسیر علیه، وقال: کل من أتانی بجواب هذا السؤال فسوف اعطیه جائزهٔ بعد الدرس توجّهت إلی المکتبهٔ وبقیت مدّهٔ أبحث فیها عن الجواب حتی عثرت علیه وقـدمته للاستاذ، وبعـد فترهٔ وجیزهٔ من ذلک تقـدّم طالب آخر بـذلک الجواب إلی الاستاذ فقال له: لقد سبقک إلی هذا الجواب شـخص آخر. وبعـدها أعطانی مائهٔ تومان حیث کان یعدّ فی ذلک الوقت مبلغاً کبیراً (لأنّ الحقوق الشـهریهٔ لبعض الطلاب لم تکن تتجاوز ثلاث تومانات فی الشهر) بعنوان جائزهٔ تشویقیهٔ».

التواضع الکبیر وروحیهٔ التشویق لدی آیهٔ اللَّه العظمی المیرزا هاشم الآملی «۱»:

لا شک أنّ هذا التشویق یبلغ الذروهٔ لدی الإنسان ویتضاعف تأثیره عندما یحظی الإنسان بأستاذ یتمتع بروح قبول الإشکال ویتعامل مع الطلاب من موقع الاهتمام بأسئلتهم السیرهٔ المبارکهٔ، ص: ۸۸ وإشکالاتهم ولا یری ذلک منافیاً لشؤون الاستاذ، ومن حسن الحظ أنّ بعض استاتذهٔ سماحهٔ الاستاذ کانوا یتمتعون بهذه الملکهٔ النورانیهٔ، حیث یحدّثنا الاستاذ عنهم بقوله: «لقد جذبتنی أخلاق المرحوم آیهٔ اللَّه العظمی المیرزا هاشم الآملی إلی الحضور فی حلقـهٔ درسه ... إنّ آیـهٔ اللَّه العظمی الآملی مضافاً إلی امتلاکه صـفهٔ التواضع الشدید فإنّه کان یتعامل مع الطالب بروح التشویق والتقـدیر، وکان محیطاً بعلوم اساتـذته مثل آیهٔ اللَّه آقا ضـیاءالدین العراقی، الذی کان طلّابه فی ذلک الزمان فی حوزهٔ النجف أفراداً قلائل ولکنهم من الفضلاء، وکان یتمتع بانصاف عجیب فی درسه بحیث إننی لم اشاهد أحداً مثله فی هـذه الخصوصـیهٔ، فلو تقدم الطالب بإشـکال علیه وکان الإشـکال وارداً فانّ الاستاذ لم یکتف بقبوله فحسب بل یتحرک علی مستوی شرحه وتقویته بصورهٔ کافیهٔ وینطلق من موقع الدفاع عنه وبالتالی قبول رأی الطالب».

تشویق آیهٔ اللَّه العظمی البروجردی رحمه الله وکتاب (تجلی الحق):

وبالنسبهٔ إلی تشویق المرحوم آیهٔ اللَّه العظمی السید البروجردی رحمه الله ولطفه لسماحهٔ الاستاذ یحدّثنا الاستاذ بقوله: «عندما تمّ طبع کتـاب «تجلی الحـق» وهو أول کتـاب من کتـبی قـدّمت نسـخهٔ منه إلی آیـهٔ اللَّه العظمی الـبروجردی رحمه الله وبعـد مـدّهٔ أرسـل إلیَّ یستدعینی فذهبت إلیه، فقال: أنا أشـکو من ألم فی رِجلی ولم أحضر الدرس لعدّهٔ أیّام فکانت لی فرصهٔ أکثر للمطالعهٔ، ووقعت عینی علی کتابـک، فقرأت عنوانه «تجلی الحق» وهو یسـتخدم کثیراً فی کلمات المتصوفـهٔ، وکان ذلک سـبباً فی تحرک حس الفضول فیَّ، فتنـاولت کتابـک فقرأته من أوله إلی آخره (وتعجبت کثیراً من روحیـهٔ هـذا الرجـل الکبیر کیف یقرأ کتاب طالب شاب من أوله إلی السیرهٔ المبارکهٔ، ص: ۸۹ آخره، وهـذا یکون عبرهٔ لأمثالی فی حین أنّ السیـد کان یتمتع بمقام المرجعیـهٔ والزعامـهٔ العامهٔ للشیعهٔ)، ثم قال: أنا لم أعثر علی أی مورد سلبی فی هذا الکتاب، وقال: (إننی أحسست أنّ الکاتب أراد بیان بعض الحقائق عن طائفهٔ الصوفیهٔ دون أن یریـد التظاهر أو یجمع المریدین حوله) فکانت هذه الکلمات من هذا السیـد الجلیل قد بعثت فی نفسـی روح الاعتماد علی اللَّه فی

مسألة الكتابة، ومن هنا أدركت جيداً مدى تأثير تشويق الاساتذة وخاصة الكبار منهم».

يا ناصر: سوف تنتفع من بركاتنا

وهذه الحقيقة بلغت أوج النضج والنورانية عندما نجد أنّ الطالب بغض النظر عن تشويق أساتذته، يقع مورداً لتفقد وتشويق الاستاذ الحقيقى وإمام الاساتيذ أى الإمام المعصوم حين يراه الطالب فى عالم الرؤيا الرحمانية ويحصل على البشارة من قِبل الإمام المعصوم (سلام اللّه عليه) حيث يخاطبه بقوله: «يا ناصر: سوف تنتفع من بركاتنا». ولنستمع إلى هذه القصة من لسان أحد اساتذتنا وهو الاستاذ المرحوم حجّة الإسلام والمسلمين قدوة، حيث قال: «لقد وجدت سماحة الشيخ مكارم مستبشراً وترتسم على محياه معالم السرور عندما دخل مجلس الدرس، فسألته عن السبب، فامتنع عن الجواب ولكن مع اصرارى أجابنى أنّه كان قد رأى ليلة البارحة الإمام صاحب الزمان (سلام اللّه عليه) فى عالم الرؤيا فقال لى: «يا ناصر: سوف تنتفع من بركاتنا» «۱».

اهتمام وتشويق الإمام الراحل رحمه الله:

نختم هذا الفصل بذكر أشكال التشويق والاهتمام الذى كان يبذله الإمام الراحل قدس سره لسماحة الاستاذ، ويحدّثنا الاستاذ نفسه عن ذلك بقوله: «إننى بالرغم من عدم التوفيق لحضور درس الإمام الراحل قدس سره لأكثر من يوم واحد، ولعل ذلك كان بسبب أنّ درس الإمام كان قد ازدهر واشتدّ فى الحوزة العلمية فى وقت لم أكن فيه أدرس عند أحد إلّاقليلًا بل كنت امارس عملية التدريس غالباً، وعلى أيّة حال كنت ذا علاقة وارتباط كامل بأفكاره من خلال تقريراته وكتبه فكنت مطلعاً على آرائه الفقهية والاصولية وكنت أكن له احتراماً كبيراً وطالما توجهت لزيارته فكان يبذل لى مزيد المحبّة والاحترام ولا أنسى أننى كنت قد امتنعت لأسباب معينة عن الذهاب إلى مجمع المدرسين فى الحوزة العلمية. فأمر الإمام الراحل أحد الأشخاص من أرحامه الذى كان عضواً فى المجمع المذكور وقال له: إذهب إلى فلان وقل له أن يرجع إلى مجمع المدرسين، فجاءنى ذلك الشخص وبلّغنى الرسالة وعدت على أثرها إلى المجمع، وكان ولده المرحوم السيد أحمد الخمينى حاضراً فى جلسة لبعض الأفاضل وقال لى: إنّ رسائلك التى تبعثها إلى الإمام فى مناسبات مختلفة يقرأها الإمام كاملًا (لأننى كنت قد ذكرت فى رسائلى أننى لا أعلم ما إذا كان الإمام يقرأ هذه الرسائل أم لا) فقال لى: إنّها تصل إلى الإمام ويقرأها ويكّن احتراماً خاصاً بالنسبة لكم». وينقل الاستاذ فى هذا المجال حادثة جميلة اخرى عن مجلس الخبراء للقانون الأساسى ويقول: «كنت فى قسم البحوث فى مجلس القانون الاساسى وكنت مع عدّة أشخاص من علماء الشيعة وأهل السنّة والمذاهب الاخرى، فعندما طرحت السيرة المباركة، ص: ۹۱ مسألة الاعتراف بالمذهب الشيعى، وهو مذهب الأغلبية بالنسبة إلى الشعب الايرانى على بساط البحث فى مجلس الخبراء ودافعت عن هذه الاطروحة، قام أحد الاخوة من أهل السنة (السيد مولوى عبدالعزيز) وخلافاً للمتوقع منه وأظهر مخالفته لمقولتى بعد أن انتهيت من تقرير رأيى، وأنا بدورى أجبته ببيان منطقى وأوضحت له أنّ المفروض فى كل دولة أن تكون القوانين فيها تابعة لمذهب معين ولا يمكن أن تكون على رأى مذهبين أو ثلاثة فى الأحكام العامة، وبالطبع فإنّ سائر المذاهب ينبغى أن تكون محترمة ويتمتع أتباعها بجميع حقوق المواطنة، ولكن تعدد القوانين الحاكمة فى الدولة غير ممكن، فالجميع أحرار فيما يتعلق بشؤونهم الخاصة (من قبيل الزواج والطلاق التى تسمى بالأحوال الشخصية) ولكن فى الأحوال العامة يجب اتباع قانون واحد، وبعد أن ذهبت لزيارة الإمام قال لى: (لقد رأيت وسمعت دفاعك فى المجلس من خلال التلفزيون وسررت بذلك كثيراً وقد كان دفاعاً جيداً ومنطقياً وقد أدّيت المسألة حقّها».

۱۰ العلم بمقتضيات الزمان والتحرك معها

اشارة

إنّ من الصعوبة بمكان للمحقق الذى يبحث مواضيع علمية دقيقة فى مجال التراث الثقافى والدينى الواسع، أن يهتم فى نفس الوقت بآخر التطورات العلمية والكشوفات التجريبية وتكون له فى هذا المجال مطالعات منظمة ومنسجمة ويهتم كذلك بكتابة آخر الكشوفات العلمية الجديدة ويتحرك وفقاً لمعطياتها المعاصرة. إنّ ما يظهر من كلمات سماحة الاستاذ وخطبه فى المجالس العلمية والأخلاقية فى السابق والحاضر وكذلك ما كتبه من مقالات سياسية واجتماعية فى الصحف والمجلات «التى استمرت منذ زمان ما قبل الثورة إلى سنوات متأخرة» هذه الحقيقة، وهى أنّ سماحته يتمتع بشخصية فذة يجمع بين العلوم المختلفة القديمةوالجديدة، فهو ابن اليوم ويساير حركة العلم والثقافة فى هذا العصر. هذه الحقيقة أضفت جواً منفتحاً على أفكار سماحة الاستاذ وبعثت على الحركية والدينامية فى أفكاره ونظراته التى فعّلت من عناصر الهداية الفكرية للُامة. وهذا هو السبب فى ما نجده من اقتران بحوثه العلمية بحقائق ملموسة ومحسوسة من العلوم التجريبية والكشوفات العلمية المعاصرة.

النموذج الأول:

وعلى سبيل المثال نقرأ فى كتاب «المعاد» لسماحة الاستاذ فيما يتعلق بقصّة أصحاب السيرة المباركة، ص: ۹۴ الكهف وإمكانية النوم سنوات عديدة: «نشرت فى احدى مجلات علمية مقالة تتحدث عن اكتشاف علمى وهو كتاب طبع فى السنوات الأخيرة يتحدّث عن تجميد بدن الإنسان لإبقائه فترة أطول فى قيد الحياة بقلم «رابرت نيلسون»، وكانت له أصداء واسعة فى الاوساط العلمية، وصرّحت تلك المقالة فى المجلة المذكورة بوجود فرع علمى تمّ استحداثه أخيراً فى العلوم الطبيعية بهذا العنوان، حيث نقرأ فى هذه المقالة: «لقد كان الخلود يمثّل، طيلة التاريخ البشرى، أملًا بعيداً وحُلماً ذهبياً للإنسان، ولكننا الآن نرى أنّ هذا الحلم قد تحقق على أرض الواقع، وهذا الأمر مدين للتقدم العلمى المذهل فى علم «كريونيك» وهو العلم الذى يذهب بالإنسان إلى العصر الثلجى ويعمل على الاحتفاظ ببدنه منجمداً بأمل أن يتمكن العلماء فيما بعد من بعث الحياة فيه من جديد»، فهل يمكن تصديق هذه المقولة؟ إنّ الكثير من العلماء من الطراز الأول يفكرون فى هذه المسألة من جهات اخرى وقد بحثت بعض الصحف مثل «لايف» و «اسكواير» وكذلك الصحف الاخرى فى بلدان العالم هذا الموضوع المهم، وأهم من ذلك وجود برنامج حى فى هذا المجال بقيد التجربة» «۱». «و قد صرّح فى مقالة وردت فى المجلة المذكورة بهذا الخصوص أنّ فرعاً علمياً من بين الفروع قد ظهر بهذا الشأن، و جاء فى المقالة المذكورة: «إنّ الحياة الخالدة كانت من الأحلام الذهبية و العريقة للإنسان على مدى التاريخ، أمّا الآن فقد أصبح هذا الحلم حقيقة، يدين بالفضل للتطور الهائل الذى حققه العلم المعاصر الذى يعرف بعلم الكريونيك (العلم الذى يصحب السيرة المباركة، ص: ۹۵ الإنسان إلى العوالم المنجمدة و يحفظه كبدن منجمد على أمل أن يعيده العلماء يوماً إلى حياته). هل يعقل هذا المنطق؟ إنّ أغلب العلماء و المفكرين البارزين يفكرون فى هذه المسألة من عدّة جوانب، و قد خاضت فيه بعض الصحف العالمية، والأهم من كذلك أنّ هناك برنامجاً الآن بهذا الخصوص فى حيز التنفيذ». «۱» و قد أعلنت الصحف قبل مدّة أنّه ثم العثور فى الثلوج القطبية و التى تدّل أغطيتها على أنّها تعود إلى ما قبل آلاف السنين على سمكة منجمدة وبمجرّد أن قذفت فى ماء معتدل بدأت حياتها من جديد وقد أصابت الجميع بالذهول لما شرعت بالحركة. واضح أنّ الاجهزة حتى فى حال الانجماد لا تتوقف كما هى عليه الحال فى الموت، لأنّ العودة إلى الحياة فى تلك الحالة ليست ممكنة. و الذى نخلص إليه ممّا مرّ معنا هو إمكانية إيقاف الحياة و شل حركتها لتتحرك ببطىء تام، و الدليل على ذلك مختلف الدراسات و الأبحاث العلمية الواردة بهذا الشأن. و فى هذه الحالة يبلغ إستهلاك البدن للطعام الصفر، يمكن للاحتياطى الزهيد المخزون فى البدن أيديم الحياة بهذا البطىء لسنوات عديدة» «۲». وبعد أن ذكر الاستاذ مثل هذه النماذج العلمية استعرض البحث القرآنى المتعلق بهذه المسألة وكتب يقول: «قطعاً نوم أصحاب الكهف لم يكن نوماً عادياً طبيعياً على غرار نومنا، بل كان نوماً إستثنائياً، و عليه فليس من العجيب ألا يشكو من قضية الطعام ولا من الضرر على مستوى عضوية البدن بسبب ذلك النوم الطويل!» «۳».

النموذج الثانى:

ويذكر سماحة الاستاذ فى مقدّمة كتابه «الحياة فى ظلّ الأخلاق» نموذجاً آخر من هذا القبيل ويقول: «ماذا نبحث فى هذا الكتاب؟ إنّ ما تواجهه البشرية من أزمة وطريق مسدود، صراع المعذَّبين والبائسين، الحروب الدامية، كثرة الجرائم وازدياد ارتباك العلاقات العائلية ووهنها وضعف وشائج الودّ والمحبّة بين الأفراد و .. كل ذلك شاهد صادق على هذه الحقيقة، وهى أنّ القوانين المتداولة فى العالم المعاصر بالرغم من بذل الجهود ظاهراً لاصلاحها وتحسينها فانّها ليس فقط لم تثمر فى تحسين حياة الناس فى حركة الواقع الاجتماعى بل أدّت إلى زوال الأمل بمستقبل أفضل للبشرية، ولا نعلم إلى متى ينبغى علينا أن نجرّب هذه القوانين البائسة؟ هؤلاء لا يستطيعون أن يتحركوا من أجل حماية أوليائهم فكيف بحماية الآخرين؟ هذه القوانين بمثابة أبار عميقة تصل أحياناً إلى الصخور الكبيرة تحت الأرض، وكلما سعينا لشق وتحطيم تلك الصخور والتوغل فى أعماقها فاننا سنعيش حالة التعب الشديد دون أن نصل إلى الماء، وعلى هذا الأساس يجب علينا البحث عن مصدر المشكلة ونرى أين يكمن العيب؟ وبعد تشخيص الخلل نتحرك صوب إيجاد الحل لهذا المشكل، ففى المرحلة الاولى نواجه هذه الحقيقة، وهى أنّ هذه القوانين تمثل أدوية للاستعمال الخارجى فقط فليس لها تأثير إلّافى الظاهر والسطح، إنّ هذه القوانين لم تتمكن من النفوذ إلى أعماق الوجدان البشرى الذى يعتبر منبع حركات الإنسان وسعيه فى خط الصلاح والسعادة، وبالتالى لم تتمكن من تعبئة جميع طاقات الإنسان وتفعيلها لمكافحة هذه المشاكل وعلاج تلك الآلام والأزمات» «۱». السيرة المباركة، ص: ۹۷ ويتحدث الاستاذ فى كلماته هذه ويذكر لنا عدّة أمثلة تعكس اطلاعه الواسع فى مجال العلوم العامة بحيث يقول: «أى قانون يتمكن «مثلًا» أن يضغط على تلك الفئة من أثرياء العالم الذين يوصون بجميع ثروتهم بعد وفاتهم إلى كلابهم وقططهم، وإيجاد وسائل الرفاهية فى قرية القطط للأثرياء، ويعيد إليهم عقلهم وعاطفتهم الإنسانية ويدعوهم إلى دعم ملايين الجياع فى أفريقا؟ أىّ قانون بإمكانه نفخ روح حبّ الآخرين فى وجدان الأشخاص الذين يملكون قِطع ألماس تبلغ قيمة الواحدة أربعة عشر مليون توماناً، أو يملكون ألبوم للطوابع البريدية تبلغ قيمتها عدّة ملايين، أو نرى فى غرفة الاستقبال بعض التزيينات والآثار الغالية جدّاً، ويدعوهم بالتالى بدل ذلك إلى إنقاذ ملايين الأشخاص الذين يعانون من مرض الجذام والسرطان والسل؟ ...» «۱». لا- شك فى أنّ هذا النوع من البحوث التى يمتزج فيها الموضوع العقائدى مع هذا القبيل من الأمثلة يتمتع بجاذبية خاصة لدى جميع القراء. إنّ الخصوصية المذكورة أدّت إلى أن ينفذ الاستاذ إلى أعماق روح الناس وأذهانهم وخاصة الشباب، ويكشف عن أشكال القلق والاضطراب فيهم ويهتم بإيجاد الحلول للشبهات والأسئلة المختلفة لديهم ومعالجة أزماتهم التى تعصف بكيانهم.

النموذج الثالث:

ويستعرض سماحة الاستاذ فى مقدّمة كتابه «البحث عن اللَّه» نموذجاً آخر ويقول: «فى عالمنا المعاصر نرى شيوع أشكال القلق الخفى والاضطراب الروحى بين جميع أفراد البشر إلّاما ندر، وعلى الرغم من جودة الظاهر يعيش السيرة المباركة، ص: ۹۸ الإنسان نوعاً من الإرتباك الروحى والجفاف العاطفى، وهذا الاضطراب والقلق المبهم، وأحياناً من دون أن يعلم له الإنسان علّة معينة، يكاد يعصف بروح الإنسان كالطوفان الموحش ويمزقه تمزيقاً. الكثير من الناس الذين يعيشون بين أصدقائهم واخوانهم يشعرون بالوحدة والوحشة تقض مضاجعهم وتلهب أرواحهم، ويتصورون أن لا- يوجد أحد يدركهم ويفهم ما يختلج فى أعماق وجودهم وكأنّهم موجودات زائدة فى العالم المضطرب وقد تحوّلت حياتهم إلى العدمية واللاهدفية، فيجد الشخص فى نفسه العطش والفراغ من ذاته ومن الآخرين لشعوره بالكراهية والمقت، ولهذا فهو يعيش اللامبالاة والتشاؤم أمام كل حادثة. وينبغى القول بكل ثقة إنّ جميع هذه الظواهر الروحية هى نتيجة حقيقة مهمّة وكبيرة قد أهملها الإنسان فى مطاوى النسيان، ولهذا يعيش الحيرة فى حركة الحياة، ولعله يتصور أنّ هذه الحقيقة قد أصبحت قديمة أو لا حاجة له بها، ولا ضرورة للاهتمام بها فى أجواء الفكر والعواطف والعلاقات الاجتماعية، ولذلك

تركها الإنسان في زاوية النسيان، هذه الحقيقة المهمّة هي «اللّه» تعالى، خالق عالم الوجود، ومُبدىء المخلوقات والكائنات في العالم، والحاكم المقتدر على جميع قوانين الطبيعة وما وراء الطبيعة. أجل عندما يعيش الإنسان حالة النسيان والاهمال لهذه الحقيقة فهو في الواقع يعيش بلا أمل معين وبلا رؤية مستقبلية واضحة في حياته وبالتالي يعيش النسيان لذاته ولكل شيء ... الكثير من الشخصيات العالمية يعترفون بأنّهم أمضوا فترة عويصة من حياتهم مليئة بالاضطراب والقلق والحيرة، ولكن عندما وصلوا إلى منهل الإيمان باللّه واغترفوا من ماء الحياة لهذا الغدير الزلال عاشوا حياة جديدة وكأنّهم ولدوا من جديد ... وقد نالوا اقتداراً السيرة المباركة، ص: ۹۹ ونشاطاً في حركة الحياة لاعتمادهم على مبدأ القدرة الازلية التي تحوّل كل صعب أمامهم إلى سهل وميسور، فكانوا يتحركون في حياتهم الجديدة بخطوات ثابتة وبافق واضح وأمل فيّاض، وعندما يواجهون تحديات صعبة في واقع الحياة والمجتمع فانّهم يلجأون إلى بارئهم ويختلون به لمناجاته وطلب المعونة منه حيث يدركون أنّ خالقهم يعلم بآلامهم وبدائهم ودوائهم أفضل من الجميع، فيتّجهون إلى من هو أرحم بهم من أي مخلوق وأقرب إلى نفوسهم من أي صديق، ولذلك يجدون في أنفسهم الشوق العظيم إلى الاعتراف أمامه بكل ما يحزنهم ويهمهم بكامل الحرية وبدون يأس من الاستجابة لهم ويخففون بذلك عن أثقالهم ويعود إليهم نشاطهم وحيويتهم ... ألا ـ ينبغي لنا الاعتراف بأنّ مسألة التفكير باللّه والسعي لمعرفته تمثل أهم مسألة في حياة الإنسان والبشر وتمثّل أساساً التغلّب على المشاكل التي تعصف بالبشرية طيلة التاريخ البشري وخاصة في عصرنا الحاضر» «۱».

النموذج الرابع: التفكير في آفاق واسعة

إنّ تناغم حركة الاستاذ الفكرية مع مقتضيات الزمان أدّت على التعرف أكثر إلى خطط الأعداء والمستعمرين وفضح نواياهم، وبذلك نرى أنّ الاستاذ كان يتوقع منهم هذه المخططات والأساليب العدوانية، وعلى سبيل المثال يقول سماحته في كتاب «نهاية عمر الماركسية» الذي طبع قبل عدّة سنوات من انتصار الثورة الإسلامية: «وبهذا التحقيق نصل في النهاية إلى هذه الحقيقة، وهي: أنّ الماركسية مذهب يطوي مرحلة الشباب والنضج ويتجاوزها إلى حيث منزلقات الافول السيرة المباركة، ص: ۱۰۰ والذبول فليس ببعيد أن يتوقف هذا المذهب عن الفعّالية ويختم حياته بذلك» «۱».

النموذج الخامس:

ويتحدث سماحة الاستاذ في مقدّمة كتابه «الخطوط الأصلية للاقتصاد الإسلامي» بعد بيان خصوصيات الاستعمار الثلاث: (۱- تجميد الأفكار؛ ۲- خلق الإرتباط والتبعية؛ ۳- إيجاد عوامل النفاق)، فبالنسبة إلى الخصوصية الاولى يقول: «إنّ «المخ» هو أول طعام يسيل له لعاب «أفعى الضحاك الاستعمارية» «۲» وخاصة عقول الشباب والأحداث! وهو ما تقوم به دائماً وكل يوم. و على هذا الأساس فأيما حديث تسمعونه عن تخدير العقول وعن قضايا ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بتعطيل العقول المفكرة والواعية وغسل الأدمغة، فاعلموا أنّ وراء ذلك الاستعمار خفية أو علانية. فإنّ أولى المهمات التي يقوم بها الاستعمار لتنفيذ خططه، قتل «الفكر» و «العقيدة» ويكون تنفيذ هذه المهمة إمّا عن طريق تفريغ الثقافة الاجتماعية من محتواها، وإمّا من خلال جذب الأنظار نحو مسائل هامشية والابتعاد بالمجتمع عن أصل الحياة الحقيقية، وبالتالي تغيير «القيم» ومسخها، حتى يصل الأمر إلى وقوع المجتمع في أخطاء عندما يريد تشخيص ما هو حق مسلّم وما هو باعث للفخر والاستقلال والحرية، وتقبّله لأشياء أخرى فاقدة لأية قيمة حقيقية مكانها» «۳».

النموذج السادس:

لا شك أنّ هذه الخصلة تعدّ من العوامل المهمّة في فاعلية فكر الاستاذ واعتقاده بحضارية الدين الإسلامي وقدرته على تشكيل الحكومة وإدارة المجتمع البشري والإجابة على المشكلات المختلفة التي تعيشها المجتمعات البشرية، ولهذا السبب بدأ الاستاذ يكتب

فی هذا المجال، فأولًا: كان الاستاذ من رواد اطروحة الحكومة الإسلامية حيث كتب فی بداية انتصار الثورة الإسلامية المباركة كتاب «اطروحة الحكومة الإسلامية»، وثانياً: أجاب عن كثير من الشبهات وعلامات الاستفهام المختلفة فی ما يتعلق بالقضايا المعاصرة فی عدّة من تأليفاته وكتبه تحت عنوان «أسئلة وأجوبة»، وفی مقدّمة هذا الكتاب يقول: «إنّ السؤال، من أجلی مظاهر الروح المتعطشة الطالبة للحقيقة فی الإنسان ونافذة مفتوحة فی مسيرة التكامل الإنسانی والعلمی، والسؤال عبارة عن مَعلَم للسعی وبذل الجهد المداوم لدی الإنسان لكشف حقيقة العالم المليء بالأسرار والمجهولات، ولهذا السبب نری أنّ الأشخاص الذين يفتقدون السؤال فی مدارات الفكر هم أشخاص ضعفاء فی شخصيتهم وتفكيرهم، وكذلك ولهذا السبب أيضاً نری الإسلام الذی يُعتبر ديناً متقدماً وحضارياً، ليس فقط منح أتباعه حق السؤال فی المسائل المختلفة بل إنّ أولياء الدين الإسلامی قد دعوا الناس كراراً إلی تقديم أسئلتهم فی مختلف المجالات العلمية، غاية الأمر كانوا يلاحظون مدی قابلية الفرد الفكرية ومقدار تقبله للحقائق فی دائرة الأجوبة» «۱».

النموذج السابع:

إنّ سماحة الاستاذ (دام‌ظلّه) لو لم يكن ابن هذا الزمان ولم يكن مطّلعاً علی مقتضيات هذا العصر، لم يكن يستقبل كل هذه الأسئلة والشبهات الجديدة لاسيما فی كتابه «المسائل المستحدثة» الذی يبحث فی الأجوبة الفقهية للمسائل الجديدة، وأيضاً يقول فی مقدّمة كتابه «الجميع يريد أن يعلم» وهو كتاب يبحث فی مواضيع ثلاثة «المعراج»، «شقّ‌القمر»، و «العبادة فی القطبين»: «لماذا نسأل كل هذه الأسئلة؟ إنّ الإنسان بذاته محبّ للاستطلاع، والقسم الأعظم من معلوماته، أو جميعها كما يذهب إلی ذلك البعض، مدين لغريزة الاستطلاع هذه، فهو يرغب فی الاطلاع علی جميع أسرار العالم وإزاحة اللثام عن كل شیء غامض ومبهم فی عالم الخلقة، ولا شیء ألذّ لديه من خبر جديد أو كشف حديث يتعلق بهذا العالم الواسع، إنّ الإنسان يتحرك من موقع هذه الغريزة ليتناول كل شیء فی عالم الفكر حتی فی المسائل الدينية، فهو يريد التعرف بمقدار ما اوتی من قوّة العقل والفكر، علی أسرار الأحكام الدينية وكيفية إدراك العقائد الحقّة وكل ما يتعلق بها من مسائل، ولهذا السبب نحن نتوقع أن نفهم بعقولنا جميع المسائل الإسلامية، سواء فی العقائد أو الأحكام والتشريعات وغير ذلك، وكذلك نتوقع تطابق هذه المعلومات الدينية، مع ما يصل إلينا من علوم طبيعية عن مختلف الظواهر الطبيعية فی عالم الخلقة، وهذا التوقع ليس غريباً بل إنّ المذهب أو الدين الواقعی هو الذی يوجه فكرنا فی خط العثور علی الأجوبة الصحيحة فی مختلف المسائل العلمية ويعتبر مكملًا للقوانين الحاكمة علی الكون والطبيعة، فلو كان الدين يتقاطع مع قوانين الطبيعة فإنّه يحكم علی نفسه بالفشل والزيف والخرافة، ولكن هل تعلمون بأنّ كتابنا السماوی «القرآن» السيرة المباركة، ص: ۱۰۳ له سهم مؤثر فی بعث وتحريك هذه الغريزة لدی جميع أتباعه. وفی الحقيقة كان يمثّل العامل المهم لتقدم المسلمين وتحريكهم باتجاه الكشوفات العلمية؟ لأنّ منهج القرآن يتحرك من موقع الاستدلال والبرهان فی جميع المسائل الاصولية والعقائدية، وهذا المنهج الاستدلالی بإمكانه أن يوقظ حس التعقل فی جميع الموارد العلمية المختلفة، مضافاً إلی أنّ القرآن الكريم يطالب المخالفين بالدليل والبرهان ويوبّخهم علی اتباعهم بعض العقائد غير المستدلة وغير المنطقية، فآيات القرآن المليئة بمثل هذه المضامين حيث لا مجال لاستعراضها فی هذا المختصر، وهذا هو ما نقوله من أنّ القرآن الكريم نفخ الروح فی غريزة حبّ الاستطلاع والاستدلال العقلی فی نفوس أتباعه» «۱». ويقول سماحته مشيراً إلی ضعف الكثير من الأديان والمذاهب العالمية فی مقابل السؤال والإشكال: «ولكنك إذا نظرت إلی الديانة المسيحية الحالية أو بحثت فی أجواء المذاهب والأديان الاخری وأردت أن تكون مسيحياً واقعياً ومؤمناً فسوف تری مع كمال العجب أنّ الحالة هناك مختلفة، وتشعر بأنّ أمامك مجموعة من العقائد الغامضة والمعقّدة التی ينبغی عليك الإيمان والتصديق بها من دون أن يكون لك حق المناقشة والبحث فيها، مثلًا إذا سألتهم عن مسألة التثليث فی الوحدة، وبعبارة اخری: الواحد فی عين الثلاثة والثلاثة فی عين الواحد، فكيف يتقبل عقلك هذه الفكرة ويذعن لها من موقع التصديق والإيمان؟ سوف يجيبونك عن هذا السؤال: إنّ هذا الموضوع يجب قبوله والتصديق به فی عالم القلب والتعبّد!! ولو سألتهم: هل أنّ عيسی المسيح السيرة

المباركة، ص: ۱۰۴ يمثّل ابناً واقعياً للّه؟ فسيجيبونك: حتماً. نعم، فلو سألتهم: ما هو المفهوم لهذه العقيدة وأن نؤمن بأنّ شخصاً ابن اللّه؟ فسيقولون: هذا بدوره من الأسرار الدينية التى يجب عليك قبولها والتعبّد بها!! ولو سألتهم مرّة اخرى: لماذا بعث اللّه ابنه لهذا العالم الملىء بالضجيج وأرسله إلى البشرية؟ فسيقولون: من أجل أن يضحى بنفسه فداء لذنوب البشر وبالتالى سينالون المغفرة والصفح من اللّه تعالى، ولو سألتهم: ما ذنب المسيح حتى يحترق ويصلب بسبب ذنوبنا؟ ثم مدى تأثير تضحية المسيح فى نفوس المذنبين وكيف نفهم حركة الإنسان التكاملية من خلال هذه العملية؟ فسيقولون أيضاً: لا ينبغى أن تتوقع فهم جميع هذه الامور من موقع العقل وبأدوات الاستدلال العقلى!! وبالطبع فنحن المسلمون سوف نتعجب كثيراً ونتألم من هذا المنطق الغامض والعجيب للتفكير العقائدى، لأنّ القرآن الكريم علّمنا الاستدلال فى جميع المسائل العقائدية، ولكن مع الأسف فانّ المسيحيين فى هذا العصر لا يشعرون بالانزعاج من هذا المنطق لأنّهم تمرسوا فيه وتوغل هذا النمط من الجمود الفكرى فى نفوسهم وتطبعوا عليه، ومن هنا ينبغى علينا التصديق بأنّ الإسلام وهبنا هذه النعمة الكبيرة حيث منحنا حق البحث والمطالعة والتفكر والتدبر ولم يوصد أمامنا طرق الاستدلال والبرهان كما نراه فى المذاهب والأديان المليئة بالخرافات والأوهام» «۱».

النموذج الثامن:

الشاهد الآخر على معرفة سماحة الاستاذ بمقتضيات الزمان وتطلعه واستشرافه لآفاق المستقبل، ما ذكره فى مقدّمة كتابة «الإسلام فى تحقيق قصير» حيث يقول هناك: السيرة المباركة، ص: ۱۰۵ «إذا انطلقنا لدراسة حال المسلمين فى عالمنا المعاصر نرى وضعاً مؤسفاً وحالة مؤلمة للغاية، فهذه الامة التى كانت فى ما سبق تتصدر العالم المتمدن وتحكم حضارة بشرية عالمية تبلغ حدودها من المحيط الأطلسى إلى سد الصين العظيم ... ولكنّها اليوم استبدلت بكل تلك العظمة والقدرة والفخر بحالة من الضعف والخور والتبعية والتشتت ... فلم يكن ذلك التوفيق العظيم بدون سبب وعلّة، ولا هذا الانحطاط والتسافل والتأخر». ثم يتعرض سماحته إلى العوامل التى أدّت بالامة الإسلامية إلى هذه الحالة المزرية ويقول: «إنّ من بين العوامل المختلفة التى أدّت بالامة الإسلامية إلى هذه الحالة المؤسفة عاملين أكثر تأثيراً من غيرهما: ۱- التشتت والنفاق، ۲- عدم الاطلاع على امور العصر ومقتضيات الزمان». وفى بيانه للعامل الثانى يقول سماحته: «لا يمكن لأىامة مهما كانت تعيش القوّة والعظمة أن تحفظ عظمتها وافتخارها إلّابأن تحيط علماً بروح الزمان ومتطلبات العصر، ويقول إمامنا وزعيم مذهبنا الإمام الصادق عليه السلام فى جملة قصيرة وعميقة المعنى فى بيانه لهذه الحقيقة الناصعة: «العالم بزمانه لا تهجم عليه الهواجس»، والحقيقة أنّ هذه الجملة مليئة بالمعنى العميق ونحن بدورنا بعيدون عنها، وبديهى أنّ المفهوم من الاطّلاع على روح الزمان لا يعنى أننا نأكل الخبز بسعر اليوم أو نعمل على تغيير الحقائق الإسلامية والتعليمات السماوية مع تغيير أوضاع الزمان، بل المقصود أننا ينبغى أن نطّلع على الحوادث التى تجرى فى العالم المعاصر، ونطّلع على خطط الأعداء ونستخدم الأدوات والوسائل المفيدة فى هذا العصر لنشر التعاليم الإسلامية الصحيحة فى مختلف أرجاء السيرة المباركة، ص: ۱۰۶ المعمورة، ونتحرك على مستوى ابلاغ هذا النداء الروحانى والإلهى للنبى الأكرم صلى الله عليه و آله وأئمة الهدى عليهم السلام إلى أسماع البشرية فى داخل البلاد الإسلامية وخارجها، فكلّنا قد سمع بأنّ معجزات الأنبياء العظام كانت من النوع الذى ينسجم مع ثقافة عصرهم وعلوم أهل زمانهم، وهذا بذاته بمثابة درس كبير لجميع المسلمين فى إرشادهم إلى استخدام الوسائل المؤثرة لتبليغ حقائق الدين الإسلامى إلى العالم، فلو أنّ نبى الإسلام قد أوصل الخطاب الإلهى وآيات القران المجيد التى تعتبر فى أعلى مستويات الفصاحة والبلاغة إلى حدّ الاعجاز، فانّ المفهوم من ذلك أننا يجب علينا استخدام أكثر الوسائل تأثيراً ونفوذاً فى الأفكار والقلوب، وهذا هو ما نقصده من الاستفادة من أسلحة العصر الحاضر فى مجال الثقافة الدينية، نعم إنّ هذا الأمر الإلهى يمثّل فريضة واجبة على جميع المسلمين بأن يستفيدوا من جميع الوسائل الممكنة فى زمانهم لتعريف الإسلام إلى البشرية جمعاء» «۱».

النموذج الأخير: جلسات الاستفتاء والذكاء الخارق فی تشخیص الموضوعات الفقهیّة:

وفی الختام نری من اللازم عدم إغفال شاهد آخر علی وجود الخصلة المذكورة فی شخصیة سماحة الاستاذ علی مستوی: «الذكاء الخارق والدقّة المتناهیة فی تشخیص الموضوعات الفقهیة» فی جلسات الاستفتاء: لا یخفی علی من یشترك فی جلسات الاستفتاء وجود تنوع كبیر فی الاسئلة المطروحة والواردة إلی هذا المكتب فی مختلف المجالات الفقهیة من شرق العالم وغربه، ولابدّ من دراستها وبحثها بعد تشخیص الموضوع الذی تنتمی إلیه، فالأمر الضروری جدّاً فی هذه السیرة المباركة، ص: ۱۰۷ الموارد، مضافاً إلی الحاجة إلی قدرة الافتاء وملكة الاستنباط لدی الفقیه وصاحب الفتوی ومعرفته الدقیقة واحاطته التامة بالاصول والضوابط اللازمة فی فن الاجتهاد، أن یتمتع الفقیه بذكاء اجتماعی وفراسة فی‌تشخیص الموضوعات المختلفة والمتنوعة التی ترد علیه من داخل البلد وخارجه، ومن قبل المنظمات والمراكز الحكومیة أو من قبل الأطراف والشخصیات الحقیقیة، وكل هذه المسائل الفقهیة ترد بصورة متواترة إلی مدینة العلم والاجتهاد، مدینة قم، وأحیاناً تتضمن مسائل وموضوعات معقدة وربّما توجد هناك سوء نیّة لدی المستفتی بحیث یلزمه أن یعقّد المسألة، ومن جانب آخر فانّ هذا المستفتی لا یجد فی نفسه الجرأة علی ذكر الحقیقة كاملة فی سؤاله من أجل أن یجر النار إلی قرصه وبهدف استمالة الفتوی إلی جانبه. وهنا تتجلّی قدرة صاحب الفتوی علی معالجة هذه المطبات فی دائرة الاستفتاء، فلابدّ من ذكاء خاص وفراسة اجتماعیة ونفسانیة تمكن الشخص من الاحاطة بجمیع آفاق المعضلة والوقوف علی حیل وألاعیب قد یستغلها بعض الأشخاص لصالحهم وبإمكانها أن توقع المفتی فی الخطأ والاشتباه، وبدیهی أنّ الخطأ والاشتباه فی عالم الفتوی «وإن كان الفقیه مأجوراً عند اللَّه» فانّ ذلك من شأنه أن یورث مشاكل كثیرة فی إطار سحق الحقوق أو إبطال الحق المشروع. وهنا لابدّ لأصحاب الفتوی الذین لا یتمتعون بفراسة اجتماعیة كافیة ویعیشون السذاجة القلبیة بسبب عدم معاشرتهم لطبقات الناس وأفراد المجتمع فیتصورون أنّ جمیع الأفراد یعیشون الصفاء الروحی والنیّة الطاهرة والشفافة كأنفسهم، لابدّ لمثل هؤلاء الفقهاء من استخدام مشاورین أذكیاء وامناء ودعوتهم إلی جلسة الاستفتاء لإحراز الموضوع الفقهی وتشخیص تعقیدات‌المسائل الفقهیة فی دائرة الحقوق والمعاملات وغیرها والاستفادة من ذكائهم وفراستهم فی هذا المجال. إنّ سماحة الاستاذ یتمتع أولًا: بالذكاء الحاد والفراسة الاجتماعیة، وثانیاً: إحاطته السیرة المباركة، ص: ۱۰۸ بمقتضیات الزمان والمكان وحنكته فی الامور الاجتماعیة بسبب معاشرته الطویلة والممتدة إلی جمیع شرائح المجتمع المختلفة، ومن هنا نری أنّ سماحته عندما یجلس مجلس الاستفتاء ویجیب علی المسائل الفقهیة یكون أسرع من سائر أعضاء الجلسة فی تشخیص العقد الكامنة فی هذه المسائل والكشف عن الحیل الظاهرة والباطنة لبعض المستفتین وبالتالی یمكنه استجلاء الغرض والموضوع لهذه المسألة الفقهیة. السیرة المباركة، ص: ۱۰۹

۱۱ الجمع بین القلم والبیان، والاصول والفروع

اشارة

إنّ الكثیر من الأشخاص ممن یمتلك قدرة البیان یعدّ من الخطباء الموفقین من الدرجة الاولی ولكنهم لم یخلّفوا أثراً مهماً فی عالم التألیف والكتابة، أو أنّهم لم یستغلوا موهبة القلم والقدرة علی الكتابة كما ینبغی، لأنّه لا ـ ملازمة بین قدرة البیان وقدرة الكتابة والتألیف، ویقول أحد الخطباء الموفقین: «إذا أردت أن أكتب شیئاً فینبغی أن أذكره بلسانی أولًا ثم أكتبه علی القرطاس». وكذلك هناك كثیر من العلماء والفضلاء الذین لم یهتموا بشیء غیر الكتابة والتحقیق والتألیف ولكنّهم غیر قادرین علی بیان مواضیع علمیة علی مستوی الخطابة بل أحیاناً یمتنعون من إدارة جلسة دینیة أو الصعود علی المنبر والاهتمام بمسألة الوعظ والإرشاد للشباب. أما سماحة الاستاذ فإنّه یعدّ من القلائل فی تاریخ علماء الشیعة حیث جمع بین القلم والبیان، التدریس والتبلیغ، التحقیق والتألیف، العلوم الجدیدة والقدیمة، وبكلمة: إنّه جمع بین الاضداد تقریباً، من حیث إنّ التضلع والتمرس فی البحوث الحوزویة والتعمق فی المسائل

الفنية والصناعية يمنع الإنسان من الاطلاع على مقتضيات العصر وما تعيشه البشرية من آفاق حضارية وتطورات فى العلوم التجريبية، والجمع بين هذه الابعاد المتضادّة ظاهراً يحتاج إلى نبوغ خارق، حافظة قوية، استقامة ومواصلة فى العمل، وقابلية ذاتية، والأهم من الجميع يحتاج إلى توفيق غيبى وإلهى كما رأينا فى الفصول السابقة، فنرى السيرة المباركة، ص: ۱۱۰ أنّ سماحة الاستاذ بحمد اللّه يتمتع بهذه الحصوصيات الفنية والسمات الروحية. وما ينبغى ذكره فى هذا المجال هو أن الإشارة إلى مظهرين من مظاهر ومعالم حالة الشمولية والجامعية بين القلم والبيان لدى الاستاذ، حيث يقول الاستاذ نفسه فى هذا الصدد: «أنا أعتقد دائماً أنّ رجل الدين يجب عليه أن يتسلح بسيفين: سيف البيان وسيف القلم، والعالم الفاقد لهذين السلاحين، حتى لو كان جبلًا من العلم، فإنّه سيأخذ علمه ومعرفته معه إلى القبر، ولكن لو كان مجهزاً بهذين السلاحين أو بأحدهما على الأقل فإنّه بامكانه أن يخلّف آثاراً محمودة بين الناس».

سلاح القلم!

وبهذا يستعرض سماحة الاستاذ هذه الموهبة الإلهية فيما يتعلق بقدرته على البيان والكتابة والتأليف وكيفية استثمار هذه القابليات والمواهب الإلهية فيما ينفع الإسلام والمسلمين، وقد سبق الكلام عن ذلك فى الفصل السابق «الاستقامة والجدية»، ثم يتطرق سماحته إلى قصّة تأليف أول كتاب له باسم «تجلى الحق» والتشويق الذى حازه من قبل المرحوم آية اللّه السيد البروجردى رحمه الله على تأليفه هذا الكتاب (وقد تقدم بيان ذلك بالتفصيل فى الفصل التاسع). ثم إنّ سماحته أشار إلى الكتاب الثانى من تأليفاته المهمّة القيمة، أى كتاب «أشباه الفلاسفة» وقال: «عادة يثير الكتاب الناجح لدى البعض دوافع خاصة تحركهم وتدفعهم إلى التقليل من شأن هذا الكتاب من خلال بث الشايعات حوله. وهذا الكتاب قد تقدم به المرحوم الشهيد المطهرى إلى هيئة انتخاب (كتاب العام) وبدون السيرة المباركة، ص: ۱۱۱ علمى، وفى السنة السابقة لذلك التاريخ تمّ انتخاب كتاب (اصول الفلسفة والمنهج الواقعى) من تأليف العلّامة الطباطبائى على أنّه (كتاب العام)، وفى السنة اللاحقة تمّ انتخاب كتاب (أشباه الفلاسفة) بعد أن قدّمه إليهم المرحوم الشهيد المطهرى فإنّه كان يرى أنّه لا ينبغى ترك الساحة واخلاء الميدان للمخالفين ليتوهموا أنّ الحوزة العلمية ليست لها قدرة على الانتاج العلمى وأنّ العلوم كلها موجودة فى الجامعات، فالشهيد المطهرى كان يعيش هذه الحساسية الشديدة تجاه التيارات الفكرية الاخرى، ولهذا السبب تقدم بكتابى هذا إلى هيئة التحكيم وتمّ انتخابه بعنوان أنّه كتاب العام». وفى هذا المجال أيضاً وبالإشارة إلى سائر تأليفاته الكثيرة (أكثر من مائة وعشرة كتب صغيرة وكبيرة) ومع ملاحظة أن بعضها تكرر طبعه ثلاثين مرّة والبعض عشرين مرّة وآخر طبع عشر مرّات وكانت هذه الكتب مورد استقبال الناس الشديد، وأمّا على مستوى «التفسير الأمثل» فإنّه استقبل استقبالًا يقلّ نظيره فى جميع المحافل الدينية والمكتبات والجامعات والمدارس والبيوت، وليس الأمر ينحصر فى دائرة الشيعة بل إنّ الكثير من أهل السنة استقبلوا هذا التفسير بأحسن استقبال وترجم إلى اللغة العربية والاوردية، ويتحدّث سماحة الاستاذ عن تفسيره الآخر باسم «نفحات القرآن» ويقول: «التفسير الآخر يدعى (نفحات القرآن) وقد كتبته بمنهج التفسير الموضوعى، أى ليس على طريقة ترتيب الآيات والسور القرآنية بل بترتيب موضوعات القرآن. ويقع هذا التفسير فى عشر مجلدات ويتضمن مسائل عقائدية ومعارف دينية فى مجال العقائد من التوحيد إلى المعاد من خلال استنطاق الآيات الكريمة حيث تمّ التحقيق والبحث فى جميع الآيات التى تتحدث عن التوحيد، والآيات التى تتحدث عن صفات اللّه، والآيات التى تتعرض إلى النبوة العامة والنبوة الخاصة وهكذا جميع الآيات التى تشير إلى السيرة المباركة، ص: ۱۱۲ المعاد والإمامة والحكومة الإسلامية وأمثال ذلك، وقد سمعت من بعض الفضلاء قولهم عن هذا التفسير: إنّ هذا التفسير يمثل فعلًا أفضل منبع لفهم العقائد الإسلامية». ثم يشير سماحته إلى كتبه الفقهية والاصولية ويقول: «أمّا بالنسبة إلى الكتب الفقهية والاصولية فهناك دورة فى علم الاصول تمّ تدوينها بواسطة أحد طلابى الذين يحضرون درسى فى الاصول وهو شاب ذكى وجيد الفهم وذو قلم شيّق ويتمتع بالإخلاص والإيمان فى عمله، حيث عمل على تدوين وجمع ما ذكرناه فى درس الاصول، وبعد ذلك قرأه علىَّ وأجرى بعض الإصلاحات اللازمة عليه وتمّ طبعه بحمد اللّه فى ثلاثة مجلدات، أمّا فى الفقه فلدينا

كتاب «أنوار الفقاهة» والمجلد الأول منه يتضمن كتاب البيع، والمجلد الثانى كتاب المكاسب المحرمة، والمجلد الثالث كتاب الخمس والأنفال، والمجلد الرابع كتاب الحدود والتعزيرات، وكذلك لدينا تعليقة على جميع العروة الوثقى، وهذه التعليقة على العروة شرعت بها قبل عشر سنوات وخلافاً للمعتاد سعيت إلى عدم الاكتفاء والقناعة بالتعليقة على كل كلمة أو جملة تعكس الفتوى الفقهية بل سعيت إلى ذكر الدليل الأصلى على هذه الفتوى لتكون مفيدة بالنسبة لى وللآخرين، أى أنّها تمثل دورة فقهية نصف مستدلة تقريباً. وأنا أشكر اللّه تعالى على أنّ هذه الزحمات لم تذهب هدراً بل بقيت فى متناول الطلّاب الأعزاء لينتفعوا بها. والتأليف الآخر هو دورة «القواعد الفقهية» التى كانت من بداية طبعها ونشرها تمثل ابداعاً فى هذا الفن، حيث بحثت فيها ثلاثون قاعدة فقهية لم تبحث بصورة جيدة، لا فى اصول الفقه ولا فى أبحاث الفقه، وقد تحملت متاعب كبيرة فى جمعها ودراستها قبل أن يخرج كتاب «القواعد الفقهية» السيرة المباركة، ص: ۱۱۳ للمرحوم العلّامة البجنوردى، وقد ألفتها فى مجلدين وتكرر طبعها عدّة مرات وكانت محل استقبال جيد من قبل الفضلاء والطلّاب الأعزاء، وأحياناً تعرض بشكل كتاب درسى فى بعض الحوزات العلمية».

سلاح البيان!

بعد أن استعرض سماحة الاستاذ ما يتعلق بسلاح القلم، شرع ببيان ما يتعلق بسلاح البيان أيضاً حيث قال: «أنا أعتقد أنّ العالم الذى لا يتسلح بسلاح القلم ويفتقد فى نفس الوقت سلاح البيان والخطابة فإنّه لا يمكنه أداء مسؤوليته الرسالية بصورة جيدة، والآن أيضاً اوصى الطلبة الأعزاء والعلماء المحترمين بهذا الأمر وأنّه من الأفضل ممارسة عملية التبليغ والخطابة لا بلغة واحدة بل بعدّة لغات وعلى أساس هذا النمط من التفكير بدأت منذ سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة بممارسة فن الخطابة والتحدث على المنبر حيث كنت أتوجه للتبليغ فى شهر رمضان المبارك أو شهرى محرم وصفر. وأول منطقة ذهبت إليها عندما كنت طالباً من طلّاب العلوم الدينية فى شيراز عبارة عن قرية تدعى «جوين» على مقربة من شيراز، وهى الآن تعدّ من أحياء شيراز، وبعدها توجّهت للتبليغ فى شهر رمضان المبارك إلى مدينة «فسا» وهى أحد المدن التابعة لمحافظة فارس، مع إننى كنت على اطلاع جيد فى علوم التفسير والعقائد ولكننى لم أكن أجد فى نفسى الموفقية فى عالم الخطابة وكنت خجولًا جدّاً وأتصور أننى أفتقد البيان الشيّق والجذّاب، فتوسلت بالأئمّة المعصومين عليهم السلام وطلبت منهم نعمة اللسان الناطق الفصيح لأتمكن من تقديم خدمة للإسلام وللمذهب، واستمرت توسلاتى ودعائى حتى أحسست السيرة المباركة، ص: ۱۱۴ تدريجياً أننى أملك قدرة أكثر على ممارسة الخطابة، وبعد ذلك بلغ بى الأمر أن أكون خطيباً مقتدراً وكان الناس يطلبوننى لأقرأ عليهم مجالس الوعظ والإرشاد»

ذكرى شيّقة ومفيدة جدّاً:

بعد أن تحدّث سماحة الاستاذ عن تطور القدرة الخطابية لديه بدأ بشرح تفاصيل نشاطاته الهادفة وجهاده المستمر من خلال المنبر فى التصدى للتيار الماركسى وبعض الفرق الضالة والمفاسد الأخلاقية المنتشرة فى مدينة عبادان وخرمشهر، ثم تتطرق الاستاذ إلى ذكر جلساته المتواصلة قبل انتصار الثورة فى مسجد «ارك» فى طهران وحسينية «بنى فاطمة» على شكل «أجوبة عن أسئلة المستمعين وحفظ الحديث» وما قام به من مشاريع لجذب الشباب وطلّاب الجامعات إلى صفوف ا لمتدينين والمؤمنين فى هذا المجال وأشار سماحته إلى ذكرى شيّقة جدّاً وقال: «إنّ الكثير من الأشخاص الذين يواجهوننى الآن ممّن كانت لديهم أسئلة مختلفة يتذكرون تلك الجلسات الدينية، ولى خواطر وذكريات كثيرة فى هذا المجال، واريد أن أختم هذا البحث بذكر حادثة لطيفة وهى بمثابة عبرة لى دائماً، فقد كنّا نعقد جلسة فى كل صباح يوم الجمعة للشباب فى مسجد الإمام الحسين عليه السلام وكنت أتوجه آخر الاسبوع من قم إلى طهران للمشاركة فى جلسات ليالى الخميس التى نبحث فيها العقائد والمعارف الإسلامية، وكذلك جلسات صبح الجمعة فى مسجد الإمام الحسين عليه السلام فى طهران حيث كنت أكتب لهم حديثاً شريفاً فى كل اسبوع مع ترجمة بليغة وشرح مختصر ويتمّ طبعه فى صفحة

واحدة ونشره بين المشاركين الذين كان أكثرهم من الشباب ... وفى أحد الأيام قررنا امتحان المشتركين فى حفظ وتفسير أربعين السيرة المباركة، ص: ۱۱۵ حديثاً، واشترك عدد كبير من الاخوة والاخوات فى هذا الامتحان، والملفت للنظر أنّ الغالبية منهم كانوا قد حفظوا أربعين حديثاً شريفاً بشكل كامل مع الاعراب والترجمة والمآخذ ... ثم تقرر اهداء جوائز بواسطة أحد الخيرين على هؤلاء الشباب الفعّالين، وكانت الجوائز عبارة عن ملابس «سترة وسروال وعباءة نسوية» وكذلك زيارة الإمام الرضا عليه السلام فى مشهد، والظاهر أنّ هذه الزيارة كانت بالطائرة، وجوائز اخرى من هذا القبيل، وبعد أن اتّضحت نتيجة الامتحان قلت لذلك المتبنّى المحترم: إننى أطلب موافقتك على تسجيل اسمك بأنّ الشخص الفلانى قد تبرع بهذه الجوائز ولكنه امتنع من ذلك وقال: كلّا لا تكتبوا اسمى، لأنّكم لو كتبتم اسمى هنا فأخشى أن لا يكتب اسمى فى مكان آخر أحتاج إليه، وشعرت حينها بالسرور لكل هذا الإخلاص».

الجمع بين الاصول والفروع:

ومن المعالم الاخرى لجامعية الاستاذ وشموليته العلمية، جمعه بين الاصول والفروع «الاصول الاعتقادية والفروع الفقهية»، فالاستاذ فى الوقت الذى يعتبر فقهياً جامعاً ومجتهداً متمرساً، بالمعنى المصطلح فى الحوزة العلمية، ونعلم أنّ البحوث الفقهية فى الحوزة ومنهج الدروس الاصولية والاجتهاد فى الحوزة إلى درجة من التعقيد بحيث إنّ الكثير من الفقهاء ينصرفون عن البحث فى المسائل العقائدية والأخلاقية والتفسيرية «وهى فى الحقيقة أعلى مراتب الفقه» وعملًا يجدون صعوبة بالغة فى الدخول فى هذا الميدان والتعرض إلى هذه المساحات العملية ولكننا نجد أنّ الاستاذ له اهتمامات كبيرة فى هذه البحوث الأساسية الأصيلة ويؤكد دائماً على أهميّة اصول الدين فى مقابل فروع الدين ويقول: «العجيب أننا فى الوقت الذى نسمى هذه البحوث الاعتقادية «اصول السيرة المباركة، ص: ۱۱۶ الدين» ونسمى البحوث الفقهية «فروع الدين» نرى البعض يتمسك بالفروع فى دراستهم الحوزوية ولا نجد أثراً للدرس والبحث فى «الاصول»!! فصحيح أنّ المسائل الفرعية لابدّ من بحثها والتحقيق فيها فى الحوزات العلمية، ولكنّ هذا لا يعنى الغفلة عن اصول العقائد التى تمثل البنى التحتية للدين ...». وكذلك يقول: «ما أحسن تشبيه الدين بالشجرة المثمرة التى تمثل «العقائد» جذورها، والفروع أغصانها وهى «البرامج والتعاليم والأحكام الفقهية»، وأمّا ثمرتها فهى «تربية الإنسان الكامل»، وهذا المعنى يثير فى أذهاننا ما يطلق على هذه العلوم بأصول الدين وفروعه» «۱».

۱۲ المسؤولية الدينية مع الشعور العقلانى

اشارة

إنّ الاستاذ (دامظلّه) يعيش دائماً كجندى متحرق وحارس يحس بالمسؤولية الدينية والحمية الحوزوية فى حياته حيث يجد فى نفسه همّاً وقلقاً من تحريف الدين والابتعاد عن الأصالة الدينية والحوزوية، وهنا تصدى سماحته بقلمه القوى والجذّاب (حيث يرى البعض أنّه أقوى وأشد تأثيراً من بيانه) لمعالجة الانحرافات الفكرية والأخلاقية ومكافحة أشكال الزيغ والجنوح الاجتماعى، فمضافاً إلى تأليفه لأكثر من مائة كتاب علمى وتحقيقى فى سبيل الدفاع عن الإسلام والتشيع، نرى أنّ سماحته يتحرك من فرط احساسه بالمسؤولية الدينية والأخلاقية، وعلى هذا الأساس انطلق سماحته من موقع مل الفراغات وسد الثغرات من دون تكرار للمكررات أو التأطر بإطار التكلفات والتعبيرات الغامضة والعبارات المبهمة، فكان قلمه السيّال يتجلّى فيه عنصر النفوذ والتأثير الشديد بحيث إنّه يتمكن من بيان أصعب مسألة وأعقد مشكلة فكرية بشكل سهل وميسور يفهمه عامة الناس أو أغلبهم، ولا شك فى أنّ مثل هذا القلم يُعدُّ موهبة كبيرة لا يوفق إليها إلّامن كان ذا حظ عظيم. ويتحدّث أحد أصحاب الاستاذ ورفاقه عن هذه الحالة من التحرك الدينى وبعض خصائص الاستاذ الاخرى ويقول: «بالنسبة لمرافقتى سماحة الاستاذ فى تلك المدّة القصيرة (وإن كانت لم تتجاوز السنة الواحدة) فقد عشت معه

أبعاده الروحيـة وعبادته وجهات نظم السـيرة المباركـة، ص: ۱۱۸ اموره وتحصـيله الدراسـی وكـذلک رفاقه فی تلک الفترة فقد كانوا يتميزون بالفكر الجيـد والحرقـة الدينية فی ظروف صـعبة وذلک عندما كان المد الشـيوعی يغزو ايران، فقد فكر سـماحته مع رفاقه أن يجلس كل واحد منهم فی منطقة ليتمكنوا من الدفاع عن الإسـلام والاجابة عن شبهات هذا التيار المادی، وقد سمعت فی ذلک الوقت أنّ سـماحة الاسـتاذ لم يحـل مسألـة تجميـده من قبـل الحوزة كسـائر طلّاب العلوم الدينيـة، بل من خلال ورقـة الاجتهاد حيث عاد من النجف مجتهداً» «۱».

يجب مل الفراغات:

لا شک فی أنّ هذا التحرک الدينی لا ينفع شـيئاً بدون اقترانه بالشعور العقلانی، وإلّا كان كقيادة السيارة التی تفتقد الكوابح والفرامل، فبدلًا من حركتها باتجاه معين فانّها لا تثمر سوی الضـرر والخسارة، لقد اقترن التحرک القلبی والغيرة الدينية للاستاذ مع الوعی والتدبير والتعقل حيث كان يخطو بخطوات مدروسـة نحو الغايـة المنشودة بدون تضـييع الوقت والجهود فی تكرار المكررات أو الحركة بدون هـدف، فكان يملأ الفراغات فی الذهنية المسـلمة ويجيب عن مشاكل الجيل المعاصـر بحنكة ودقّة. ويتحدّث سـماحته فی هذا المجال ويقول: «إذا أردنـا تحقيق نجـاح فی أعمالنـا فيجب علينا التوجه إلی نقاط الفراغ والثغرات التی بقيت دون دفاع، فعلينا أن نتحرک علی مسـتوی أداء ما غفل عنه الآخرون، فنشاهـد مع الأسف الكثير من تكرار المكررات حيث يأتی البعض ويجمع بعض المواضيـع من هذا الكتاب وذلک الكتاب ويجعله بصورة كتاب مسـتقل، فلا يثمر هذا العمل سوی تضـييع عمر الكاتب وتضييع عمر القرّاء واهدار ثروات كثيرة علی نفقات الطبع والنشر، فالأفضل أن نقوم بعمل أقل ولكن يسد فراغاً فی منظومتنا الفكرية والعقائدية وما يحتاج إليه الناس».

۱۳ حراسة المذهب

اشارة

عندما ينطلق الإنسان فی أجواء مظلمة من التشـكيک والالحاد والانكار ليكون «خضر الطريق» و «دليل القافلة» لرؤية مواضع نفوذ العدو والـدفاع عن المـذهب مقابل تحـديات المـذاهب الوضـعية والتيارات الفكريـة المنحرفـة، والاحاطة بالأفكار الالتقاطية المحسوسة وغير المحسوسة، كل ذلک يحتاج إلی يقظة ودراية وموهبة إلهيّة من الشـهامة والشـجاعة، وقد حاز اسـتاذنا منذ قديم الأيّام بل منذ سـنوات المراهقة والشباب علی هذه المواهب جميعاً «۱».

فی محفل البهائيين:

إنّ قصة مناظرة الاسـتاذ مع المبلغ البهائی فی شـيراز فی سـنوات الشباب معروفة عند السيرة المباركة، ص: ۱۲۰ أهالی شيراز، وكذلک حادثـة مناظرته مع المتصوفة فی مجلسـهم فی خانقاه فی شـيراز وكان الاسـتاذ شاباً يافعاً، وقد انتهت هذه المناظرة بكتابة «تجلی الحق» والذی وقع مورد اعجاب وتشويق سماحة آية اللَّه العظمی السيد البروجردی قدس سره «وقد تقدم بيانه فی الفصل التاسع» ويروی أحد مرافقيه هـذه الحكايـة كالتالی: «إننی أتذكر جيداً أنّ أتباع «الفرقة الضالة» كانو يجتمعون فی محفل لهم فی شـيراز ويدعون الناس إلی ذلک المحفل والمجلس ليتمكنوا من اغواء واضلال الجهّال والبسطاء من الناس، وفی أحد الليالی اشترک الاستاذ- وكان شاباً مراهقاً- فی تلک الجلسـة والمحفل وذلک قبل هجرته إلی قم، فأخـذ المبلغ البهائی بإلقاء كلمته لإثبات حقانية زعماء الفرقة البهائية وتمسـک بإحـدی الآيات القرآنيـة الشـريفة وكان الناس يسـتمعون إليه، وفجأة قام هـذا الشاب المراهق من بين الجالسـين والحضّار وقال مخاطباً ذلک المبلّغ: إنّ الذی يفسّر آية من القرآن لابدّ أن يعرف القواعد الأدبية للغة العربية وقد قرأ الصرف والنحو، فهل قرأت ذلک، وهل

تعرف الصرف والنحو؟ فقال المبلّغ البهائى: نعم قرأت ذلك. فسأله الاستاذ عن قاعدة نحوية من قواعد باب الاشتغال وقال له: كيف نحلّ تنازع العوامل فى النحو فيما يعود «لترجيح النصب على الرفع»؟ وبما أنّ المبلّغ البهائى لم يسمع اطلاقاً بهذا الموضوع فقد بقى متحيراً وبان عليه الخجل وضلّ ساكتاً وانهار المجلس» «۱».

فى مواجهة الماركسيين:

لقد شرع الاستاذ بعد مجيئه إلى الحوزة العلمية فى قم باجراء عدّة بحوث ودراسات السيرة المباركة، ص: ۱۲۱ متنوعة فيما يتعلق ببيان المعارف الدينية ودفع الشبهات المذهبية، وعلّم جيل الطلّاب الشباب فى الحوزات العلمية أن يأخذوا بنظر الاعتبار فى تبليغهم الدينى عنصر الزمان ويأتوا بالدين ويضعونه فى قلب المجتمع المعاصر، وبذلك يمكنهم التصدى للحوادث الواقعة بكامل الجدارة، وقد تقدم سابقاً أنّ سماحته قال: «لقد كانت لدينا جلسة اسبوعية مع فضلاء الحوزة العلمية من اصدقائنا الذين كنّا نشترك معهم فى المباحثة، وكان يحضر هذه الجلسة بعض الشخصيات المهمّة منهم الإمام موسى الصدر وأشخاص آخرون لا أجد مسوغاً لذكر أسمائهم، وكانت البحوث التى تطرح على بساط البحث تتعلق بالشيوعية حيث كانت الشيوعية تتمدد بسرعة فى ذلك الزمان إلى ايران والبلاد الإسلامية المجاروة للاتحاد السوفيتى السابق «وخاصة أنّ حكومة الشاه كانت تتحرك على مستوى توهين عرى الإيمان والتدين بين الناس» فكان ذلك سبباً فى اشاعة الأفكار الماركسية بواسطة حزب تودة الشيوعى الذى كان يتحرك على مستوى الجامعات خاصة، وكانت لديهم نشريات وصحف كثيرة اهتمت بترجمة كتابات رواد الماركسية وبعضها كان من كتابات الشيوعيين فى ايران، وأخيراً وصل الأمر إلى درجة التأزم والتسافل بحيث خرج عن حدود البحوث المنطقية وأخذ يتجلى على شكل توجيه الإهانة إلى المقدّسات الدينية من قبلهم لأنّهم كانوا يعلمون أنّ الإسلام مهما كان ضعيفاً فإنّه يقف سدّاً منيعاً بوجه مطامعهم، وقد امتدت هذه البحوث إلى الحوزات العلمية التى وجدت أنّ وظيفتها التصدى إلى هذا التيار التخيلى، وكان المرحوم العلّامة وتلميذه الشجاع المرحوم العلّامة المطهرى من جملة الأشخاص الذين تصدوا إلى هذه المسؤولية حيث كتبا «اصول الفلسفة والمنهج الواقعى» الذى يمثل حصيلة جهد هذين العلمين فى هذا المجال. السيرة المباركة، ص: ۱۲۲ وقد شرعنا مع أصدقائنا بالتحقيق حول عقائد وأفكار هذه المدرسة وكنّا نبحث فى جلستنا الاسبوعية المواضيع المتعلقة بالماركسية من خلال مطالعة كتبهم لكى نكون على اطلاع كامل على أفكارهم ونظرياتهم ثم نضعها قيد الدراسة والنقد، وقد طلبت من الاخوة الموافقة على أن أكتب بعض المواضيع المتعلقة بالماركسية ثمّ أطرحها فى هذه الجلسة لكى يتكامل الموضوع بصورة أفضل، وبالفعل فقد كتبت هذا الكتاب وسمّيته «أشباه الفلاسفة» وذكرت فيه جملة من المواضيع للفلاسفة الماديين وخاصة من أتباع المدرسة الماركسية ونقدتها مستعيناً بالملاحظات التى أوردها الاخوة فى تلك الجلسة ثم عملت على صياغتها بأسلوب قصصى لتكون أكثر جذّابية، وتمّ نشر هذا الكتاب وهو الكتاب الثانى من تأليفاتى، وقد استقبله الناس بشوق بالغ بحيث إنّه تتكرر طبعه لثلاثين مرّة تقريباً».

الجمع بين التدين والثقافة:

الجدير بالذكر أنّ ما يبديه الاستاذ من حساسية فى مواجهة الأفكار المنحرفة وقدرته الفائقة فى الاجابة على الشبهات المختلفة وسرعة بديهته فى الردّ على الأسئلة وعلامات الاستفهام، قد أثار فى الطلّاب الشباب فى الحوزة العلمية حركة من الهياج والشوق، وتبدلت جلساته الاسبوعية التى كان يعقدها فى ليالى الخميس لغرض دراسة المباحث والمعارف المعاصرة المطروحة على بساط البحث بغيث سماوى على صحراء الفكر الجافة فأروت طلّاب الحوزة العطاشى لمثل هذه الأفكار والمعارف. إنّ أهميّة هذا الموضوع تتجلى أكثر إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنّ البحث فى هذه المواضيع والامساك بالقلم وكتابة مثل هذه المقولات وكذلك إصدار مجلة، يعدّ فى ذلك الوقت (خروجاً على جميع القوالب والأطر الحوزوية) ويعتبر لدى بعض المدرسين فى الحوزة السيرة المباركة، ص: ۱۲۳ جرماً، ودليلًا

على السطحية وعدم التعمق فى المسائل العلمية، هؤلاء غفلوا عن أنّ الاستاذ لا يتحرك على مستوى تقييد الدين وحبسه فى الابراج العاجية، بل يهتم بإحياء الفكر الدينى وينطلق بقوّة للدفاع عن المذهب والدين والاجابة على شبهات الجيل الحاضر وإيجاد الحلول التى تلامس أزمات المجتمع الفكرية والقضاء أخيراً على الثنوية بين «المثقف» و «المتدين». يقول أحد تلامذة «۱» الاستاذ القدامى فى مقدمة رسالته الانتقادية «۲» للاستاذ راسماً حالة الاستاذ فى الماضى فيما كان ا لاستاذ يعيشه من ثقافة معاصرة وروحية إصلاحية فى ذلك الوقت، ويقول: «... فى سنة ۱۳۳۵ ه ش أى قبل (۴۳ سنة) وعندما كان الاستاذ عائداً من حوزة النجف الأشرف ومن جوار مرقد مولى الموالى أميرالمؤمنين الإمام على عليه السلام، وعندها كان لى تسعة عشر ربيعاً، تشرفت بالمجيء إلى الحوزة العلمية فى قم وأقمت إلى جوار فاطمة المعصومة عليها السلام، فى بداية تلك الأيّام حيث كنت أسكن فى إحدى حجرات مدرسة الحجّتية مع آية اللّه الحاج الشيخ جعفر السبحانى، فجئت إليَّ لملاقاتى بكل تواضع والحال أننى كنت فى ذلك الوقت طالباً مبتدئاً ومجهولًا وكنت أنت فى سن الثلاثين من العمر وتعتبر من أساتذة الحوزة العلمية ومن المجتهدين. إنّ هذه المعرفة أدّت تدريجياً إلى استحكام الرابطة بين الاستاذ وتلميذه واستمرار التعاون الفكرى فى مجال تأسيس نهضة مباركة ومتكاملة فى وسط الحوزة العلمية «لأول مرّة بعد تأسيسها» حيث تمّ التوجه إلى المسائل المعاصرة والاهتمام بروح الزمان، وفى الحقيقة أنّه قد حدث تحوّل كبير فى السيرة المباركة، ص: ۱۲۴ «علم الكلام والفكر الإسلامى». إننى لا نسى تلك الجلسات الجذّابة والشيقة فى ليالى الخميس والجمعة والتى خلقت تحوّلًا كبيراً فى وسط الجيل الشباب من طلّاب العلوم الدينية، فمضافاً إلى معطيات هذه الجلسات البناءة والنافعة «من قبيل كتاب: خالق العالم، كيف نتعرف على اللّه، الزعماء العظام والمسؤوليات الأعظم، القرآن والنبى الخاتم، وهى سلسلة فى إثبات الصانع، صفات اللّه، النبوة العامة، والنبوة الخاصة» وهناك عشرات الكتب والرسائل العلمية تمّ تحريرها بواسطتكم وبمساعدة الاخوان المشتركين فى تلك الجلسات مع الأخذ بنظر الاعتبار الأجواء الحاكمة على ذلك الزمان وحاجة الناس إلى أفكار ومعارف دينية تسد نقاط الفراغ وتعالج أشكال الخلل والشبهة فى الذهنية المسلمة والمجتمع الإسلامى ... وفى عام ۱۳۴۰ ه ش وبعد رحلة المرحوم آية اللّه العظمى البروجردى قدس سره مرجع الشيعة على الاطلاق كانت مجلتكم «مكتب اسلام» تدخل فى عامها الثالث وكان سماحتكم قد اختار ستة أشخاص من المعاونين ليكونوا أعضاءً فى الهيئة التحريرية لهذه المجلة المباركة ... وبعد مضى عشر سنوات من اشرافكم على المجلة وكونكم صاحب الامتياز فيها وكنت أنا عضواً للهيئة التحريرية وكذلك أشغل منصب المدير الداخلى لهذه المجلة، وبعد ذلك عندما شرعتم بإصدار مجلة سنوية تهتم بإنقاذ الجيل الصاعد من شبابنا من قبل مؤسسة «نجاة الشباب» كنت بدورى من معاونيكم وأنصاركم، مضافاً إلى أننى قمت فى تلك السنوات بتأليف وترجمة بعض الكتب الدينية وكنت أكتب مقالات فى مجلة «مكتب التشيع» التى كان يشرف عليها المرحوم الشهيد محمد جواد باهنر والشيخ هاشمى السيرة المباركة، ص: ۱۲۵ رفسنجانى والمرحوم محمد رضا الصالحى الكرمانى والسيد محمد باقر مهدوى الكرمانى. والحقيقة أننا منذ أن انتهت مؤسسة «نجاة الشباب» وكان سماحتكم برغم من أشغاله فى الليل والنهار وتخصصكم فى العلم و (الفقه والاصول) وبمساعدة سماحة آية اللّه السيد على المحقق الداماد الابن المكرم لاستاذكم الجليل (المرحوم آية اللّه العظمى المحقّق الداماد) حيث قمتم بخلق آثار علمية مهمّة وفقاً لمقتضيات العصر وانسجاماً مع حاجات الشباب من الطلّاب، فلا أنسى أننى كنت لفرط السرور لا يقرّ لى قرار، وأتذكر بوضوح فى تلك البرهة الزمنية أنّى كنت قد عقدت كل أملى فيكم وفى نشاطاتكم الدينية والعلمية (العقد الرابع عندما كانت لنا رحلات قصيرة وطويلة مع سماحتكم وكنت معكم وفى خدمتكم ليل نهار، وأتذكر من جملة الأسفار التبليغية فى شهر رمضان ۱۳۴۲ ه ش سفرى إلى عبادان بمصاحبة الشيخ هاشمى الرفسنجانى (حيث بدأ بإصدار صحيفة سرية ثورية باسم «بعثت» وقد تمّ إغلاقها فى تلك الفترة وفى ذلك الزمان). لابدّ أنّكم تتذكرون أوقات السحر فى شهر رمضان المبارك حينما كنّا فى منزل «المرحوم الحاج غلام على الخرّمى» وكانت هناك محاورات مفيدة وبناءة فى مجال الثورة الإسلامية وعملية التجديد وضرورة التغيير فى أنساق الحوزة العلمية فى قم وكذلك النكات اللطيفة والجذّابة للشيخ هاشمى الرفسنجانى وتأثركم الشديد بمناجاة «على جانم، على جانم» وغيرها. فى ذلك السفر وقفت بصورة أوضح

وأفضل على قابلياتكم وبُعد نظركم في مجال الإصلاحات وعملية التغيير الجذرى وواقع التجديد في الحوزة السيرة المباركة، ص: ١٢۶ وقد سمعت منكم مطالب شيّقة ودقيقة كفيلة بتحسين الأوضاع تماماً. وأيضاً استميحكم عذراً في العودة إلى العقد الرابع واستجلاء بعض أفكاركم الجديدة ومشاريعكم الإصلاحية «التى تعدّ في ذلك اليوم بديعة تماماً وليس لها سابقة في الحوزة العلمية» واشير هنا إلى بعض هذه الموارد: تتذكرون حتماً أننا كنّا نجلس جلسة اخرى بعد انتهاء الجلسات المذكورة تحت عنوان «ماذا نعرف عن الإسلام؟» وقد كانت قصيرة العمر، وكما قلتم عن أحد أعضاء الجلسة المؤثرين الذى يريد القفز فوق الحبال وكانت الظروف حينذاك غير مواتية، فكانت ثمرة تلك الفترة التى تناهز العامين هى كتابين فقط: «المرأة والانتخابات» و «البلايا الاجتماعية للقرن الحاضر» ... وفى هذه الجلسات استطعت أنا والآخرون أن نتعرف أكثر على أفكاركم الجديدة واطروحاتكم البديعة والخلّاقة. كنت تقول: ليس لدينا سوى العمل على خلق نهضة «رنسانس»، ومن أجل أن لا يختلط المقصود مع نهضة الإصلاح الدينى فى الغرب قلتَ مضيفاً: إنّ مقصودى هو اجراء تغيير فى البنية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية للُامة الإسلامية بالاعتماد على القيم والمبادىء والتعاليم الدينية» لا إصلاح الدين، الذى يعنى إجراء تغيير فى نفس الدين واصوله وماهيته ومحتواه. وهذا ما حدث فى أجواء العالم المسيحى فى نهضة «رفورماسيون» وحركة «البروتستانتية». لقد طالعت من خلال كتبكم وتأليفاتكم حالة «الاستغراب» وتبعية بعض شبابنا المثقفين للغرب قبل أن أقرأ كتاب «الاستغراب» للسيد جلال آل أحمد «وذلك فى مقالات متعددة فى مجلة «مكتب اسلام» ويتذكر سماحتكم أننى السيرة المباركة، ص: ١٢٧ كنت فى أحد الجلسات الاسبوعية لعلماء عبادان «فى أيّام الجمعة» أتحدّث فى محاضرة مطولة تقريباً عن هذا الموضوع وكنت أستشهد بكلماتكم فى تلك المقالات وكذلك بكتاب «الاستغراب» القيم للسيد جلال آل أحمد ... إنّ سماحتكم فى الوقت الذى تشعرون فيه بالألم والتأسف على تخلف المجتمعات الإسلامية وما أصابها من انحطاط وذبول وتقهقر وعلى الرغم من أنّ هذا الوضع الفعلى مؤيد من قِبل أغلبية المتحجرين الذين يعيشون الماضوية فى أجواء الحوزة العلمية، ولكنكم كنتم تشعرون بضرورة إجراء تغيير جذرى لحالة التأخر والتخلف الحضارى والثقافى والتصدى لتسلط الأجانب على نمط التفكير لدى المسلمين وقراءتهم المنحرفة والمشوهة عن الإسلام. لقد قررتم وذكرتم بصراحة وبشجاعة أنّ الأفكار السائدة بين الناس وحتى بين الكثرة من الخواص ملوثة بأنواع الخرافات والنقائص والبدع ومعالم الانحراف عن الصراط القويم وكنتم تعتقدون أننا ينبغى علينا العمل على إزالة بعض التابوات شبه الدينية والخطوط الحمراء المجعولة بعنوان عقائد دينية متداولة فى أجواء العرف الاجتماعى قبل إحداث أى ثورة فى الاطار الاجتماعى والسياسى، فيجب إصلاح الرؤية الكونية التقليدية «الممتزجة مع الخرافات والجعليات» بشكل سريع وبناء. وأخيراً قام سماحتكم ولأول مرّة بعد تأسيس الحوزة العلمية فى قم بتعريف الشخصيات الكبيرة فى عالم الإصلاح الدينى مثل «السيد جمال الدين الأفغانى» و «الشيخ محمد عبده» و «الكواكبى» و «كاشف الغطاء» و «السيد شرف الدين» وأمثالهم إلى شبابنا المتوقد فى الحوزة العلمية فى قم وبالإستلهام من أفكار هؤلاء العظماء فى مسألة «إحياء الفكر الإسلامى» السيرة المباركة، ص: ١٢٨ قمت بهذا المشروع الإصلاحى حيث رأيت بعد ثمان سنوات هذا العنوان وهذه الحركة الإصلاحية فى تأليفات الاستاذ الشهيد مرتضى مطهرى ... ومن أجل أن أضعكم أمام الواقع الملموس أو الأكثر موضوعية ومصداقية فانّى أُذكِّر سماحتكم بالأفكار الإصلاحية التى كنتم تتبنّونها فعندما اعترض بعض رفاقكم فى تلك الجلسة على اسلوب عمل بعض الأعاظم فى الحوزة العلمية قلتم له: «إنّ الانتقاد والاعتراض على الأشخاص لم ينفعنا شيئاً ولن يداوى جرحاً، بل يجب العمل على تغيير المعايير الحاكمة على الحوزة لتحقيق التحوّل المطلوب فى واقع الأفراد أنفسهم». وعلى أيّة حال فانّ الكثير من تأليفات سماحة الاستاذ (دام ظله) شاهد على إمكان تزريق الدين فى شرايين المجتمع الإنسانى وبالتالى إدغام التصديق الدينى والإيمان القلبى مع الفراسة الاجتماعية، وبهذا يساهم «التحقيق الدينى» فى حلّ «المعضلات الثقافية والاجتماعية» حتى لدى أشّد المذاهب والأديّان جموداً وتقليداً، وبهذا أثبتت عملًا أفضلية مداد العلماء على دماء الشهداء. إنّ كتب الاستاذ وتأليفاته من قبيل «خالق العالم»، «كيف نتعرف على اللّه»، «أشباه الفلاسفة»، «سلسلة جيل الشباب» ومجلّة «مكتب اسلام» وغيرها، تعد شاهد صدق على هذا المدّعى، بحيث يتحدّث سماحته فى هذا المجال ويقول: «نحن

مع بعض الاـخوة كنّا في المجلة نكتب تحت عنوان «مطبوعات» وكنّا نشرف على المطالب والمواضيع التي تنشر في سائر الصحف والكتب الاـخرى، وخاصة تلك الصحف والكتب التي تتحرك في خط الانحراف والمواجهة مع الدين، فكنّا نتصدى لمثل هذه الكتابات ونسعى إلى إصلاح الخلل في هذا النمط من التفكير، وكانت حركتنا هذه مؤثرة جدّاً في الذهنية السيرة المباركة، ص: ۱۲۹ العامة وكانت لنا ذكريات جميلة منها».

مداد العلماء واقعاً أفضل من دماء الشهداء:

ويتحدّث سماحة الاستاذ فيما يتعلق بتأثير القلم الكبير في وعي الامة ويقول: إنّ جملة «مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء» قد عشت مضمونها ومحتواها بجميع وجودي ورأيت كيف أنّ كتاباً واحداً بإمكانه انقاذ الإنسان من الموت المعنوي وحتى الموت المادي ويغيّر كلياً من مصيره، فقد كان لنا صديق في عبادان وقيل أنّه كان في السابق من دعاة الماركسية الفاعلين، فقرأ كتاب «أشباه الفلاسفة»، فكان يقول بعد: «إنني قرأت هذا الكتاب ثلاث مرّات ويجب أن أقرأه سبع مرّات اخرى ليكون المجموع عشر مرّات، إنّ هذا الكتاب أنقذني وغيّر حياتي بصورة كاملة» وهناك الكثير من الأفراد يذكرون في رسائلهم أنّهم كانوا يرومون الانتحار بسبب ما يعيشونه من عقد فكرية وتشويشات عقائدية فلم يبق أمامهم سوى هذا الحل، ولكننا كنّا نكتب في جوابهم بأنّ الانتحار هو «آخر ما يعمله الإنسان في نهايةالخط ولكن في الوقت متسع، فقبل أن تقدموا على مثل هذا العمل اعملوا بتوصياتنا» ثم نوصيهم ببعض الوصايا ونرشدهم إلى بعض الامور وأحياناً يكون الكتاب بمثابة الدواء الشافي والبلسم الراقي لحلّ المشكلة، فنبعثه إليهم وبعد اطلاعهم عليه يتحوّلون روحياً إلى شخصيات إيجابية تماماً، وأساساً فإننا نوصي الاخوة في الكثير من الرسائل أن يرسلوا إلى أصحاب الرسائل كتباً مفيدة، وهذه الكتب تمثل العلاج الناجع لشفائهم من أزماتهم المعنوية والروحانية».

تربية حراس العقيدة:

إنّ حراسة سماحة الاستاذ لحدود العقيدة والدين وصلت إلى غايةالعمق والأهميّة عندما تجاوزت حدود الحراسة الفردية وارتقت إلى مستوى الحراسة الجماعية، وبتعبير أفضل: «مستوى تربية حراس المذهب»، أي أنّ سماحته تحرك على مستوى تشكيل لجان مختلفة في شتى المواضيع الدينية لتربية القوى الإنسانية والطاقات الشابة والفاعلة لغرض الإجابة عن الشبهات والمعضلات العقائدية والأخلاقية، حيث تحدّث سماحته في ما يتعلق بهذا المجال وبقوله: «من جملة الدروس التي شرعنا بها في الحوزة العلمية في قم هو درس العقائد والكلام الجديد، ومقصودي من الكلام الجديد هو ما نراه في العصر الحاضر من تيارات ومذاهب فكرية وعقائدية مختلفة، فهناك مذاهب لم تكن موجودة في السابق أو كانت ضعيفة جدّاً ومن جملتها المذاهب الالحادية والمادية، وبعبارة اخرى: هؤلاء الذين لا يقبلون أي دين ومذهب وحتى ينكرون وجود عالم ما وراء الطبيعة مضافاً إلى وجود مذاهب مصطنعة ومدارس فكرية مجعولة حيث نعلم أنّ الكثير منها تمثل ثمرة وجود الاستعمار في عالمنا الإسلامي من أجل حفظ منافعه اللامشروعة، ومع الالتفات إلى أنّ الإنسان يعيش في أعماق نفسه الميل الفطري للدين والالتزام الديني من جهة، ومن جهة اخرى فانّ الأديان السماوية الحقة تقف ضد منافع المستكبرين، فهؤلاء يتحركون وراء إيجاد مذهب ومدرسة فكرية بإمكانها إشباع هذه الغريزة الفطرية في الإنسان إشباعاً كاذباً وفي نفس الوقت تلتقي مع منافع المستكبرين، ومن جهة اخرى لابدّ من الانتباه إلى هذه الحقيقة، وهي أنّ المجتمعات البشرية ترتبط فيما بينها في العصر الحاضر بأكثر من رابطة قوية، ومن شأن وجود دين صحيح في منطقة من مناطق العالم أن يسري إلى المناطق الاخرى وينفذ إلى مجتمعات بشرية السيرة المباركة، ص: ۱۳۱ اخرى، ومن مجموع هذه الامور نرى أنّ الحوزة العلمية لا يمكنها أن تقف مكتوفة الأيدي أمام تحركات هؤلاء المغرضين، بل يجب طرح هذه الأفكار والمذاهب على بساط البحث والمناقشة وتحديد موقف الإسلام منها بشكل مستدل ومنطقي. ولهذا السبب قمت بتشكيل جلستين: إحداهما تختص بدرس العقائد حيث يتمّ

استعراض الکلام الجدید والقدیم فیها، وشرعنا بتدریس أول مسائل علم الکلام، وبما أنّ هذا الموضوع یعتبر جدیداً فی الحوزة فإنّه وقع مورد استقبال کبیر بین الطلّاب الأعزاء، وبالطبع فمن اللازم أن أقول أنّ هذا الدرس کان یتمّ فقط فی لیالی الخمیس واستمر لأکثر من ثلاثین جلسة حیث تمّ فیها بیان مواضیع مهمّة من العقائد والتیارات الفکریة والمذاهب الفلسفیة الاخری وتمّ تحقیقها ودراستها بصورة منطقیة تماماً، وهذه البحوث استمرت لأکثر من ثلاثین سنة وأدّت إلی حصیلة علمیة خصبة استطعت أن أجمعها علی شکل کتاب، وبما أنّ هذه البحوث قد طرحت أمام الطلّاب والفضلاء فی الحوزة العلمیة وکان الدرس یتضمن أسئلة وأجوبة فلهذا تعمقت هذه الدروس أکثر، ومن جملة الکتب التی أثمرت عنها تلک الجلسات هو کتاب «خالق العالم» و «کیف نتعرف علی اللّه» و «زعماء العالم» و «القرآن والنبی الخاتم» و «المعاد والحیاة بعد الموت» و «الإمام المهدی والثورة العالمیة» وکتب اخری أیضاً، والکثیر من الطلّاب والفضلاء فی الحوزة العلمیة عندما یأتون إلیَّ یتحدّثون معی عن تلک الجلسات أو کما یقولون: یتذکرون الاستفادة العلمیة التی حصلوا علیها من تلک الجلسات والدروس. الجلسة الاخری کانت عبارة عن مجلس خاص یشترک فیه ثلاثون شخصاً تقریباً من الشباب الفضلاء الأذکیاء، وقد عملت علی تقسیم هذه الجماعة إلی السیرة المبارکة، ص: ۱۳۲ ثمان مجامیع، کل مجموعة تتشکل من ثلاثة إلی أربعة أشخاص یتکفلون بمطالعة أحد المذاهب والأدیان السائدة فی المجتمعات البشریة، فبعض یبحث فی الفکر المادی ویحقق فی المذاهب والتیارات المادیة، وبعض آخر یبحث فی المذهب الوهابی، وهکذا بالنسبة إلی الیهود والنصاری أو الفرق الصوفیة أو مذاهب أهل السنة أو البوذائیة، ولکل مجموعة کتب معینة ومصادر علمیة یرجعون إلیها فی مقام التعرف علی ذلک المذهب، وکل مجموعة أیضاً تعقد جلسة خاصة ویتداولون فیما بینهم المواضیع والمعارف التی حصلوا علیها ثم یکتبونها فی کراس أو رسالة علمیة، وأخیراً یشترکون فی جلسة مشترکة فی لیالی الجمعة ویطرحون مسائلهم فی حضوری وتقرأ کل مجموعة ما کتبته علی هذه الجمعیة المشترکة ویتمّ مناقشتها ونقدها، وهذا العمل بحمد اللّه أثمر کثیراً واستقبله عامة المثقفین بصورة جیدة وکانت حصیلة تلک الجلسات کتب متعددة من هؤلاء الاخوة المشترکین فی هذه الجلسات حیث تمّ طبعها ونشرها. لقد أدّت هاتان الجلستان إلی إیجاد تغییرات کبیرة فی مناهج الحوزة العلمیة وخاصة بالنسبة إلی جیل الطلبة الشباب فی المسائل الکلامیة والاعتقادیة وفتحت أمامهم أبواب بحوث جدیدة فی دائرة العقائد الإسلامیة حیث دخلت الحوزة أجواء جدیدة من الأفکار والفلسفات الاخری. وأنا لا أدّعی أبداً أنّ هذه النتائج والمعطیات هی حصیلة جهودی فقط بل إنّ الکثیر من الفضلاء والعلماء ساهموا فی خلق هذا الجو العلمی وأنا بدروی ساهمت معهم، وبحمد اللّه کانت معطیات هذه الجلسات مثمرة وجیدة للغایة».

ربّما یکون الکتاب مسلماً أیضاً:

ولا بأس أن نشیر هنا إلی مساحة اخری من مساحات فکر الاستاذ الجوال وحراسته للمذهب واشرافه علی مجریات الامور فی أجوائنا الثقافیة والدینیة «ویعکس هذا المعنی، الطبع السیّال والسلامة الفکریة والذهنیة لسماحة الاستاذ وقدرته علی تنقیة أجوائنا الثقافیة وتبدیلها نحو الأحسن» وهی عبارة عن الاشراف علی الکتب المفیدة التی تتضمن أحیاناً بعض موارد الانحراف وتمتزج بمفاهیم لا أخلاقیة وغیر منسجمة مع منظومة المفاهیم والقیم الإسلامیة، ولابدّ من تطهیرها وتهذیبها، والأفضل أن نستمع فی ذلک إلی الاستاذ نفسه: «کما أنّ البشر یصیر مسلماً وموحّداً فالکتاب کذلک أحیاناً یکون مسلماً موحّداً، أی أنّ هناک بعض الکتب الجیدة والنافعة وتتضمن مواضیع نافعة ولکنّها أحیاناً تتضمن بعض المنزلقات الفکریة والالحادیة أو مضادة للأخلاق الإسلامیة، فمن اللازم تهذیب مثل هذه الکتب وتطهیرها عن الشوائب لتکون مؤمنة وموحّدة ومفیدة، ومثال ذلک: کتاب لمؤلفه الامریکی «دیل کارنجی» هذا الکتاب مفید جدّاً للأشخاص الذین یعیشون تعقیدات فکریة وأزمات روحیة فیقوم بحلّ هذه العُقد ویورثهم السکینة والطمأنینة. ولکن مع الأسف یتضمن بعض موارد الانحراف أحیاناً، وأساساً فانّ هذا الکتاب یعکس ثقافة الأمریکیین ولیس له تأثیر إیجابی فی أجوائنا الإسلامیة، وقد قدمت الکتاب لأحد الاخوة وعرضت علیه طریقة تهذیبه وتطهیره من الشوائب والنقاط السلبیة مع الاحتفاظ بجمیع

الجوانب الإيجابية والامور المثمرة، وبعد أن كتبت له مقدمة طويلة نسبياً قمت بنشره تحت عنوان «طريق التغلب على القلق واليأس» وكانت لهذا الكتاب أصداء جيدة ومؤثرة فى واقعنا الاجتماعى وأنقذ الكثير من الناس من دوامة الأزمات الروحية والفكرية، ويعد هذا الكتاب من جملة كتبنا النافعة فى السيرة المباركة، ص: ۱۳۴ شفاء النفوس ومعالجة التعقيدات الروحية لدى الأفراد، فعندما يواجه هؤلاء الأفراد هذه الحالات والأزمات النفسية فانّهم يكتبون إلينا بذلك ونقوم بدورنا بإرسال نسخة مجانية من هذا الكتاب إليهم ونوصيهم بقراءته أكثر من مرّة من أوله إلى آخره بدقّة والعمل بتوصياته، والغالب أنّه مثمر وذو نتائج إيجابية فى حياة الإنسان».

ضرورة يقظة الفئات السياسية:

وعلى أيّة حال فانّ الاستاذ (دام ظلّه) يمثّل الحارس اليقظ للإسلام فى مقابل خطط الأعداء ويقرأ بعض المسائل والامور التى نجدها حيّة وفاعلة بعد مضى سنوات عديدة من انتصار الثورة الإسلامية ويقولون: «إنّ الأشخاص الذين يستمعون إلى أخبار الاذاعات الأجنبية التى تبث أخبارها باللغات الأجنبية يقولون: إنّ هذه الاذاعات قد تركت الحديث عن تجربتهم المرّة فى اجهاض الثورة الإسلامية فى ايران، وجمعوا قواهم حول محور إيجاد الفرقة وخلق فئتين: معتدلين وإفراطيين، وهم يتحركون لإشعال نار الفتنة بين الفئات والتيارات السياسية، ولا يبعد أن يكون ذلك قسماً من مخطط شامل وواسع تجاه الإسلام والثورة الإسلامية. إنّ هذه الحقائق المرّة تبعث فينا اليقظة والانتباه إلى ضرورة رفع مستوى الحذر من مخطط الأعداء، ولنعلم أننا قد حضرنا إلى الميدان بجميع وجودنا وتراثنا وقيمنا ومبادئنا، (فلا سمح اللّه) إذا أصابتنا هزيمة فاننا سنفقد كل شىء، ويجب علينا الارتفاع بمستوياتنا الثقافية فى نطاق القضايا السياسية والحكومة الإسلامية، ونبتعد عن كل شىء يؤدّى بنا إلى الفرقة ونتحمل كل السيرة المباركة، ص: ۱۳۵ ألم ومشقّة فى هذا السبيل» «۱».

السيد «آرمسترانگ»:

لقد كان سماحة الاستاذ متديناً غيوراً بحيث إنّه لم يكن يسكت حتى عن الطعن الخفيف وكلمات الاستهزاء من قبل الأعداء، وكتب قبل أربعين سنة يقول: «قبل فترة صعد السيد «آرمسترانگ» و «رفاقه» وسافروا حول العالم وأبلغوا الشعوب فى جميع البلدان ومنها شعبنا فى ايران رسالة المحبّة لرئيس أمريكا، واستثمروا هذا التطور العلمى والفتح التكنولوجى بأكثر ما يمكن من الاستخدام السياسى فى جميع أرجاء العالم، ونرى فى هذه الرسالة الحكيمة لهؤلاء نكات دقيقة وظريفة تعكس مدى الطفولة الفطرية التى يعيشها هؤلاء حيث قالوا: عندما حلّقنا إلى أجواء السماء فاننا استلهمنا هذا الطيران فى آفاق السماء من قصّة «بساط سليمان» التى يتحدّث بها أهل الشرق، وفى الواقع يحق لنا أن نعجب كثيراً من هؤلاء .. أولًا: إنّ بساط سليمان قبل أن يكون حكاية من تراث الشرق فهذه الحكاية موجودة فى تراث الغرب أيضاً، فما هذه الحيلة والمكر؟ ثانياً: ما هى العلاقة بين بساط سليمان وطيران «مركبة آپولو» إلى القمر؟ ثالثاً: إذا كنتم صادقين فيما تقولون فلماذا لا تتحدثون بدل هذه الكلمات المضحكة عن استفادتكم من العلوم والمعارف التى انتقلت إليكم من آسيا من بلاد الإسلام؟ إنّ قائمة العلوم التى يدين بها الغرب إلى الشرق كما يقول المؤرخ الشهير «ويلديورانت»: «إنّ الإسلام كان يمثّل الحضارة الإنسانية السامية خلال خمسة قرون (من القرن الثانى إلى القرن السادس الهجرى) من حيث القوة السيرة المباركة، ص: ۱۳۶ العسكرية، النظم، سعت البلاد، الأخلاق الحسنة، الرقى فى المعيشة، القوانين العادلة الإسلامية، حسن السلوك مع أتباع الأديان الاخرى، الآداب والتحقيقات العلمية فى مجال الطب والفلسفة والعلوم الاخرى» وكما يقول المستشرق المؤرخ المعروف «گوستاولوبون»: «... إنّ النفوذ الفكرى للمسلمين فتح أبواب المعرفة فى مختلف العلوم والفنون والفلسفة أمام الاوربيين الذين كانوا يعيشون الجهل بهذه المعارف، فكان المسلمون إلى ستمائة سنة بمثابة الاستاذ والمعلم لنا نحن الاوربيين» لماذا لم تذكروا هذه الحقائق؟! ...» «۱».

العصر الجديد يستدعى عرضاً جديداً للدين:

إنّ سماحة الاستاذ ببصره الثاقب ونظرته الفاحصة فى امور الدين لم يغفل عن دور الدين البنّاء فى حياة البشر، حيث كان يتحدّث قبل خمس وعشرين سنة عن «دور الدين فى حياة الناس، الدين يمثّل دعامة اصول الأخلاق، دور الدين فى التصدى للتحديات الصعبة فى حياة البشر، الدين أداة للتصدى إلى الفراغ الآيديولوجى، الدين وسيلة لتقدم العلوم والمعارف، الدين أهم وسيلة لمكافحة التمييز العنصرى والطائفى» وكان سماحته يعتقد اعتقاداً راسخاً «۲» بمقولة: إنّ الإسلام دين حضارى وتقدمى وبإمكانه الإستجابة لجميع ما تحتاجه البشرية المعاصرة «۳»، وأخيراً فانّ الاستاذ كان يعيش ثورة فكرية وروحاً إصلاحية وفكراً جديداً يقترن مع الابداع والابتكار فى عرض القضايا الدينية فى أجوائنا الثقافية المتغيرة، ويعتقد: «إنّ تصادم الأفكار فى عصرنا الحاضر، عصر ثورة الارتباطات والمعلومات الهائلة، أمر حتمى وغير قابل للاجتناب، إنّ صراع العقائد السيرة المباركة، ص: ۱۳۷ والحضارات فى عصرنا أوسع وأعمق بكثير من الحروب العسكرية، ووجود أدوات الإعلام المتطورة والأجهزة الدقيقة فى مجال نشر الثقافات قد زاد فى مساحة هذا السجال والصراع الثقافى بحيث إنّ نصف سكان المعمورة «مليارى شخص تقريباً» يتمكنون من مشاهدة مباراة لكرة القدم مثلًا بهذه الأجهزة المتطورة فوراً وفى وقت واحد، أو يتمّ طبع مجلة أو صحيفة بعدّة ملايين من النسخ وتوزع فى خمس قارات فى العالم، ومن ذلك ندرك جيداً أهميّة صراع وتصادم العقائد من خلال الاستفادة من هذه الأجهزة المتطورة، ولإدراك أهميّة هذا الموضوع يكفى أن نعلم أنّنا إذا أردنا أن نعقد جلسة فى كل يوم يبلغ عدد الحضار فيها ألف نفر فانّ توفير ذلك العدد الغفير من المستمعين سوف يستغرق ستة آلاف سنة، أى يستغرق جميع التاريخ البشرى المرقوم، أو إذا أردنا طبع كتاب منذ بداية التاريخ البشرى إلى الآن فى كل سنة مرّة بمقدار مائة ألف نسخة، فستكون بمجموعها بمقدار نسخ أحد الصحف اليومية فى بلادنا فى الوقت الحاضر» «۱».

الفكر الشاب وحلّ مشاكل الشباب:

فى هذا الزمن الملىء بالضجيج والعجيج يعيش الشاب المسلم كالغريق المتشبث بخشبة فى وسط أمواج المحيط المتلاطمة، والبعض ينظر إلى هذا الاضطراب والحيرة بمنظار متشائم ويعتقد أنّ ذلك من علائم الظهور، ولهذا يعتزل الساحة ويجلس فى زاوية ويتصور أنّ هداية هؤلاء الشباب المرتدين والمنحرفين غير ممكنة، ولكن سماحة الاستاذ يرى جيل الشباب المعاصر بنظرة اخرى، ويرى أنّ التشويشات الفكرية والشبهات الدينية لدى هؤلاء الشباب لا تعنى بحالٍ الكفر والارتداد، ومن هنا تحرك سماحته لتأليف سلسلة السيرة المباركة، ص: ۱۳۸ كتب فى إطار عنوان «جيل الشباب»، وهى عبارة عن «أسئلة وأجوبة دينية» و «ماذا نعرف عن الإسلام» و «معطيات الدين» و «أسرار تخلّف الشرق» و «الإسلام فى دراسة مختصرة» و «الحياة فى أجواء الأخلاق» وغيرها، وكان يعتقد بأنّ المشكلة الأساسية التى تواجهنا هو نوع الإرتباط ونمط التصدى لهذه الشريحة من الناس «لا نفس هذه الشريحة» فينبغى الاهتمام بنحو الخطاب والحوار مع هذا الجيل، ولذلك نجد أنّ الاستاذ تحرك فى كتابه «المشكلات الجنسية للشباب» على مستوى حلّ مشكلاتهم الجنسية ولم يكن يرى أننا نعيش أزمة مغلقة معهم وأنّ الطريق موصد أمامنا لحلّ مشاكلهم من موقع التفاهم والحوار، ويقول: «يغط الآباء والامّهات فى سبات عميق، ولا يبالى الشباب بالحوادث ذات الصلة بمصيرهم، وربّما يفكّر الأعم الأغلب بالهروب من مشاكلهم العضال بنسيانها أو التعامل معها باسلوب التريّث والتأنّى على حد قول الساسة، ويذهب آلاف الشباب الأبرياء ضحية هذا الإهمال؛ الأمر الذى يقود إلى تلوّث المجتمع وفساده وما يُثير الدهشة والذهول هو هذا الكم الهائل من الإجتماعات والندوات والمؤتمرات التى يعقدها عُلماء العالم سنوياً بغية دراسة المعادن والفلزات فى باطن الأرض وأعماق البحار، وطبيعة الحيوانات الكائنة فى مختلف المحيطات وحركة الرياح والهواء فى طبقات الأرض، دون أن يتعرّضوا لمشاكل الشباب الذين يمثّلون الشريحة الفاعلة فى المجتمع، وان أسعدهم الحظ بالتحدّث عنها فإنّما يتناولونها بصورة سطحية مقتضبة. فما العمل يا تُرى مع هذه الأزمة؟ يشهد عالمنا المعاصر

غياب سيادة العقل والمنطق والحقائق والواقعيات، والدوافع الشخصية والعاطفية وسائر العناصر القشرية هى التى تعين مسار السيرة المباركة، ص: ١٣٩ الأحداث والقضايا المهمّة، وإلّا فليس من الصواب أن تهجر مثل هذه الأزمة الى هذه الدرجة. والجدير بالذكر هو أنّ الإهمال الذى مارسه العُلماء والمفكّرون حيال هذه الأزمة ليس من شأنه الحؤول دون نهوض الشباب والآباء والامهّات بمسؤوليتهم التأريخية المُلقاة على عاتقهم، فقد يعذر البعض فى عدم التفاته الى هذه القضية ولكن ما بال المعنيين؟ حقاً ليست هنالك مشكلة من بين هذا الكم الهائل من المشاكل التى يواجهها الشباب ترقى أهميتها لخطور المشكلة الجنسية، ومما يؤسف له أنّ هذه المشكلة آخذة فى الازدياد والاضطراد تبعاً لتطوّر المكننة وآلات الحياة إلى جانب ازدياد مدّة الدراسة والدورات الفنية وتسلل وسائل التجمل والزينة إلى أوساط الاسر والعوائل، بحيث انفصمت عرى الثقة بين الفتيان والفتيات. لقد تعرّضنا صراحة فى أبحاث هذا الكتاب إلى هذه المشاكل، كما أوردنا الحلول الناجحة بهذا الخصوص، وقد أثبتنا سهولة القضية رغم تصور البعض بأنّ المرض قد استفحل وقد سبق السيف العذل» «١». على أيّة حال فلا شك فى أنّ مسألة حل مشاكل الشباب (هذا الجيل الخلّاق والبنّاء) يحتاج إلى فكر فعّال وخلّاق أيضاً، ويقول الاستاذ فى مقدّمة كتابه: «اسلوب الزوجية فى الاسرة الموفقة»: «إنّ مسألة تشكيل الاسرة وقضية الزواج بالنسبة للشباب تعدّ فى هذا الزمان من أعقد القضايا الاجتماعية الحادّة، ونادراً ما نجد فى اسرة فيها بنت أو ولد شاب لا يشكو من هذا الموضوع، إنّ هذه المسألة المهمّة والبسيطة فى نفس الوقت قد غرقت فى دوامة من المشاكل المعقدة والظروف الصعبة وأضحت بشكل مارد موحش للشباب، فالكثير من البنات بقين عوانس فى السيرة المباركة، ص: ١۴٠ البيوت ينتظرن الزواج ولا يواجهن أيّة مشكلة أساسية فى طريق الزواج ولكن هناك موانع غير قابلة للنفوذ والعبور تقف سدّاً مانعاً أمام مثل هذا الزواج، ومن جهة اخرى فهناك الكثير من الأبناء فى سن الشباب والممتلئين بالنشاط والحيوية ويحدوهم الأمل بتشكيل اسرة إلّاأنّهم يقفون فى أول الطريق وفى مواجهة الأعراف والتقاليد الاجتماعية القبيحة والعادات الخاطئة التى توصد عليهم الباب وتمنعهم من هذا الأمر الحيوى وتصدهم عن الوصول إلى أهدافهم المنشودة فى حركة الحياة ... والمؤسف أكثر أننا نرى أنّ الاسس الموضوعة لبناء صرح الاسرة المسلمة قد وضعت خطأً، فمن هنا أصبح بناء الاسرة يقف على قواعد مهزوزة ومعوجة، ولهذا يعيش أفراد الاسرة الاضطرابات والهموم دائماً، فى حين أننا نعلم أنّ المجتمع البشرى عبارة عن مجموعة من هذه الاسر والعوائل الصغيرة التى تمثل كل واحدة منها لبنة فى صرح هذا البناء العظيم ... ولهذا السبب لابدّ من العمل على تقوية الاسس والبنى التحية للُاسرة لغرض الوصول إلى مجتمع كامل يقوم على أساس الوشائج الإنسانية والعلاقات المتينة بين الأفراد» «١».

صحيفة جيل الشباب:

وكذلك يتحدّث الاستاذ فيما يتعلق بسعيه من أجل رفع مشاكل الشباب ويقول: «لقد أصدرنا مجلة اخرى غير مجلة «مكتب اسلام» باسم «نجاة جيل الشباب» وهى أيضاً بدون ترخيص رسمى وصارت بعد ذلك على شكل مجموعة كتب متنوعة وشاملة، والقسم الأعظم من مواضيع هذه المجلة كان بقلمى والقسم الآخر بقلم الاخوة العاملين معى، هذه المجلة كما يظهر من السيرة المباركة، ص: ١۴١ اسمها، تهدف إلى استعراض قضايا الشباب وحل مشاكلهم وانقاذهم من مستنقعات المفاسد الأخلاقية التى كانت منتشرة فى ذلك الزمان، وهذه المجلة تتقاطع مع المنهج السائد لدى الجهاز الحاكم فى زمان الشاه، بحيث أنّهم كانوا يشعرون بحساسية فائقة من كلمة «نجاة جيل الشباب» ويقولون: النجاة من أى شىء؟ وما هو الخطر الذى يهدد الشباب فى هذا المجتمع بحيث تريدون انقاذهم منه؟ واضيف أيضاً أنّهم كانوا يهدفون إلى إضلال الشباب وإيقاعهم فى خط الباطل والانحراف والفساد لأنّهم كانوا يعلمون أنّ الثورة الإسلامية تقوم على أكتاف هؤلاء الشباب، فلو أنّ الشباب سلكوا خط الفساد والانحراف الأخلاقى فإنّهم (الجهاز الحاكم) سيحقّقون هدفهم وينالون مرادهم، وعلى هذا الأساس كانوا يشعرون بالخوف من اقدام البعض على انقاذ جيل الشباب، وعلى أيّة حال فانّ الناس استقبلوا هذه المجلة استقبالًا كبيراً لا سيما الشباب، وكنت أشعر بالسرور لذلك، حيث كانت تصلنى رسائل كثيرة من قبل الشباب

كنت أشعر بالأمل من جهة، ومن جهة اخرى كانت تحكى عمق الفاجعة التى أصابت شبابنا فى ذلك الزمان، وأحد النشاطات المهمّة هو اهتمامنا بالإجابة عن أسئلة الشباب، ولابدّ من القول إننى طيلة هذه المدّة وبسبب اهتمامى الكثير بهذه المسائل أصبحت تدريجياً متخصصاً فى قضايا الشباب وعارفاً بما يعيشونه من أفكار وحالات روحية، وأقول أيضاً إنّ هذه المعرفة والتجربة فى هذا المجال مؤثرة كثيراً فى إصدار الفتاوى المتعلقة بالشباب فى هذا الزمان، وأسعى إلى إصدار فتاوى تساهم فى حلّ مشاكل جيل الشباب وما يعيشونه من تعقيدات اجتماعية من خلال الاستعانة بالأدلة الشرعية، وأشكر اللّه تعالى على أنّ اهتمامى بقضايا الشباب قد فتح لى نافذة على التعرف على هذه السيرة المباركة، ص: ۱۴۲ الشريحة الفعّالة والحساسة فى المجتمع واساهم بدورى من موقع الإفتاء وبملاحظة الأدلة الشرعية فى حلّ ما يواجهونه من أزمات وعُقد فى حياتهم».

الرؤيا الصادقة للمرحوم التربتى:

فى ختام هذا الفصل نشير إلى الرؤيا الصادقة التى نقلها بعض الفضلاء «۱» مباشرة عن الواعظ المعروف المرحوم التربتى رحمه الله يقول: «لقد ذكر المرحوم التربتى هذه الحقيقة على المنبر، وقال: رأيت فى عالم الرؤيا نهراً يصبّ ماؤه بسرعة فى مستنقع ملوث وآسن، والعجيب أنّ هذا النهر كان يحمل قلوب كثير من الناس وهى متجهة نحو المستنقع ورأيت مجموعة من فضلاء الحوزة المعروفين يأتى أحدهم بعد الآخر ويأخذ بسرعة هذه القلوب ويغسلها ويخرجها من النهر لكيلا تقع فى المستنقع، ولكننى لم أعرف من هؤلاء الأشخاص سوى رجل واحد وهو مكارم الشيرازى». وكان المرحوم التربتى فى تلك الفترة يتحدّث بهذة الرؤيا بعنوان أنّها رؤيا صادقة حيث يدور كلامه فى ذلك اليوم حول محور القلب والآفات التى تسبب تلوثه وانحرافه ومسائل من هذا القبيل.

۱۴ التحرر الفكرى، والاعتماد على النفس، الشجاعة وعلو الهمّة

اشارة

بالرغم من أنّ وضع تقرير من تقريرات الاساتذة كمحور لدروس البحث الخارج فى الاصول يعدّ أمراً شائعاً، والكثير من أساتذة الدراسات العليا «البحث الخارج» فى الحوزة العلمية يقررون فى دروسهم تقريرات أساتذتهم أو يجعلونها محوراً لبحوثهم، ولكن فى نفس الوقت نرى سماحة الاستاذ ينطلق فى درسه للُاصول بشكل مستقل وحرّ حيث يبحث عن أهم الآراء الموجودة فى المسألة بعد استعراضها، وذلك يعنى بوضوح أنّ تفكير الاستاذ لا يميل إلى أى جهة معينة. إنّ هذا المقدار من الشهامة والحرية الفكرية والاعتماد على النفس يعتبر مثالًا بالنسبة للطالب الذى يدرس الدراسات العليا حيث يخرج من إطار الدراسة وفق متن معين (كما هو الحال فى مرحلة السطوح) وبذلك يمنحه الجرأة والاعتماد على النفس والنظر فى جميع الآراء والأقوال فى مسألة معينة ونقدها، وهذه الحالة يتميز بها سماحة الاستاذ أيضاً فى درس تفسير نهج البلاغة حيث يتعامل فى بحثه هذا مع شروح وتعليقات متنوعة ويتحرك فى هذا التفسير من موقع الاعتماد على النفس والتحليل الدقيق.

نور الشهامة وعلو الهمة:

ما تقدّم آنفاً يتعلق بأمر التحقيق والتدريس فى دائرة البحوث التخصصية للحوزة السيرة المباركة، ص: ۱۴۴ العلمية، وينطلق سماحة الاستاذ كذلك فى دائرة البحوث الاجتماعية والتصدى السياسى من موقع الاعتماد على النفس ونور الشهامة وعلو الهمة التى يتمتع بها سماحته، حيث يقول فى هذا المجال: «فى احدى المرّات التى أخذونى فيها إلى مقر «السافاك» بسبب مجلة (مكتب اسلام)، بدأ رئيس شرطة السافاك، الذى كان رجلًا همجياً ومتوحشاً، بالصراخ والتهديد، وأنّك بأى حق تقوم بإصدار مجلة بدون ترخيص رسمى

فى هـذا البلد ولذلك فانّى ساعاقبك بشدّة، ولكننى أجبته ببرود: نحن تقدمنا بطلب ترخيص رسـمى للمجلة، ونحن الآن على وشـك الانتهاء منه، وفجأة رأيت هـذا الرجل الخشن مع كمال العجب تغيّرت سـحنته وبـدأ يتحـدّث من باب آخر بكل محبّة وصـميمية (وفى الواقع كان هذا حيلة ومصـيدة) فقال: «أنا سوف اعطيك امتياز المجلة، فلماذا لا يسمح هؤلاء الأغبياء بإصدار مجلة دينية ومَن يمنع من ذلك؟ كلّا فاننى سأقوم بإصـدار هـذا الترخيص وعليك أن لا تقنع بإصـدار هـذه المجلـة باللغة الفارسـية بل إصدار مجلة عربية أيضـاً ونحن سوف نساعدك فى ذلك» فرأيت أنّه بصدد وضع مصـيدة لى ويتصور أننا سوف نمدّ يدنا لطلب المساعدة منه، وتنتهى المسألة إلى هـذا الحدّ ولكنه غفـل عن يقظتنا وأننا لا نقع فى هـذا الفـخ ... فقلت: إنّ آيـة اللَّه العظمى السـيد البروجردى هو المتكفّل لحماية ودعم هـذه المجلـة ويبـذل كل مساعـدة لازمـة، ونحن أساساً لسـنا بحاجـة إلى مساعدة مالية، والمطلوب منكم فقط أن لا تمانعونا من ذلك ولا تقفون فى طريقنا، فعندما رأى أنّ المجلة مؤيدة من مكان آخر أمسك عن كلامه وختم الجلسة».

القادة المجانين أو المجانين القادة:

والحكايـة الاـخرى، التى تـدلّ- مضافاً إلى الشـهامة والحريـة- على روحيـة التصـدى للظلـم وملكـة الاسـتقامة والغيرة الدينيـة وعـدم الاستسلام لدى سماحة الاستاذ هى كما يلى: «وكذلك أتذكر جيداً أننى كنت أكتب مقالات شديدة اللحن فى مجلة (مكتب اسلام)، وأتـذكر بعض عناوين هـذه المقالات، وفى احـدى هذه المقالات كتبت بحثاً مفصـلًا تحت عنوان «القادة المجانين أو المجانين القادة» وطرحت تحليلًا سياسياً قاسياً فى هذا المجال، وهكذا فى مقالة اخرى بحثت مسألة احتفالات تحرير المرأة تحت عنوان «حصيلة ۲۷ سنة من التحرر» حيث اسـتعرضت النتائج الوخيمـة المترتبـة على تحرر المرأة فى عصـر الپهلوى، وعلى أيّـة حـال فإنّه تمّ اغلاق المجلـة ثم سمحوا بانتشارها، ثم تحركوا من موقع الضغط على المجلة وأنكم يجب عليكم تقديم مواضيع المجلة قبل نشرها بأربعة وعشرين ساعة لكى نرى ما فيها من مواضيع. قلنا لهم لا يمكن ذلك، ونحن مستعدون لتوقيف المجلـة بـدل ذلك. فقالوا نكتفى بأربع ساعات فقط. فقلنا لا يمكن ذلك. ولـم نستسـلم لهم وبحمـد اللَّه اسـتمرت المجلـة بالصدور بكامل الاسـتقلال والعظمة والافتخار. إنّ الضـغوط التى كان يمارسـها آيـة اللَّه العظمى السـيد البروجردى وأساتذة الحوزة منعتهم من إطفاء نور هذه المجلة الذى كان يشـرق فى أجواء تلك الأيّام المظلمة وقد أدمنا بحمد اللَّه هذه المسيرة».

بركات اخرى للاعتماد على النفس:

وعلى أيّة حال إنّ هذه الحالة من الاعتماد على النفس عندما تقترن بالاحساس بالمسؤولية الدينية والاعتقاد بالأصالة الحوزوية بإمكانها أن تفضـى إلى بركات كثيرة: أولًا: بركات للاسـتاذ نفسه، ثانياً: بركات لمـذهب الشـيعة، ثالثاً: بركات للحوزةالعلمية. السـيرة المباركة، ص: ۱۴۶ أمّا مـا يتعلق بسـماحة الاسـتاذ نفسه فـإنّه كـان منـذ عنفوان شـبابه يتمتع بهـذه الشـجاعة وكان يتلو القرآن ويبحث فى آياته الكريمـة عن ضالته بـدافع من الانس مع القرآن، ويتحـدّث سـماحته فى هـذا الصـدد فى مقدّمة كتابه: «القرآن وخاتم الأنبياء» ويقول: «إننى بـدورى مثل بقيـة الأفراد انطلقت فى حركتى الفكريـة منـذ مرحلـة البلوغ من موقع قطع الظوابط مع التقاليـد السالفة للدخول إلى مرحلـة الاسـتقلال الفكرى، وكنت متلهفاً كثيراً إلى معرفـة تفاصـيل وتعاليم هـذا الدين الذى يسـمى «الإسـلام» كما أخذناه من تعاليم الوالـدين والمجتمع، وتحكيم العقـل فيها وعرضـها على ميزان العقل، هـذا النمط من التفكير كان يمثل ضالتى وهـدفى المنشود، وبعد كثير من التحقيق والدراسـة لم أجد طريقاً للتعرف على هذا الدين أفضل وأحسن من الرجوع إلى الأصل والمنبع الحى لتعاليم الإسـلام وهـو القرآن الكريـم» «۱». أمّـا مـا يتعلق بالمـذهب الشـيعى فـانّ سـماحته كـان يمتلـك الجرأة العاليـة فى تأليف الكتب التى تتصـدى للانحرافات الاجتماعية والأخلاقية منذ بداية شـبابه حيث بدأ بتأليف كتابه «تجلى الحق» وإلى تفسير القرآن الكريم وشرح نهج البلاغة فى الأعوام اللاحقة.

الإصلاح على مستوى الحوزة:

أمّا ما يتعلق بالحوزة العلمية فقد بدأ سماحته بعملية إجراء اصلاحات مع رفاقه وأصحابه منذ شبابه أيضاً، حيث يتحدّث لنا سماحته عن هذه الحكاية بعد بيانه نقاط القوة في الحوزة العلمية: «بالرغم من وجود كل هذه الامتيازات ونقاط القوة في الحوزة العلمية، ولكن مع الأسف هناك بعض النواقص ونقاط الضعف فيها حيث كنت أراها السيرة المباركة، ص: ۱۴۷ وأعيشها منذ البداية، ومنها مسألة الامتحانات حيث لم يكن هناك امتحان للطلّاب مطلقاً وكنّا نأمل إيجاد امتحانات للدروس الحوزوية وبذلك يتمّ التعرف على الطلّاب الجيدين والمتميزين، ويتمّ تقوية الدوافع لدى الطلّاب وتفعيل ميدان المنافسة الإيجابية بينهم، وكذلك كنّا نأمل أن يكون هنا قانون ومقررات لمسألة لباس رجل الدين، فهذا اللباس المقدّس لا ينبغي أن يستغل من أي شخص أو يتمّ ارتداؤه بدون شروط. فلو رأينا ما يخالف هذا القانون فينبغي على مديرية الحوزة والمراجع تعقيب هذا الأمر وعدم المسامحة فيه. وكنّا نأمل بإصلاح الكتب الدراسية في الحوزة وإدخال بعض الدروس الإسلامية المهمّة كالعقائد وتفسير القرآن الكريم والبحوث المتعلقة بالحديث في مناهج الحوزة وتفعيلها. وكنّا نأمل فيما يخص المبلّغين أن يتّم ارسال أشخاص متمرسين وأصحاب تجربة إلى التبليغ للإسلام ويرسل للتبليغ إلى خارج البلاد من يتقن اللغات الأجنبية. وكنّا نأمل أن تحلّ مشاكل الطلّاب على مستوى المسكن والجهات الاخرى، وفي المجموع كنّا نأمل وضع برنامج كامل يأخذ بنظر الاعتبار الجهات المختلفة لطلّاب الحوزة العلمية. ومنذ أن كنت طالباً شاباً في الحوزة كنت أتذاكر هذا الأمر مع أصدقائي دائماً، وأتذكر جيداً حدوث واقعة مؤسفة في الحوزة أدّت إلى تحريك الأفكار باتجاه الاقدام على بعض الإصلاحات، وكان ذلك في زمان آية اللّه العظمى البروجردي حيث جلسنا مع الأصدقاء سوية، وقد استشهد بعض الأصدقاء ممن كان في تلك الجلسة فيما بعد كالمرحوم آية اللّه الشهيد السيرة المباركة، ص: ۱۴۸ البهشتي وبعض الاخوة الذين تولّوا مناصب مختلفة في الحكومة الإسلامية سواء من طلّاب الحوزة أو غيرها، فجلسنا وتحدّثنا عن هذه المسألة واتفقنا أخيراً على ثلاثة امور نطلبها من آية اللّهالعظمى البروجردي: ١- مسألة تشكيل ملف خاص لكل طالب منطلّاب الحوزة يتضمن سوابقه ولواحقه وبرامجه الدراسية والتعليمية للتعرّف عليه من جهات مختلفة. ٢- أن يتمّ تكريس البحوث والدراسات الأخلاقية في الحوزة بشكل أكبر، حتى لا يستغل بعض الأشخاص هذا اللباس المقدّس لتوجيه ضربة إلى الحوزة ورجال الدين وتكون هناك مقررات خاصة لارتداء هذا اللباس. ٣- أن تشكل هيئة التهذيب والتزكية، فإذا قام أحد الأشخاص عالماً أو جاهلًا بالتحرك على خلاف شؤون الروحانية فيتمّ استدعاؤه وإرشاده، وإذا لم يقع هذا الأمر مؤثراً يتمّ طرده من الحوزة والمؤسسة الدينية. وقد كتبنا هذه الامور مع مقدّمة شيّقة وقمنا بامضائها وبعد ذلك قلنا: إنّ من الأفضل أن نعرضها على بعض الفضلاء في الحوزة العلمية من الدرجة الثانية لقراءتها وابداء نظراتهم حولها حتى إذا استشارهم آية اللّه العظمى السيد البروجردي رحمه الله فانّهم سيكونون على علم مسبق بما تتضمنه هذه اللائحة، وتمّ ذلك فعلًا وانطلقنا على هيئة مجموعة لزيارة بعض الفضلاء والأساتذة في ذلك الزمان مثل الإمام الراحل رحمه الله والمرحوم آية اللّه العظمى الكلبايكاني رحمه الله وطرحنا هذا الموضوع أمامهم وطلبنا منهم تأييد هذه الامور بمحضر آية اللّه العظمى السيد البروجردي، ثم قدمنا الرسالة الأصلية إلى السيد البروجردي، ولكننا لم نقف بعد ذلك على النتيجة حيث ذهب البعض إليه وألقى في ذهنه مطالب مشوشة عن هذه الحركة الإصلاحية، وبالجملة السيرة المباركة، ص: ۱۴۹ أظهروا له أنّ هذه الحركة المخلصة من قبل بعض الشباب والفضلاء المتحركين حركة مشكوكة وذكروا له أنّ من جملة الأشخاص الذين يقفون وراء هذه اللائحة هو الشيخ مكارم الشيرازي، فلم تمض مدّة إلّاوأرسل إليَّ آية اللّه العظمى البروجردي يستدعيني إليه، فلما ذهبت إليه قال: «أنا أعتقد أنّ الوضع في الحوزة العلمية جيد ولا توجد مشكلة فيما يتعلق بهذه الامور، فالطلّاب مستمرون في دراساتهم بشوق»، ومضمون كلامه أننا إذا أردنا إيجاد بعض الإصلاحات في برامجها فانّ الفساد في هذا العمل أكثر من نفعه، وبهذا اطفئت هذه الجذوة بسبب سعاية بعض المغرضين، ولكنني كنت أبحث دائماً في هذه القضايا وأقول إنّ الحوزة العلمية في النهاية ستستجيب لهذه الحركة الاصلاحية وكنّا على يقين بانّ مرور

الزمان والظروف الاجتماعية ستمد إلينا يد العون وسيأتى اليوم الذى تكون فيه هذه الامور من البديهيات والمسلّمات فى أجواء الحوزة وفى ذلك الوقت يجب النهوض لإصلاح الخلل وتغيير البرامج والمساعدة فى تطوير الحوزة». وبعد أن ينقل سماحة الاستاذ هذه الواقعة، يشير إلى الظروف والمتغيّرات التى حدثت بمرور الزمان وجملة من الموفقيات والاصلاحيات التى سادت أجواء الحوزة حيث تقدم ذكرها سابقاً تحت عنوان «النظم فى جميع الامور».

سرعة الانتقال فى البحوث العلمية:

وفى ختام هذا الفصل نشير إلى ظواهر فى حياة الاستاذ، وهى «الاعتماد على النفس» «الارادة القوية» و «حدّة الذهن» و «سرعة الانتقال» فى مجال التأليف والتحقيق: فى البداية «سرعة البداهة وحدّه الذكاء فى البحوث العلمية»: لا شك أنّ الكثير من الموضوعات العلمية أصابها التورم والتضخم بسبب تضارب أفكار السيرة المباركة، ص: ۱۵۰ العلماء لقرون متمادية وما نتج من عمق ودقّة فى أجواء التحقيق فى هذه القضايا، وبعكس ذلك هناك مواضيع كثيرة أيضاً تولدت فى الآونة الأخيرة وبسبب كونها مستحدثة ولأسباب اخرى بقيت بعيدة عن إعمال الفكر لدى الفقيه والاصولى، فهى مسائل لن يمسها العقل الفقهى بشىء فى عملية الاجتهاد، ويصاب العالم المحقق عندما يرد فى هذين المجالين بالحيرة، فمن جهة يرى تضخماً خارقاً للعادة فى بعض المسائل والبحوث يؤدّى به إلى الغرق فى دوامة الأقوال والآراء والأدلة المتناقضة ولا يجد طريقاً للخلاص من كل هذه التعقيدات الفكرية أو الخروج بالنتيجة المطلوبة، ومن جهة اخرى فانّ المسائل الخام والبكر التى لم تبحث فى سوق الفقه والاصول تواجه نقصاً شديداً فى المواد الأولية فى عملية البحث والاستدلال. فيجد الباحث نفسه أمام هذه المسائل مقيّد اليدين ولا طريق له إلى التوغل فى أعماق هذه القضايا والبحث فى فروعها وأغصانها، وهذه الملاحظة ليست خافية على كل من له اطلاع فى عالم التحقيق والتأليف. وهنا نواجه موهبة الاستاذ فى هذا الشأن فانّ سرعة البديهة والشهامة والاعتماد على النفس لدى سماحته تجعله لا يتردد أو يصاب بالخشية من تضخم البحث وتعدد الآراء فيه، ولا جدّة المسألة وحداثتها تمنعانه من حركة ذهنه وتوغله فيها. إنّ الظاهرة الاولى فيما يخص البحوث المعقدة وجدها ثلة من طلّابه والنخبة من تلاميذه الذين يحضرون بحوثه الاصولية والفقهية فى تقريراته فى كتابين «انوار الفقاهة» و «أنوار الاصول» المطبوعة، والخصوصية الثانية بالإمكان العثور عليها فى كتابه «المسائل المستحدثة» وأيضاً «القواعد الفقهية» الذى أشرنا إليه سابقاً وأنّ المجلد الأول منه طبع قبل «القواعد الفقهية» للمرحوم المحقّق البجنوردى رحمه الله.

القدرة على المناورة الفكرية فى جلسات التأليف:

من المسلم أنّ ذهن الإنسان الفرّار من جهة، وكذلك البحوث الجانبية التى تطرح فى السيرة المباركة، ص: ۱۵۱ مناسبات مختلفة من جهة اخرى، يمثلان عاملين أساسيين لتعويق عملية التحقيق والتأليف واهدار الفرص وعدم الاستفادة الصحيحة من الطاقات فى دائرة التأليف أو التحقيق. أمّا العوامل التى يمكنها التغلب على هذين العاملين أو التقليل من تأثيرهما على الأقل فهى: أولًا: الإرادة الفولاذية والعزم على الاستقامة التى يحصل عليها الإنسان من خلال الممارسة والتمرن الطويل والاعتماد على بعض القابليات الروحية والمواهب النفسانية، فالإرادة التى بواسطتها يتمكن المؤلف أو المحقّق من السيطرة على أفكاره وتصوراته الذهنية وكذلك تمنع من تدخل بعض الأصدقاء فى الجلسة وطرح المواضيع غير الضرورية والمتلفة للوقت أو إيراد قضايا جانبية وضبط هذه الجلسة بجدية وبدون مسامحة وتساهل. ثانياً: تعين أفضل الأوقات للتأليف والتحقيق، الوقت الذى يكون فيه ذهن الإنسان نشيطاً وقواه النفسانية مهيئة للعمل وبدون أن تشعر بالتعب، ومع الالتفات إلى التأثير المتقابل للقوى الجسمية والروحية، فالإنسان بإمكانه السيطرة على نفسه وإرادته. الأشخاص الذين يرتبطون بالاستاذ (دام ظلّه) برابطة قريبة يؤيدون هذه الحقيقة، وهى تمتع الأستاذ بهايتن الخصلتين بصورة جيدة:

الإرادة الفولاذیة:

أمّا الخصلة الاولی، أی الإرادة الفولاذیة لسماحته، فالواقع أنّ الأستاذ بمثابة (الجرّافة) الذی یحطم کل الموانع التی یجدها أمامه فی دائرة العمل والتحقیق وحتی الموانع غیر المتوقعة أحیاناً حیث یمرّ علیها بکل شهامة وشجاعة وبرودة أعصاب، ولا یخفی علی أی شخص هذه الحقیقة حتی أنّ البعض یرون فی الاستاذ تجسیداً للعزم والإرادة، أمّا کیف حصل علی هذه الإرادة القویة؟ فهو بحث آخر لابدّ من تفویض الجواب عنه إلی أهله.

أفضل وقت للتفکّر والتحقیق، زمان بین الطلوعین:

أمّا الخصلة الثانیة، فالاستاذ یری منذ سالف الزمان، أی منذ سنوات تألیف التفسیر الأمثل القیم وإلی هذا الوقت الذی یشتغل فیه الاستاذ بتألیف التفسیر الموضوعی «نفحات القرآن» والتفسیر الترتیبی ل «نهج البلاغة» أنّ أفضل ساعات لهذا العمل هی أول ساعات الصباح الباکر (السابعة صباحاً) وذلک فی عملیة «التألیف الجمعی» وأمّا ساعات التحقیق والمطالعة الشخصیة فإنّه جعل ساعة «بین الطلوعین» لهذا الغرض باعتبارها أفضل الساعات. عندما قرأت لأول مرّة مقالة فی أحد الموضوعات السیاسیة فی صحیفة الاطلاعات ورأیت أنّ الاستاذ استطاع بمهارة فائقة کتابة عشر ملاحظات فی عمود الصحیفة ومع نظم جید وترتیب منطقی وقلم جذّاب وسلس «بحیث یستغرق کتابة هذه المقالة للأشخاص العادیین عدّة ساعات من الفکر والتأمل قطعاً» فسألت الاستاذ متعجباً: متی کتبتم هذه المقالة، وکم استغرقت کتابتها من وقت؟ فأجاب: «کتبتها عند وقت السحر أو بین الطلوعین، فاننی اخصص هذا الوقت وهذه الساعة لکتابة المواضیع التی تحتاج إلی خلّاقیة وابداع ونفس هادئة وذهن فارغ من التشویش». وعندما سألته: هل تشعر فی تلک الساعة وبسبب غلبة النوم بالکسل؟ فأجاب: «لقد اعتدت علی الاستیقاظ بین الطلوعین وحتی لو أردت النوم لا أتمکن من ذلک». وممّا یثبت وجود هاتین الخصلتین فی روحیة الاستاذ أننا لا ـ نری الکثیر من العبارات فی کلمات الاستاذ من قبیل: «الیوم السابق» أو «یبقی إلی الجلسة اللاحقة» أو «لقد وعدت فلاناً» أو «لیس لی رغبة فی هذا الیوم»، ونری فی کلمات الاستاذ امتیازاً خاصاً فی إدارة الجلسة، وبالنتیجة یشعر الاستاذ نفسه وکذلک رفاقه أنّهم فی هذا الیوم أفضل من السابق وأنّالعمل قد تقدم خطوة إلی الأمام بالنسبة إلی الیوم السابق وأنّهم اقتربوا من الغایة المطلوبة من التألیف والتحقیق فی المواضیع المطروحة. السیرة المبارکة، ص: ۱۵۳

۱۵ التأییدات الغیبیة

اشارة

لا ـ شک أنّ أحد أهم عوامل الموفقیة لطالب العلوم الدینیة «بل أهم عامل» أن ینال الدعم والتأیید من عالم الغیب وتنزل علی قلبه الطمأنینة والسکینة ویحصل علی النجاة من غابة الإفکار المختلفة والآراء السلیمة والسقیمة من خلال الامداد الغیبی کما تقول الآیة الشریفة: «وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ یَحُولُ بَیْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ» «۱» ، وقد ورد فی أحادیث کثیرة أنّ اللّه تعالی: «یحول بین المؤمن ومعصیته أن تقوده إلی النار» «۲» ویری الحق حقّاً والباطل باطلًا: «یحول بینه وبین أن یعلم أنّ الباطل حقّ» «۳» وکذلک ورد: «لا یستیقن القلب أنّ الحقّ باطل أبداً ولا یستیقن القلب أنّ الباطل حقّ أبداً» «۴». کما أنّه لا شک فی أنّ الإنسان یحتاج لنیل هذه الامدادات الغیبیة إلی الخروج من بوتقة الاختبار والابتلاء بنجاح وموفقیة، ولا یحصل الإنسان علی هذه الامدادات الغیبیة من دون قابلیة ذاتیة أو اکتسابیة تهیء له الأرضیة اللازمة لتقبل هذا التوفیق الإلهی، ولذلک فمن المناسب الإشارة إلی بعض الابتلاءات والامتحانات التی تصیب الإنسان لیکون مستعداً لنیل التوفیق الإلهی قبل بیان بعض الحوادث التی تعکس التأییدات الغیبیة لسماحة الاستاذ.

الحرمان الشدید:

إنّ أحد الابتلاءات التی یواجهها الإنسان فی حرکة الحیاة هو الابتلاء بالفقر والمحرومیة، ویتحدّث الاستاذ فی هذا المجال ویقول: «فی بدایة دخولی إلی قم کنت فی ضائقة مادیة شدیدة فی حیاتی، وأنا أکشف هذه القضیة لاخوانی الطلّاب لکی یشکر الطلّاب الشباب حالهم الفعلی ویتعاملون مع واقعهم المعیشی من موقع الرضی والشکر: عندما هلّ شهر رمضان واتفق أنّ الفصل کان فصل الصیف وکنت أنا ورفیقی فی الغرفه صائمین ولکن ربّما لم یکن لدینا لوقت الافطار حتی قرص واحد من الخبز، فقال لی رفیقی: أنا ذاهب للعمل لعلی أجد قوتاً یمنعنا من الموت، ولکنه لم یعثر علی عمل، ولعله باع بعض کتبه الدرسیة لیوفر لنا بعض الخبز، لقد کان ذلک امتحاناً إلهیاً فبالرغم من طول مدّة الحرمان الذی عشناه ولکن بحمد اللّه انتهی بموفقیة ورزقنا اللّه الفسحة والیسر بعد ذلک. ونظیر هذا الحرمان الشدید أیضاً ما کنت أعیشه عندما کنت فی النجف الأشرف، فکنت آخذ الخبز دَیْناً من الخباز إلی أن شعرت بالخجل الشدید منه، وکنت فی بعض الأیّام أحتاج إلی الحمام ولکننی لم أکن أملک النقود الکافیة لدفعها إلی الحمامی، فاضطررت أن أدفع إلی الحمامی ساعتی الزهیدة الثمن کودیعة عنده إلی أن أحصل علی المال، ولعله فهم حالتی فلم یقبل بالساعة وقال: أعطنی المبلغ فیما بعد. ولکن من الواضح أنّ مثل هذه الحوادث والامتحانات لمن یسیر فی خط الطاعة والإیمان والعبودیة للّه تعالی تمثل ألطافاً إلهیة خفیة بحیث تلفت نظر الإنسان من جهة إلی الذات المقدّسة، ومن جهة اخری تقوی فیه روح المقاومة والصبر والاستقامة، إنّ مثل هذه الامور عبارة عن بوتقة اختبار لتخلیص روح الإنسان من الشوائب، السیرة المبارکة، ص: ۱۵۵ وأخیراً انفتحت الأبواب وزالت الموانع وتیسرت الحالة المالیة، ولکن مع ذلک کنّا نعیش جمیعاً حیاة بسیطة وخالیة من التعقیدات والتشریفات التی نجدها فی حیاتنا المعاصرة فی هذا الزمان».

مشکلة الوسواس:

الابتلاء الآخر مشکلة الوسواس التی یعبّر عنها سماحة الاستاذ أنّه ابتلی بها بشکل عجیب فی مسائل الطهارة والنجاسة واتسعت الدائرة تدریجیاً وامتدت إلی اصول العقائد والمسائل التاریخیة والثوابت التاریخیة أیضاً، بحیث أنّها کانت تشکل ضغوطاً کبیرة علی الروح والأعصاب (وقد تقدم تفصیل الکلام فیها فی فصل المداومة والإستقامة مع الإشارة إلی أنواع الوسواس وآثاره وبرکاته فی حیاة الاستاذ) ویتحدّث سماحته عن ذلک بقوله: «إنّ الألم والتعب الناشیء من ذلک الوسواس وإن کان فی غایة الشدّة والصعوبة وقد أوقعنی فی دوامة من الازمة الروحیة، ولکنّه کان یقترن ببرکات کثیرة، حیث اضطرنی إلی مطالعة کتب العظماء والعلماء فی المسائل الاعتقادیة والکلامیة المختلفة وأن أتدبر کثیراً فیها وفی الآیات القرآنیة والروایات الشریفة، فکانت هذه المطالعات بمثابة المواد الأولیة والبنی التحیة للنضج الفکری والعلمی فیما بعد حیث قمت بتألیف کتب متعددة فی اصول الدین فی الاوقات اللاحقة ...».

برکات المشاکل!

ومن المناسب أن نشیر فی هذا الفصل إلی التوفیقات المعنویة للابتلاء بمثل هذه الصعوبات والمشاکل التی ابتلی بها سماحة الاستاذ، ومن الأفضل کذلک أن نستمع إلیه وهو یقول فی هذا الشأن: السیرة المبارکة، ص: ۱۵۶ «فی المدّة التی کنّا فیها فی النجف استمر الوسواس فی ما یتعلق بالمعارف والعقائد والأعمال ولکنّه خفّ تدریجیاً حیث استمرت مطالعاتی فی أبحاث مختلفة لاسیّما فی بحوث الولایة والاستفادة من الکتاب القیم: «الغدیر» واستمر دعائی وتوسلی لتطهیر قلبی من الوسواس حتی حصلت علی هدوء نسبی فی وجودی، ثم توصلت بعد ذلک إلی هذه النتیجة وهی أنّ وجود نوع من الوسواس یعدّ جزء من طبیعة الاستدلالات البرهانیة والنظریة وحتی أن أقوی أنواع الاستدلال فی المسائل الاعتباریة والنظریة لا یمکنه ازاحة قسم من الوسواس، وإنّما طریق معالجة هذا المرض

ينحصر فى الوصول إلى «مقام الشهود» أى مشاهدة الحقيقة بعين القلب وإزالة الحجب النفسانية وبالتالى إزاحة ظلمة الوساوس واشراق نور اليقين على القلب. وهذا المعنى هو ما ورد فى قصّة إبراهيم الخليل عليه السلام فى مسألة وصوله إلى مرتبة التوحيد الخالص كما يحدّثنا القرآن الكريم عن ذلك: «وَ كَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» «۱» أو قصّة إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة التى حصل من خلالها على اليقين والاطمئنان بالمعاد كما يقول القرآن الكريم: «وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى» «۲» ونحن بدورنا إذا وصلنا إلى تلك المرتبة التى يشرق فيها نور اليقين والاطمئنان على قلوبنا مهما كان ذلك النور المقدّس ضئيلًا فإننا سنحصل على اليقين وبالتالى لا يجتمع مع الوسوسة والشك، فمن الممكن أن نثبت قضية معينة بألف دليل، مثلًا قضية أنّ الآن وقت النهار، ولكن يمكن للوسوسة أن تجد لها مكاناً وتنفذ إلى مقدّمات البرهان الصغرى والكبرى، ولكن إذا تحركنا وقمنا بإزاحة الستار وفتحنا النافذة السيرة المباركة، ص: ۱۵۷ ورأينا قرص الشمس ظاهراً للعيان فى وسط السماء ورأينا أشعة الشمس تدخل إلى الغرفة فلا يبقى مجال للوسوسة».

متى أحسست بامتلاك موهبة القلم؟

ومن جملة التأييدات الغيبية والمواهب الإلهية التى قد تكون من نتائج ومعطيات الابتلاءات والصعوبات التى يواجهها الإنسان فى حياته هى «موهبة القلم» حيث يتحدّث سماحة الاستاذ عن ذلك أيضاً بقوله: «بعد مضى عدّة سنوات من دخولى الحوزة شعرت باننى أمتلك موهبة القلم، وأول كتاب صدر من تأليفى هو «تجلى الحق» وقصّة هذا الكتاب هى أننى كنت اسافر إلى شيراز أيّام العطلة فى الحوزة، وفى أحد أيّام الصيف رأيت حركة مثيرة من بعض فرق الصوفية وشاهدت فعّالياتهم ونشاطاتهم الوقحة «غاية الأمر غير ظاهرة للعيان» وطعنهم بمقدّسات الإسلام وتحاملهم على الدين بدلائل غير منطقية وكلمات معسولة، فما كان منى إلّاأن قررت الإجابة عن كلمات هؤلاء وأكتب ما يرد على تخرصاتهم، وهناك شعرت بأننى مكلّف بالدفاع عن مقدّسات الإسلام مهما كان دفاعى قليلًا، فأخذت بمطالعة كتب ومقالات عديدة فى هذا الشأن وأمسكت القلم وكتبت «تجلى الحق» وطبعته فى ذلك الوقت، ولكنّ نشر هذا الكتاب اقترن بصعوبات كثيرة لأنّ كل كاتب يتورط فى مثل هذه المشاكل فى كتابه الأول وتستغرق معرفة الناس له ولكتابه وقتاً طويلًا ثم يقبل الناس على كتبه وتأليفاته لاحقاً».

نمو الأقلام:

أمّا العامل الأساس فى تقوية هذه الموهبة وترشيدها، فيتمثل فى وجود الباعث السيرة المباركة، ص: ۱۵۸ النفسانى، كما يقول الاستاذ، وهو الاحساس بضرورة الدفاع عن الدين والمقدّسات، يقول الاستاذ فى هذا الصدد: «إنّ التأليف والكتابة بحاجة إلى باعث نفسى حاله حال سائر الامور الاخرى، فكلما كان الباعث أقوى تحرك الإنسان فى خط الابداع والابتكار بصورة أقوى وأشد، إنّ أفضل قصائد الشعراء ومؤلفات الكّتاب تتعلق بزمان كانوا يعيشون فيه الأمواج العظيمة من العواطف الجياشة والدوافع النفسية القوية فى وجودهم الداخلى، ولهذا السبب فالكتب التى ألفتها فى حال وجود دوافع قوية كانت بحمد اللّه أفضل من الكتب الاخرى، وأحد هذه الكتب «أشباه الفلاسفة» حيث كانت تحدونى على كتابته دوافع قوية للتصدى إلى التيار الماركسى، وأمّا الآثار والمؤلفات الاخرى فهى عبارة عن حصيلة جلسات كثيرة لمدّة ثلاثين عاماً فى بحوث العقائد والمذاهب، وكنت معها أيضاً أمتلك دوافع قوية لتأليفها».

الخلاص من عملية الاغتيال!

وأحد موارد التأييدات الإلهيّة والامدادات الغيبية التى نالها سماحة الاستاذ هى نجاته من أخطار المؤامرات التى كانت تستهدف حياته، ونشير فى هذا المجال إلى ثلاث حوادث خطيرة:

الحادثة الاولى:

المؤامرة التى استهدفت حياة الاستاذ فى اصفهان حيث يتحدّث لنا سماحته عنها: «الحادثة الاولى كانت فى بداية الثورة الإسلامية حيث تمّ تشكيل شورى عُليا للقضاء، هدفها الاشراف على وضع المحاكم الشرعية فى مختلف السيرة المباركة، ص: ۱۵۹ المناطق فى ايران، وفى المدّة القصيرة التى كنت فيها عضواً فى تلك الشورى «وكان مركزها فى قم ولم تنقل بعد إلى طهران» ومع الإلتفات إلى وجود أفراد مندسين فى المحاكم فى ذلك الوقت كان من جملتهم الافراطيون الذين كان الإمام الراحل قدس سره يشعر بالامتعاض منهم وكانت لتحركاتهم أصداء وانعكاسات سلبية فى واقع المجتمع الإسلامى، فتحدّثنا فى جلسة الشورى هذه وتقرر بعث أشخاص من أعضاء هذه الشورى إلى نقاط مختلفة فى البلاد للاشراف على امور المحاكم وضبطها. وقد عزمت بدورى على التوجه إلى اصفهان مع بعض الاخوة وممارسة عملية الاشراف على أمر المحاكم هناك، وكانت اصفهان فى ذلك الوقت تعيش أجواء مضطربة لوجود تيارات مشكوكة فى صفوف المسؤولين والمتصدين لُامور الثورة الإسلامية منها مسألة قتل المرحوم «شمس آبادى» التى حدثت قبل الثورة، وكذلك قتل المرحوم المهندس البحرينى التى حدثت بعد الثورة ومسائل اخرى من هذا القبيل، فكانت الأجواء ملتهبة ولعل الذهاب إلى هذا البركان كان مخالفاً للعقل حسب الظاهر، ولكننى لم أتعامل فى حياتى مع هذه الملاحظات وكنت أقول إنّ الإنسان إذا تحرك فى عمله من أجل اللّه، فانّ اللّه تعالى هو الحافظ له، وبذلك توجهنا إلى هناك ورأينا الاوضاع عجيبة جدّاً، فانّ تلك المنظمات التى اكتشفت أخيراً ونالت جزاءها العادل كانت تلاحقنا منذ البداية كالظلّ حتى لا نقوم بأى عمل نافع، ومن أجل جلب الرأى العام للناس جعلنا مسجد «سيد» الذى يعد من أكبر وأهم مساجد اصفهان، مقرّاً لنا وأعلنّا للناس وجود محاضرة فى هذا المسجد فى كل ليلة، واجتمع خلق كثير فى هذا المسجد واستطعنا إجهاض التحركات المشبوهة للجهة الاخرى المناوئة، ثم توجهنا إلى السجون والمحاكم فى السيرة المباركة، ص: ۱۶۰ اصفهان ورأينا أوضاعاً عجيبة، ففى بعض الأماكن لمسنا النفوذ الكبير لتلك الجهة المناوئة وكانت قد حدثت مسائل وامور عجيبة، وقد اتصل بنا شخص لا احب أن أذكر اسمه، وقال إنّ مسؤوليتى أن أقوم باغتيالكم جميعاً (وهو الشخص الذى كان يتعقبنا كالظل) وقال: إننى تحدثت مع والدى بهذا الشأن وإننى مأمور باغتيال الشيخ مكارم وجماعته، فقال لى والدى: لا أظن أنّ الشخص الذى يقتل مكارم سيكون من أهل النجاة يوم القيامة. وهذا الكلام أثر فى نفسى ومنعنى من تنفيذ ما امرت به». وقد قمنا بالاعلان لجميع الناس بتقديم شكاواهم إلى مسجد «سيد» فاجتمعت لدينا مجموعة كبيرة جدّاً من شكاوى الناس هناك. ومن جملة الأعمال الخبيثة التى قام بها أفراد الجهة المناوئة لإفشال مساعينا وإجهاض حركتنا هناك ومن أجل منع فضح مؤامرتهم هو أنّهم قاموا بإطلاق سراح من رجال السافاك من السجن وأتذكر أنّ اسمه «مصيبى»، ثم أعلنوا للناس من خلال الاذاعة المحلية التى كانت فى حوزتهم وتحت اختيارهم أنّ الشيخ مكارم مع جماعة جاؤوا من قم واطلقوا سراح هذا السافاكى فى حين أننا لم نكن نعلم بهذه المسألة اطلاقاً، وأساساً لم نقم بإطلاق سراح أى شخص من السجن، وذهبوا أيضاً إلى طلّاب الجامعة وأخذوا يبثّون الشايعات والأكاذيب هناك، ولهذا تقرر قيام البعض بتظاهرات فى المدينة ضدنا وبالفعل خرجت التظاهرة، ولكننى اتصلت فوراً بالاذاعة والتلفزيون وقلنا لهم إننا نحمل مهمّة ومسؤولية وعليكم أن تذيعوا خبرنا وكلامنا حالًا، فوجدوا أنفسهم مضطرين للاذعان وجاؤوا إلينا وأجروا معنا مقابلة تلفزيونية وأذاعوها هناك فكان أن هدأت الأجواء نسبياً. وكان المرحوم آية اللّه الخادمى وجماعة كثيرة من علماء اصفهان السيرة المباركة، ص: ۱۶۱ يتحركون على مستوى دعمنا وتأييدنا فى مقابل تلك الجهة المناوئة. والأعجب من ذلك أنّ جماعة جاؤوا من اصفهان إلى قم وخرجوا بتظاهرة فى قم ضدنا، ولكن هذه الامور انكشفت تدريجياً واتضح للناس عمق المؤامرة الخطيرة التى كانت تبيتها هذه الجماعة الخبيثة، وقد ساعد انكشاف أمر هذه الجماعة على تحجيم أمرهم وضبط حركاتهم وسكناتهم، وقد فهم بعض طلّاب الجامعة أنّهم وقعوا ضحية تبليغات هذه الجهة المسمومة، فجاؤوا بعد ذلك إلينا معتذرين بأنّهم لم يكونوا يعلمون بواقع الحال. وعلى أيّة حال بقينا فى اصفهان عشرة أيّام جمعنا شكاوى الناس وجئنا بها معنا لمعالجة المشاكل هناك،

وبالطبع فانّ مـدّة عضويتی فی تلك الشوری القضائية كانت محدودة، وبما أنّ الشوری انتقلت إلی طهران فقد بقيت فی مدينة قم اتابع اموری الاخری بعيداً عن هذه الأجواء».

الحادثة الثانية:

أمّا الحادثة الثانية التی وقعت فی مدينة قم وكان من المقرر اغتيال سـماحته فيها، فلنسـتمع إلی سماحة الاستاذ ليحدّثنا عن هذه الواقعة: «عندما انتهی الدرس عدت إلی منزلی فأحسـست بوجود شاب يعقبنی كظلّی ويسير ورائی وعندما وصلت إلی الباب، إلتفت إلیّ وقال: ألم تعلم أننی أتعقبـك باسـتمرار؟ فـاننی أحمـل مهمّـة فی هـذا الشـأن، وهی أننی كنت جالساً فی حديقـة من حـدائق طهران العامـة، فجـاءنی أحـد الأشـخاص فی سـيارة «فولكس» زرقاء اللون فقال لی: اعطيك مبلغاً كبيراً (وأتصور أنّه كان خمسـة آلاف تومان، حيث كـان ذلـك الوقت مبلغـاً كبيراً) لتـذهب إلی قم وتقوم باغتيـال شـيخ مكارم وتعود إلیَّ، وأعطانی قسـماً من ذلك المبلغ وقال: عنـدما السيرة المباركة، ص: ۱۶۲ تنتهی من عملك وتعود أدفع إليك بقية المبلغ «ولا أتذكر أنّه قد اسـتلم السـلاح من ذلك الشخص أو أنّه كان يمتلكه». فجئت إلی هنا وتوجهت فی البداية إلی حرم السـيدة المعصومة عليها السـلام، وفجأة أحسـست بانقلاب روحی وشـعرت فی قلبی بالنـدم علی ما أنا مقدم عليه وفكرت فی هل أنّ اللَّه يرضـی بهذا العمل أم لا؟ فقررت أخيراً أن آتی إليك واخبرك عن هذه المؤامرة لتكون علی حـذر أكثر، قـال ذلك وودعنی منصـرفاً، ففكرت أنّه لا يمكن للإنسان النجاة من الحوادث الخفيّـة بـدون ألطاف إلهيّة خفيّة».

الحادثة الثالثة:

أمّا الحادثة الثالثة فقد وقعت فی منزل الاسـتاذ حيث يتحدّث عنها سـماحته ويقول: «كنّا نعيش فی بداية الثورة أوضاعاً متأزمة وصـعبة، وقد اوصـينا بعدم التحرك فی المدينة إلّابمعية حارس ومحافظ وسـلاح، بل اوصـينا بضـرورة وجود محافظ مسـلح فی داخل البيت فی غرفـة خاصـة حتی إذا حـدثت مسألة ومشـكلة فبإمكاننا أن ندافع عن أنفسـنا، فكان الحرس يأتون إلينا ونسـتقبلهم فی بيوتنا، وفی أحد الأيّام وكان الوقت ظهراً وكان الحارس نائماً فی الغرفـة ا لمجاورة وكنت أمتلك بـدوری مسدساً فی غلافه فأخرجته من جيبی وأردت وضـعه علی رف ولكنّه انزلق وخرج من الغلاف وسـقط علی الأرض ورغم كونه موصـداً إلّاأنّ رصاصـة انطلقت منه فجأة ولعلّها مرّت علی مقربة من اذنی وأصابت الجدار ثم انطلقت إلی السقف وعادت إلی الأرض، وبما أن الرصاصة انطلقت فی جو مغلق فقد كان لها دویّ كالقنبلـة واهتز البيت فرأيت أننی مـا زلت سالمـاً وشـكرت اللَّه علی ذلـك، واللطيف أنّ محافظنـا ظـلّ نائماً فی الغرفـة المجاورة بالرغم من صوت الرصاصـة، وقد فهمت حينذاك السيرة المباركة، ص: ۱۶۳ أنّ المحافظ الحقيقی هو اللَّه تعالی، وهـذا لا يعنی أننی اوصـی بعدم استخدام الوسائل الظاهرية وترك الاستعانة بالامور المادية، ولكن أقول ينبغی فی الدرجة الاولی أن نفوض أمرنا إلی اللَّه تعالی ونتوكل عليه».

صلاة الاستسقاء:

ومن التأييدات والامدادات الغيبية التی تتجلی باشـراق فی حياة الاستاذ (دامظلّه) هو ما حدث فی واقعة صلاة الاستسقاء التی وقعت فی سنة القحط الشديد (۱۳۷۵ ه ش) وقد ذكرت فی كتاب «تحقيق حول صـلاة الاستسقاء» «۱» بهذه الصورة: حلّت سنة (۱۳۷۵ ه ش) فی ايران مهد التشـيع أتباع الإمام علی بن أبی طالب عليه السلام وحملت معها القحط الشديد والجفاف القاسی الذی قلّ نظيره فی السابق، فكان الناس يشـكون من قساوة هذه السنة ولا سيّما فی أوساط المزارعين ورعاة الغنم الذين يعتمدون اعتماداً كاملًا علی الأمطار، فكان القحط والجفاف حديث المجالس والمحافل، وفی الجهة المقابلة كان الحديث فی خطب صـلاة الجمعة، الصحف والمجلات، المنابر

وجلسات الوعظ والإرشاد يـدور حول صـلاة الاستسـقاء وضـرورة الاقـدام عليها، لتلافى الافرازات السـلبية الحادة لهـذا الوضع المتأزم، ولكن لا أحـد يقدم على هذا الأمر، وكأنّهم ينتظرون اقدام الآخرين على ذلك، وفى هذا الخضم وهذه الأجواء المأساوية رأى المرجع الكبير والفقيه المتمرس الشـيخ مكارم الشـيرازى الـذى يعيش المسؤولية والرسالية أنّ عليه أداء هذه الوظيفة الشـرعية والإلهية، فبعد أن درس أمر الفاجعة وقرأ الأخبار المتعلقة بافرازات وآثار القحط فى مختلف المناطق فى ايران بلد الإمام صاحب الزمان عليه السـلام عزم على اتخاذ الموقف تجاه هـذه المعضـلة ودعا إلى إقامـة صـلاة الاستسـقاء واحياء هذه السنّة الإلهيّة. والجدير بالذكر أنّ سـماحته كان يستقبل الحوادث والاخطار التى تهدد الامة الإسلامية السيرة المباركة، ص: ۱۶۴ باتخاذ مثل هذه المواقف الحاسمة ويتصدى للاخطار والتحـديات المفروضة على الإسـلام والمسـلمين طيلة سـنوات عمره الشـريف والمبارك، إنّ هذا الرجل العظيم أبدى شـجاعة فائقة لا يتخللهـا مفهـوم الخطر إلى إرادتـه القويـة وعزمـه النافـذ، فقـد أصـدر أول مجلـة مـن قِبـل الحـوزة العلميـة فى سـنوات الظلاـم والظلم الشاهنشاهى فى أجواء تسـيب الشـباب وهجوم الأفكار المنحرفـة من الغرب، وبـذلك اسـتطاع الوقوف أمام هـذا الهجوم الثقافى الذى يحارب الدين باسم الخرافة والرجعية وأمثال ذلك من الاتهامات الزائفة، فكان اصدار هذه المجلة يمثل عملًا شـجاعاً وخطيراً لا يتسنى لأىّ شـخص غيره، نعم عنـدما نتصـفح أوراق مجلة «مكتب اسـلام» ونقرأ ما فيها من مواضـيع ومعارف ونتصور الظروف العصـيبة التى طبعت فيهـا المجلـة فحين ذلـك نصـدّق بـأنّ إصـدار مثل هـذه المجلـة فى تلك الظروف يعتبر عملًا شـجاعاً جـدّاً، وسـتقول: إنّ هـذا الشـخص الـذى أقدم على مثل هذا العمل كان سـيواجه أنواع التهم والضـغوط الاجتماعية والسياسـية وسـيل الاهانات، كل ذلك كان سماحته يقف منها موقف الشـجاع الذى يتحرك فى خط الوعى والمسؤولية والرسالة. هذا الرجل العظيم والشخصـية الكبيرة لم يكتف بإصدار مجلة «مكتب اسـلام» فحسب، بل تحرك على مسـتوى نشـر الفكر الإسلامى الأصيل ومحاربة البدع والأفكار الضالة والتيارات الماركسية والغربية من خلال كتابة عشرات الكتب والمقالات المتنوعة فى مجالات العقائد والاجتماع ومشاكل الشباب وغير ذلك من المسائل الفكرية والقضايا المعرفية الاخرى التى تمثل ثوابت رائعة ومشـرقة فى فعّالية هذا الرجل. وعلى أيّة حال فى عام (۱۳۷۵ ه. ش) انطلق هـذا الرجل الكبير مرّة اخرى إلى الميدان وكسـر حاجز الصـمت والتردد لدى الآخرين، وأعلن بشـكل رسـمى فى درسه للبحث الخارج فى الفقه أنّه عازم على أداء صلاة الاستسقاء وبذلك أنعش الأمل فى قلوب الناس الحيارى.

الاعلان عن صلاة الاستسقاء:

كان ذلك اليوم هو يوم الثلاثاء ۱۴ اسفند ۱۳۷۵ ه ش المصادف ۲۸ من شوال المكرم ۱۴۴۷ ه ق عندما أعلن سماحة أية اللَّه العظمى مكارم الشـيرازى (مدّظلّه) فى درس الخارج للفقه أنّه عازم على إقامة صـلاة الاستسقاء. قال سماحته فى هذا الصدد: «بسم اللّه الرّحمن الرّحيم وبه نسـتعين وصـلّى اللّه على سـيّدنا محمّـد وآله الطّاهرين لا سيّما بقيةُ اللّه المنتظر أرواحنا فداه ولا حول ولا قوّة إلّاباللَّه العلىّ العظيم.» فى تفسـير سورة نوح ذيل الآيـة الشـريفة: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً» «۱». وردت روايـة تقرر هذا المعنى، وهو أنّ الربيع بن صبيح قال: «كنت عند الحسن بن على عليهما السـلام فجاء رجل وشـكا له من الجدب والقحط فقال له الحسن: «استغفر اللّه»، فجاءه آخر وشكا له من الفقر فقال: «استغفر اللَّه»، فجاء ثالث وقال له: ادع أن يرزقنى اللَّه ولداً، فقال الحسن عليه السلام: «استغفر اللَّه»، يقول الربيع بن صبيح: فتعجبت وقلت له: ما من أحد يأتيك ويشـكو إليك أمره ويطلب النعمة إلّاأمرته بالاستغفار إلى اللَّه .. فقال عليه السـلام: إنّ مـا قلته لم يكن من نفسـى، وإنّمـا اسـتفدت ذلـك من كلام اللَّه الـذى يحكيه عن لسان نبيّه نوح عليه السـلام، ثم تلا قوله تعالى: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ انَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرْسِلِ السَّمآءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ* وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهاراً» «۲»» «۳». هناك الكثير من أمثال هذه البلايا والمشاكل التى تواجه الناس بسـبب السـيرة المباركة، ص: ۱۶۶ الذنوب والمعاصى التى تقع هنا وهناك فى العلن والخفاء، وهذه السنة فى تاريخ ايران سنة عجيبة من حيث شدّة القحط والجفاف، فالجفاف شمل معظم المنـاطق فى هـذا البلـد، وينقـل أحـد الاـخوة أنّه رأى فلاحاً يجهش بالبكاء ويقول: إنّ زرعنا يحتاج إلى الماء وهو الآن يكاد أن يفنى

ويموت، وفى بعض المناطق تباع الحيوانات من الغنم والبقر بأسعار زهيدة وبأقل من قيمتها الحقيقية. لقد أخبرونا بالهاتف من محافظة فارس التى تعتبر الرصيد الأول والمخزن الأكبر للحنطة والشعير فى ايران، بأنّ ميزان هطول المطر هذا العام بمقدار عشر السنة الماضية، أى أنّ مقدار المطر فى السنة الماضية كان (۵۰۰) مليمتر، وفى هذه السنة (۵۰) مليمتر، وبالأمس اتصلوا بى من طهران تلفونياً وقالوا لى: إننا نتّجه صوب فاجعة إنسانية، فلماذا لا يتدارك العلماء ومراجع الدين هذا الأمر بإقامة صلاة الاستسقاء؟ عندما تشرفنا فى النصف من شعبان (عام ۱۴۱۷ ه. ق) إلى مكّة المكرمة كان الناس هناك يعيشون الجفاف أيضاً وقد أقاموا صلاة الاستسقاء فى بلادهم ونزل المطر فعلًا، وفى السنة الماضية قام المسيحيون بأداء مراسم دعاء المطر واللّه تعالى رحمهم أيضاً. فلماذا تركنا هذه السنّة الدينية فى مطاوى النسيان؟ أنا أعتقد أنّه لا بأس بأن نقوم بإحياء هذه السنة مرّة اخرى وان شاء اللّه نخرج إلى صلاة الاستسقاء معكم وكل من يصله الخبر. والآن اريد أن أتحدث ببعض الامور التى تتعلق بهذه المسألة: أولًا: إنّ استحباب صلاة الاستسقاء حكم إجماعى لدى الفقهاء «۱»، لقد ذكر السيرة المباركة، ص: ۱۶۷ فى كتاب «جواهر الكلام» فى المجلد (۱۲) بشكل مفصل عن هذا الموضوع، وقد ورد فى المجلد الخامس من «وسائل الشيعة» روايات متواترة أو قريبة من التواتر فى هذا المجال أيضاً، ويتفق علماء أهل السنة على هذه المسألة، باستثناء «أبى حنيفة» حيث خالف فى ذلك ولكنّه قال بالدعاء فقط لا الصلاة، وأمّا سائر أهل السنة فيعتقدون بهذه المسألة. إنّ هذه السنّة الدينية فى معرض النسيان، إنّ صلاة الاستسقاء مثل صلاة عيد الفطر والأضحى، حيث يكبّر فيها المصلى خمس تكبيرات وأربع تكبيرات، وفى الواقع فانّ الركعة الاولى مع تكبيرة الاحرام وتكبيرة الركوع تبلغ سبع تكبيرات فى الركعة الثانية «مع تكبيرة الركوع» فيها خمس تكبيرات، ويتمّ فى قنوت الصلاة الدعاء لطلب نزول المطر. وبعد الصلاة يقوم المصلى بالتكبير والذكر الوارد فى هذا الشأن: مائة تكبيرة مقابل القبلة، ومائة مرّة «سبحان اللّه» إلى جهة اليمين، ومائة مرّة «لا إله إلّااللّه» إلى جهة الشمال وبعد الانتهاء من التكبير والذكر يقوم إمام الجماعة بالتوجه إلى المصلين ويقول مائة مرّة «الحمد اللّه» ثم يأتى بخطبة الصلاة ثم يتوبون إلى اللّه جميعاً ويدعونه بتضرع. هذه باختصار مراسيم صلاة الاستسقاء، وهى صلاة فى غاية الروحانية والتأثير. وأحد شروط هذه الصلاة أن يصوم الناس ثلاثة أيّام، وطبعاً فانّ هذا الشرط ليس شرطاً فى صحة الصلاة، بمعنى أنّه يمكن الإتيان بهذه الصلاة بدون الصوم وتقع الصلاة صحيحة، فالصوم من شروط كمال هذه الصلاة وأنا بدورى أقترح عليكم أيّها الأعزاء أن تصوموا غداً وبعد غد ويوم الجمعة إذا أمكنكم ذلك، ولحسن الحظ أنّ أحد المستحبات أن يكون اليوم السيرة المباركة، ص: ۱۶۸ الثالث للصوم هو يوم الجمعة. وقد رأينا أنّ أفضل مكان لإقامة صلاة الاستسقاء هو المكان الذى يقع إلى جانب مسجد جمكران لأنّ هذه الصلاة يجب أن تقام فى فضاء فسيح تحت السماء، فهناك نصلى إلى جانب الإمام صاحب الزمان عليه السلام، فى يوم الجمعة الساعة التاسعة صباحاً حيث نجتمع هناك ومعنا كل من وصله هذا الخبر ورغب فى الحضور والصلاة. ويستحب فى هذه الصلاة أن يأتى إليها الناس حفاة، وعلى الأقل أن يقوم المشتركون فى هذه الصلاة عند نزولهم من السيارات بالمشى حفاة. والمستحب أيضاً أن يأتى الاخوة ببعض أطفالهم الصغار، فانّ اللّه تعالى إذا لم يرحم الكبار لذنوبهم فإنّه ينزل رحمته على الصغار وتعمّ رحمته بسبب الكبار أيضاً. ولعل بعض الاخوة يقول: «إذا صلينا ولم ينزل المطر فماذا نصنع؟. نقول فى مقام الجواب: «نحن نتحرك من موقع أداء تكليفنا واللّه تعالى هو الذى يُدبّر الامور بكرمه، فقد أوصانا بأنّ نصلى له فى مثل هذه الحالات ونحن نقوم بوظيفتنا. وعلى هذا الأساس فانى اوصى السادة الحضور بالصوم فى هذه الأيام الثلاثة، وأمّا من لم يحالفه الصوم فليخبر الآخرين ويشتركوا جميعاً فى هذه الصلاة، وأنا لا اريد إصدار اعلان عام بهذه المناسبة فيتحول هذا العمل المعنوى والروحانى ويتخذ شكل تظاهرة، فقلت فى نفسى: لعل تأثيرها سيكون أقل، ولكن مجرّد اشتراككم فى هذه الصلاة وإخباركم الآخرين يكفى، إذن فوقت إقامة صلاة الاستسقاء هو يوم الجمعة الساعة التاسعة صباحاً ليمكنكم أيضاً المشاركة فى صلاة الجمعة ولا تواجهون مشكلة فى السيرة المباركة، ص: ۱۶۹ ذلك، ولا بأس أن يقوم البعض باخبار شركة الباصات لايصال الاخوة إلى هناك، وكلما كان عدد المشاركين أكثر كان أفضل. المهم روح الصفاء والخلوص فى قلوب المصلين، وأهم من ذلك احياء هذه السنّة المتروكة، فلا ينبغى نسيان هذه السنّة، وقد أقام الناس فى العربية السعودية صلاة الاستسقاء فى جميع

أرجاء تلك المملكة فلا ينبغى بدورنا أن ننسى هذه السنة الدينية، فعليكم أن تسعوا للمشاركة فى هذه الصلاة إن شاء اللّه، وإن شاء اللّه تكون قلوب المشاركين مستعدة لإقامة هذه الصلاة والدعاء. إنّى اوصى أن تقوموا فى هذه الأيّام الثلاثة بالاستغفار كثيراً والتوبة إلى اللّه وضبط ألسنتكم وأعمالكم وسلوكياتكم، وعليكم السعى لأن تخلقوا تحوّلًا فى نفوسكم فى هذه الأيّام الثلاثة، لعل اللّه يرحمنا وينزل علينا من بركاته السماوية والّا فنحن نعيش حالة الحصار الاقتصادى وربّما تتفاقم المشكلات الاجتماعية والاقتصادية أكثر، ومن المعلوم أنّ الجفاف إذا استمر أكثر من هذا فإننا سنواجه أزمة كبيرة وبلاءاً مبرماً، ونستلهم فى هذه الفرصة من قوله تعالى: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً* يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً». بهذه المناسبة نطلب من اللّه تعالى ونسأله أن: «ارسل السماء علينا مدراراً» وذلك بالاستغفار والتوبة إلى اللّه تعالى ولا ـ سيّما إلى جانب مسجد جمكران بيت الإمام صاحب الزمان «عجل اللّه تعالى فرجه الشريف» لنحضى ببركات وجوده أكثر. وبالنسبة إلى المسائل المتعلقة بصلاة الاستسقاء فهنا نرى من الضرورى بحث أدلة هذه المسألة بحثاً اجتهادياً والرجوع إلى المنابع الشرعية فيجب على الفقيه أن يحيط بجميع هذه المسائل، والآن نرى الفرصة مناسبة لبحث السيرة المباركة، ص: ۱۷۰ هذا الموضوع، فعليكم أيّها الاخوة أن تضعوا هذه المسألة فى برنامجكم الدراسى لكى يمكننا إن شاء اللّه التعرف على هذه السنّة الحميدة والعمل على إحيائها .. والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

شيوع الخبر بين الناس:

وانتشر خبر صلاة الاستسقاء بإمامة سماحة آية اللّه العظمى مكارم الشيرازى (مدّظلّه)، بين الناس فى مدينة قم. فأخذ المؤمنون يعدون أنفسهم لهذه الصلاة بالاستغفار والتوبة والصيام، وكان الحديث عن صلاة الاستسقاء أهم موضوع يشغل المحافل والمجالس، حيث يتطرق الناس فى حديثهم إلى أبعاد هذه الصلاة المختلفة ومعطياتها التاريخية وما يعيش فيه الناس من اضطراب وآمال نتيجة إقامة هذه الصلاة، فالاضطراب بسبب احتمال عدم نزول المطر بعد إقامة هذه الصلاة، والأمل بفضل اللّه وكرمه فى استجابة دعاء المؤمنين والخلاص من القحط والجفاف. وعلى أيّة حال حلّ يوم الجمعة وأخذ الناس يتوافدون مجاميع، آحاداً وزرافات متجهين إلى مسجد جمكران، وكان هؤلاء المؤمنون الصائمون ينزلون من السيارات والباصات على مقربة من المسجد ويمشون حفاة وفى حالة الاستغفار والتوبة متجهين إلى محل إقامة الصلاة وكانت لحظات الاضطراب والأمل تزداد شيئاً فشيئاً باقتراب موعد الصلاة. ثم إنّ سماحة مكارم الشيرازى (مدّ ظلّه) جاء مع مجموعة من أعضاء مكتبه إلى مسجد جمكران المقدّس وصلّى فيه صلاة صاحب الزمان (عجل اللّه فرجه الشريف) وبهذا الزاد المعنوى تحرك باتجاه محل صلاة الاستسقاء. السيرة المباركة، ص: ۱۷۱ وكان سماحته يمشى حافياً وهو يسبح اللّه ويستغفره فى حركته إلى محل إقامة الصلاة حتى وصل إلى مكان وقوف إمام الجماعة وكان الناس يتوافدون إلى ذلك المحل باستمرار وارتفعت أصوات الضجيج وبكاء الأطفال وأصوات الحيوانات فى أطراف ذلك المحل. وبدأت مراسم صلاة الاستسقاء المهيبة بتلاوة آيات من سورة «الضحى» ثم تحدّث المرجع الكبير مكارم الشيرازى قبل إقامة الصلاة متناولًا عدّة امور:

الخطبة قبل الصلاة:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم وبه نستعين وصلّى اللّه على سيّدنا محمّد وآله الطّاهرين لاسيّما بقيّة اللّه المنتظر أرواحنا فداه ولا حول ولا قوّة إلّاباللّه العلىّ العظيم. إنّ كيفية صلاة الاستسقاء كالتالى: تتكون صلاة الاستسقاء من ركعتين كصلاة عيد الأضحى والفطر، وفى الركعة الاولى خمسة قنوتات وفى الركعة الثانية أربعة قنوتات وقبل كل قنوت تكبيرة، وبعد التكبيرة الأخيرة نركع، وأمّا دعاء القنوت فيختلف عن دعاء القنوت لصلاة عيد الفطر والأضحى. وبعد اتمام القنوت يجب على من يلبسون عباءة أن يقلبوا عباءتهم على ظهرها حيث يقول المرحوم صاحب الجواهر فى المجلد ۱۲ الصفحة ۱۴۶ من كتابه فى بيان الحكمة من هذا العمل: «وحكمة هذا العمل هى أنّ اللّه تعالى يبدّل الجفاف بالمطر، ويحوّل أيّام القحط إلى أيّام نعمة ورخاء، وقلب العباءة إشارة إلى تغيير مسيرة الجفاف إلى نزول المطر

المبارک إن شاء اللّه». ونقف بعد انتهاء الصلاة مستقبلین القبلة ونکبر اللّه تعالی سویة وبصوت السیرة المبارکة، ص: ۱۷۲ عال مائة تکبیرة «اللّه أکبر» ثم نلتفت إلی الجهة الیمنی ونذکر اللّه مائة مرّة ونقول «سبحان اللّه»، ثم نتوجه إلی جهة الشمال ونقول مائة مرّة بصوت عال «لا إله إلّااللّه»، ثم إنّ إمام الجماعة یتوجه إلی الناس مستدبراً القبلة ونقول سویة وبصوت عال «الحمد للّه» مائة مرّة، وبعد الإتیان بهذه المراسیم یقف إمام الجماعة خطیباً، وتتعلق خطبة إمام الجماعة فی الغالب بمسألة التوبة والإنابة والاستغفار وطلب الصفح والعفو عن الذنوب ونسأل اللّه تعالی من رحمته الواسعة ونزول المطر، وضمناً أوصانا أحد الاخوة المداحین بأن یقرأ فی أثناء الخطبة کلمات وأشعار فی المناجاة والتوسل لترطیب القلوب، ولا ینبغی أن نغفل أننا الآن بجوار بیت اللّه وفی جوار بیت صاحب الزمان (أرواحنا فداه) وأعتقد أنّ لصلاة الاستسقاء أثر تربوی کبیر ومثمر لجمیع الناس، حیث یکتسب الإنسان بهذه الصلاة نورانیة وروحانیة خاصة ویتطهر من الذنوب، وتتضمن هذه الصلاة عنصر الاستغفار وطلب الرحمة الإلهیة، هذه الصلاة تبعث علی تقویة وشائج العلاقة بین الإنسان وربّه حیث یلقی الإنسان بمشکلاته أمام بیت اللّه، فی هذه الصلاة یعیش الناس حالة الاستغفار من الذنوب ویسألون اللّه حلّ مشاکلهم، إذن فهذه الصلاة تحتوی علی نتائج ومعطیات تربویة جیدة من جهة، ومن جهة اخری فانّ إقامة هذه الصلاة یمثل احیاءً لسنّة إسلامیة، وأضیف هنا أمراً آخرَ وهو أنّ صلاة الاستسقاء مورد قبول جمیع المسلمین سواء من أهل السنة أو الشیعة سوی جماعة قلیلة من علماء أهل السنة حیث لا یقبلون بها، وما عدا هؤلاء فانّ جمیع علماء الإسلام متّفقون علیها، وقد أورد المؤرخون أنّ مراسیم الاستسقاء بصورة صلاة أو علی شکل دعاء کان منذ زمان النبی الأکرم صلی الله علیه و آله. وبعد أن انتهی سماحة الفقیه الکبیر من کلامه شرع الناس بترتیب صفوف الصلاة وقام السیرة المبارکة، ص: ۱۷۳ أحد المصلّین برفع صوته بالتکبیر والاستغفار والصلوات واشتغل المصلّون بالذکر والاستغفار بقلب منکسر وروح مفعمة بالأمل بفضل اللّه ورحمته.

شروع صلاة الاستسقاء:

کلما یتقدم الوقت وترتفع ساعات النهار فانّ جموع غفیرة من المصلّین تزداد شیئاً فشیئاً فهناک النساء والرجال، الکبار والصغار، الشیوخ والشبان، المشایخ وغیر المشایخ، الشخصیات العلمیة والدینیة والأشخاص العادیین کلهم جاءوا وحضروا إلی هذا المکان متوجّهین بقلوبهم إلی اللّه تعالی ومتضرعین إلیه ومادین أیدیهم إلی السماء، فالجمیع علی استعداد تام لحضور هذه المائدة الإلهیة، وتسمع أصوات بکاء الأطفال الذین تم عزلهم عن امهاتهم وأصوات الأغنام والماعز، وفی هذا الحال أخذ الناس بالبکاء والاستغاثة والضجیج، فالأجواء المعنویة حاکمة علی ذلک المکان. کان العدد غفیراً جدّاً لقد تهیأوا، فما أن قال الإمام تکبیرة الإحرام ورفع یدیه إلی اذنیه علامة علی دفع وطرد ما سوی اللّه إلی خلفه وبدأت الصلاة، بدأ المصلّون الذین عاشوا هذا العشق والتوبة والاستغفار وصیام ثلاثة أیّام، بصلاة الاستسقاء فی حال البکاء والدموع. وبعد أن قرأ الإمام سورة الحمد وسورة الکوثر رفع یدیه للقنوت خمس مرات فی الرکعة الاولی وقرأ فی قنوته هذا الدعاء: «اللّهُمَّ صَلِّ عَلَی مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، کَما صَلَّیْتَ عَلی ابْراهیم وَآلِ ابْراهیمَ، انَّکَ حَمیدٌ مَجیدٌ. وَصَلِّ عَلی جَمِیعِ الأَنْبِیَاءِ وَالْمُرْسَلِینَ، وَالْمَلائِکَةِ الْمُقَرَّبینَ، وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحینَ، اللَّهُمَّ نَزِّلْ عَلَیْنا غَیْثاً مُبارَکاً، إِنَّکَ أَنْتَ الوَلِیُّ الْحَمیدُ، وَبِالْاجَابَةِ جَدیرٌ، وَأَنْتَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدیرٌ». وهکذا الحال فی الرکعة الثانیة فی أربع قنوتات وبعدها انتهت الصلاة، وبعد الفراغ من الصلاة، فی حین أنّ بعض المصلّین کانوا قد قلبوا عباءاتهم علی باطنها مستقبلین القبلة بالتکبیر مائة مرّة، وکان تکبیرهم بحالة خاصة من الصفاء والمعنویة ممّا أضفی علی تلک السیرة المبارکة، ص: ۱۷۴ الأجواء روعةً وبهاءً عظیماً، وبعد الانتهاء من التکبیر اتجه المصلّون إلی جهة الیمین بحیث کانت أکتافهم الشمال صوب القبلة، وسبحوا اللّه تعالی بجمیع وجودهم وقالوا: «سبحان اللّه» مائة مرّة، وکأنّ ذکر اللّه تجلی حین ذلک بمعنیً جدید ومضمون عمیق وکأنّه لأول مرّة یسمع الناس بمثل هذا التسبیح، فالذکر وقول «سبحان اللّه» لم یختلف فی جمیع الحالات، ولکنّ هذا الذکر یقال الآن بلسان آخر، لسان الشخص التائب والمنیب إلی اللّه تعالی طالباً منه المغفرة والصفح ولا سیّما إذا اقترن ذلک مع البکاء والعویل وفی حالات التوبة والانابة، کل ذلک من شأنه إضفاء طابع

الصفاء والخلوص على هذا الذكر. «سبحان اللّه» تعنى أنّ اللّه تعالى منزّه عن كل نقص وشائبة، وإنّ ذنوبنا وخطايانا هى التى أدّت إلى وقوعنا فى هذا البلاء وسقوطنا فى بحر الامتحان وإلّا فأنت منزّه عن كل نقص وأسمى من كل شىء وبعد الانتهاء من هذا الذكر المهيج بلسان المصلّين والصائمين والعاشقين الذين يعيشون فى حالة من انكسار القلب توجه الجميع إلى جهة الشمال بحيث كانت أكتافهم اليمين هذه المرّة صوب القبلة وللمرّة الثالثة ارتفعت أصواتهم «لا إلهَ إلّااللّه»، مائة مرّة، بمعنى أنّه لا معبود سوى اللّه تعالى فأنت معبودنا وإلهنا وأنت القادر على إحيائنا واماتتنا، تعزّ من تشاء وتذل من تشاء، وتمنح البركة من تشاء وترزق من تشاء وترسل المطر إلى حيث تشاء فكل شىء بيدك وبمشيئتك وكل ما لدينا هو منك فقط. إلهنا! لا نجاة لنا إلّابك فأنت المنقذ لنا والمصلح لُامورنا وبكرمك نعيش ونحيى، وبهذا الذكر نعترف لك بأن لا موجود يستحق العبودية سواك. وعندما اتّجه المصلّون العشّاق صوب القبلة وفى حين توجه الإمام إلى المصلّين وللمرّة الرابعة اشتغل الجمع الغفير بذكر اللّه تعالى، وهذه المرّة كأنّ المصلّين يرومون تقديم الشكر والثناء للّهتعالى على توفيقهم للتوبة والإنابة وأنّ رحمته الواسعة شملتهم فى هذا المكان ومنحتهم فرصة اخرى ليقدموا فروض الولاء والطاعة والعبودية إلى ساحة كرمه وجلالته السيرة المباركة، ص: ۱۷۵ ويستغفرون من ذنوبهم ويسألونه العفو والصفح عن خطيئاتهم، بذلك ارتفعت أصوات الجمع «الحمد للّه» مائة مرّة. لقد ملأ الحمد والشكر للّهولما تفضل به من كرم وعفو وجود جميع المصلّين الذين كانوا يشكرون اللّه تعالى بقلوب مليئة بالعشق والحبّ الخالص ونفوس منكسرة ومذعنة ومعترفة بالخطيئة والذنب. وبعد الانتهاء من الاذكار الأربعة هذه جلس المصلّون ليستمعوا إلى الإمام وهو يخطب خطبة صلاة الاستسقاء، فقال:

خطبة صلاة الاستسقاء:

بسم اللّه الرّحيم الرّحمن الحمد للّهربّ العالمين وصلّى اللّه على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطاهرين المعصومين لاسيّما بقية اللّه المنتظر أرواحنا فداه. إنّ إحدى السنن الإسلامية المهمّة إقامة صلاة الاستسقاء عند الجفاف والقحط، وكما تقدمت الإشارة إليه أنّ هذه الصلاة مستحبة باتفاق علماء الشيعة جميعاً، والمشهور لدى علماء السنّة الاستحباب أيضاً. ويمكن القول بشكل عام أنّ صلاة الاستسقاء كانت تقام فى أزمنة متفاوتة، ففى زمان النبى الأكرم خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه و آله، جاءت جماعة إليه وقالوا: «إنّ الناس يعيشون فى ضيق ومشقة ودوابنا تكاد أن تهلك من قلّة الماء». فقال النبى صلى الله عليه و آله: تعالوا معى، فتحرّك الجميع وخرجوا من المدينة وصلّى النبى ودعا اللّه تعالى فنزل مطر كثير، ثم قال: لو كان أبو طالب حياً الآن لفرح من ذلك. وقال الناس: «ماذا تعنى يارسول اللّه؟». السيرة المباركة، ص: ۱۷۶ فقال أميرالمؤمنين على عليه السلام: «لعلك تريد شعر أبى طالب هذا»: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل يلوذ به الهُلّاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمة وفواضل قال النبى الأكرم صلى الله عليه و آله: «نعم، لهذا أردت» «۱». وللمرحوم صاحب الجواهر فى هذا المورد كلاماً شيّقاً جدّاً حيث يقول: «والذى ينبغى للناس إذا ظهرت مخائل الجدب والغلاء أن يفزعوا إلى اللّه تعالى، ويلحّوا فى الدعاء ليلًا ونهاراً سرّاً وجهاراً عن صدر نقى وقلب تقى وإخبات وإخلاص خوفاً وطمعاً، فانّ ذلك يحرك سحاب الجود، والمناجاة سبب النجاة، وبالاخلاص يكون الخلاص». ويضيف صاحب الجواهر إلى ذلك بقوله: «وينبغى أن يكون الدعاء بعد التوبة والاقلاع عن المعصية ورد المظالم واخراج الحقوق والتواصل والتراحم والمواساة والتصدق، فانّ ذلك أنجح فى المطلب وأسرع إلى إجابة الربّ عزّ شأنه. ويقول أيضاً: ومن أعظم الأسباب فى ذلك، التوبة والاستغفار، فإنّهما الماحيتان للذنب الذى هو السبب الأقوى فى ظهور الغلاء والجدب» «۲». وقد ورد عن أميرالمؤمنين على عليه السلام أنّه قال فى خطبة له: «إنَّ اللَّه تَعالى يَبْتَلى عِبادَهُ عِنْدَ ظُهُورِ الْاعْمالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَراتِ وَحَبْسِ الْبَرَكاتِ وَإغْلاقِ خَزائِنِ الْخَيْراتِ لِيَتُوبَ تائِبٌ وَيَقلَعَ مُقْلِعٌ وَيَتَذَكَّر مُتَذَكِّرٌ وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ وَقَدْ جَعَلَ اللَّه تَعالى الْاسْتِغْفارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ ...» «۳». أيّها الأخوة والاخوات الأعزاء الذين اجتمعتم فى هذه الصحراء وإلى السيرة المباركة، ص: ۱۷۷ جوار بيت اللّه وإلى جوار بيت صاحب الزمان الإمام المهدى (عجّل اللّه تعالى فرجه الشّريف) وربّما يكون هذا الجفاف بنفسه رحمة إلهية للناس. ربّما كان هذا

الجفاف ذريعة لتتوجهوا جميعاً للتوبة والاستغفار ووسيلة إلى أن تتحركوا جميعاً من موقع تطهير قلوبكم من الذنوب والخطايا. إلهنا! لقد دعوتنا إليك وجئت بنا إلى هذا المكان .. إلهنا! إنّ مجموعات كبيرة من هذا الجمع الغفير صائمين، فاذا كنت أنا مذنباً، فانّ من بين هذا الجمع قلوب طاهرة ونفوس منيبة إليك وتعيش الولاء والعشق لك ... إلهى! فى هذا المكان أطفال أبرياء ذو نفوس طاهرة ونقية، فاذا كنّا نحن الكبار مذنبين لا نستحق الرحمة فترحم على هؤلاء الأطفال ... «١». ربّنا! إنّنا جئنا إلى هذا المكان لنجدد معك العهد ونطلب من ساحة رحمتك وكرمك رفع البلايا والزلازل والجفاف وشرّ الأعداء عنّا وعن جميع المسلمين (آمين الحضّار). إلهنا! إنّنا جئنا باب بيتك لنعلن توبتنا، فأول شروط قبول الدعاء هو التوبة، ولنقل جميعاً عدّة مرات «إلهى العفو»، ثم أطلب من الأخ المداح أن يتقدّم بذكر عدّة جملات للتوسل والدعاء وندعو جميعاً من صميم القلب. لنضع أمام أعيننا جميعاً الذنوب التى ارتكبناها والخطايا التى احتطبناها على ظهورنا، ونتوجّه بعد هذه الصلاة وفى هذه الصحراء وفى هذا المكان المقدّس بقلوب مفعمة بالعشق والفضيلة ونقول: «إلهى العفو». وبعد أن انتهى سماحته من كلامه هذا توجّه الحاضرون باخلاص وبقلوب متحرقة السيرة المباركة، ص: ١٧٨ وعيون باكية وكرروا جملات الدعاء المذكور عدّة مرّات بتأثر بالغ وصوت عال، ثم إنّ أحد المدّاحين أخذ بقراءة جملات ومقاطع الدعاء والتوسل. وعاش جميع المصلّين أجواء عجيبة من التوجّه والالتفات إلى أهل البيت الطاهرين عليهم السلام وتوسلوا بباب الحوائج إلى اللّه على الأصغر الطفل الرضيع ابن الإمام الحسين عليه السلام وتذكروا المأساة والظلم الذى ارتكبه الأعداء بحق هذا المظلوم الصغير عليه السلام وانقلبت حالة الحاضرين وسيطرت على تلك الأجواء روحانية عجيبة. وبعد ذكر المصيبة رفع خطيب الصلاة يديه إلى السماء وقرأ هذا الدعاء: «اللّهُمَّ إنّا نَسْأَلُکَ وَنَدْعُوکَ بِاسْمِکَ الْعَظيمِ الأَعْظَمِ، الأَعَزِّ الأَجَلِّ الأَکْرَمِ، يا اللّهُ يا اللّهُ يا اللّهُ، يـا جَوادُ، يا کريمُ، يا جَوادُ يا کَريمُ، يا غَفّارُ، يا غَفّارُ، يا غَفّارُ، يَا مَنّانُ، يا مَنّانُ، يا مَنّانُ، يا مَنّانُ، يا مَنّانُ، يا ذَالْجُودِ وَالْاحْسانِ، يا حَميدُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ (آمين الحضّار)، يـا عـالِ بِحَقِّ عَلِيٍّ (آمين الحضّار)، وَيا فاطِرُ بِحَقِّ فاطِمَةَ (آمين الحضّار)، وَيا مُحْسِنُ بِحَقِّ الْحَسَنِ (آمين الحضّار) وَيا قَديمَ الْاحْسانِ بِحَقِّ الْحُسَيْنِ (آمين الحضّار) اللّهُمَّ اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا (أربعة مرّات)، اللّهُمَّ اسْتُرْ عُيُوبَنا (ثلاثة مرّات) وَانْشُرْ عَلَيْنا رَحْمَتَکَ، إنَّکَ أَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَميدُ، اللّهُمَّ نَزِّلْ عَلَيْنا غَيْثاً مُبارَکاً». إلهنا! ندعوك بذلك الدعاء المعروف، فمن دعاك به استجبت دعاوه، ونقول: «اللّهُمَّ، انّا نَسْئَلُکَ بِفاطِمَةَ وَأَبيها وَبَعْلِها وبَنيها «١»، أنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمّدٍ وَأَنْ تُرسِلَ عَلَيْنَا السَّماءَ مِدْراراً وَأَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا غَيْثَاً مُبارَکاً. انَّکَ عَلى کُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ وَعَجِّلْ فى فَرَجِ وَلِيِّنا صاحِبِ الْعَصْرِ وَالزَّمانِ». السيرة المباركة، ص: ١٧٩ بعد الانتهاء من الصلاة أخذت جموع الناس بالتفرّق والعودة إلى مدينة قم المقدّسة بينما بقيت جماعة اخرى فى ذلك المحل للاستفادة أكثر من ذلك الجو المعنوى والروحانى الساحر وتوجّهوا إلى مسجد جمكران لأداء صلاة الإمام صاحب الزمان (عجّل اللّه تعالى فرجه الشّريف) والاشتغال بالذكر والدعاء والتوبة والاستعفار وطلب نزول المطر. أمّا ما بقى من صلاة الاستسقاء هذه فهى القلوب التى تعيش حالة الاضطراب لجميع الناس الذين عادوا إلى بيوتهم فى انتظار استجابة الدعاء، وبقيت عيونهم القلقة تنظر إلى السماء بين اللحظة والاخرى يحدوها الأمل برحمة اللّه تعالى. ومرّت لحظات الانتظار الصعبة كأنّها أعوام متمادية ولكن تحقّق الوعد أخيراً، ففى أول ليلة السبت ومساء ذلك اليوم الذى اقيمت فيه صلاة الاستسقاء ظهر الرعد والبرق فى السماء وارتسمت على ملامح المؤمنين معالم الفرح السرور وانبعث الأمل فى قلوب الناس برحمة اللّه. أجل، فالسماء أعلنت عن انتهاء ساعات الانتظار والقلق والاضطراب، حيث ظهرت الغيوم برحمة اللّه تعالى وهطلت الأمطار الغزيرة على رؤوس الناس وأنعشت بذلك قلوبهم الظمأى وأروت الأرض اليابسة فاهتزت لها الأرض والنباتات طرباً وفرحاً بهذه الرحمة الإلهيّة الكبيرة، ولم يقتصر نزول المطر على مدينة قم بل شمل الكثير من المدن الاخرى وبذلك استجاب اللّه تعالى دعاء المصلّين وشملهم برحمته وكرمه. إلهنا! نحمدك ونشكرك على كل هذا اللطف والكرم والفضل ونسألك أن تدخلنا دائماً فى ساحة رحمتك ورضوانك.

١۶ التوجّه الدائم والذكر المستمر

اشارة

إنّ كثرة المشاغل وتنوّع الأعمال والنشاطات اليومية تعتبر آفة لدوام الذكر واستمرار حضور القلب، فلو لم يتحرك الإنسان منذ السحر بشدّ أدوات العزم على السير فى خط الإيمان والانفتاح على اللّه ولم يعقد جوانحه على الالتزام بخط العبودية والمسؤولية: «اشدُدْ على العزيمة جوانحى» «۱» ولم يعمل على تبديل جميع أوقاته وأفعاله وسلوكياته رغم كثرتها وتنوعها إلى «وِرد واحد» ولم يتجه فى حركاته وسكناته إلى جهة واحدة «اسئلك ... حتّى تكون أعمالى وأورادى كلّها ورداً واحداً» «۲» فانّ المشاغل اليومية للإنسان من شأنها اسدال ستار النسيان والغفلة على واقع الروح أمام بصيرة القلب فيحرم السالك بذلك من أجواء الحضور: «وحالى فى خدمتك سرمداً» «۳» بل إنّ القلوب الطاهرة أيضاً تتأثر وتتلوث ويصيبها نوع من الظلمة والدرن بسبب الأعمال والمشاغل اليومية بحيث إنّ صاحب أطهر قلب فى البشرية وهو الرسول الأكرم يقول: «إنّه ليُران على قلبى ...» «۴». وبديهى أنّ الإنسان السالك ينبغى عليه من أجل نجاة روحه من هذه الظلمة وشوائب المشاغل الدنيوية وتحصيل «الوحدة» و «الاستقامة» و «وحدة الورد، ودوام التوجه والحضور»، أن يتحرك على مستوى الوقاية من جهة والعلاج من جهة اخرى، أمّا الوقاية فتكون باجتناب الحضور فى مجالس العاطلين والاشتراك معهم فى محافل اللهو والابتعاد عن الأفعال والأقوال المهملة واللغوية، بل يتحرك على مستوى ضبط حالاته وملكاته السيرة المباركة، ص: ۱۸۲ النفسية، والسير فى خط التوجه والإيمان دائماً والاهتمام بمحاسبة النفس على كل صغيرة وكبيرة والعمل على دوام الذكر والاستعاذة باللّه من الاهواء والوساوس الشيطانية، ويراقب حالته لئلا تجمح به مطية الهوى فى منزلقات الخطيئة والانحراف وتسول له نفسه اتباع الظواهر البراقة بشكل خادع لينحرف فى مسيرته المعنوية الصاعدة. وأمّا علاج هذه الحالة فأن يداوم المرء على الاستغفار كما ورد فى الحديث الشريف عن رسول اللّه أنّه قال بعد الحديث المذكور آنفاً: «وإنّى لأستغفر بالنّهار سبعين مرّة» «۱» فيطلب السالك من اللّه تعالى: «مُدْرِكَ كلِّ فوت» «۲» العفو والمغفرة سبعين مرّة وأكثر ويسعى لجبران وتدارك ما فاته من الأعمال الصالحة. إنّ الأشخاص الذين عاشوا مع سماحة الاستاذ وأنسوا به ولاسيّما فى أسفاره، وإلتفتوا إلى التوجه الدائم لسماحة الاستاذ وحالة الحضور الدائم واهتمامه بالوقت وعدم اهماله للعمر وقضائه فى جلسات غير مثمرة، وعدم تسامحه فى قضاء الوقت فى الامور العبثية وغير الهادفة.

اجتناب الجلسات غير المثمرة:

بالرغم من أنّ سماحة الاستاذ يتمتع بحافظة قوية وذوق جميل يمنحه القدرة على أن يكون مجلسه فى السفر والحضر مقترن بأنواع اللطائف والظرائف المفرحة وبالتالى يثير مجلسه السرور والنشاط فى قلوب الجالسين فلا يشعرون بالتعب والضجر فى حالات السفر وما يتضمنه من أتعاب ومشاكل، إلّاأنّ الاستاذ فى نفس الوقت يتجنب الحركات والأعمال الافراطية وغير الهادفة من جهة، ويهتم بعنصر الانضباط فى جميع الأعمال من السيرة المباركة، ص: ۱۸۳ جهة اخرى، ممّا يسبب أحياناً بعث حالة الانزعاج والكدورة لبعض الاخوة والأصدقاء، لأنّ اهتمامه بالأمر ومحدودية الوقت، وكثرة مشاريعه الفكرية والتحقيقية واهتمامه من جهة اخرى بالتأليف من أجل خدمة الدين والنهوض بالمجتمع الإنسانى، يؤدّى إلى أن لا يقبل الاشتراك فى جلسات اعتباطية أو دعوات للضيافة إلّابعد تعين وقت البداية والنهاية لهذه الجلسات والدعوات، مثلًا يقول: «إنّ الوقت الذى تستغرقه الضيافة من البداية والنهاية مع جميع المقدّمات وتناول الطعام ينبغى أن لا يستغرق أكثر من ساعة واحدة». وقد تجلّى هذا الاهتمام بالوقت وتجنب اهدار الوقت والزمان فى البحوث العلمية غير المثمرة أيضاً، ولذلك فانّ سماحته يذكر فى كتابه القيم «القواعد الفقهية» فيما يتعلق بالبحوث غير الهادفة وغير المثمرة لدى الاصوليين والفقهاء (بعد بيان امتيازات الفقه الشيعى وافتخار علماء الشيعة فيما يتعلق بتدوين علوم أهل البيت الطاهرين عليهم السلام وما حظى به الفقه والاصول وعلم الحديث والرجال لدى الشيعة من العمق والسعة) ويقول: «لكن مع الاسف أنّ هذا التوفيق العلمى

الكبير اقترن بنقائص مهمّـة نشأت من عنصـر الافراط أو التفريط، لأنّنا نرى وجود مسائل كثيرة لاسيّما في علم الاصول قـد اختلطت مع مسائـل مفيـدة اخرى ولا ـ يترتب عليهـا أى ثمرة معقولـة ومعتبرة، والعجيب أننا نرى زيادة هـذه المسائل غير المثمرة في كل يوم بحجّة كشف الحقائق واتساع مساحة هذا العلم، وبهذه الزيادة يمكننا أن نتوقع لهذا العلم مسـتقبلًا غامضاً ومظلماً». ثم يستعرض الاستاذ موارد عديـدة من هـذه المسائل الخاويـة في علم الاصول، ويشـير إلى أنّ البعض تمسك لاظهار ثمرة عمليـة لمثل هذه المسائل بمسألة النذر وأنّ المكلّف قـد ينـذر أمراً معينـاً يرتبـط ببعض مسائـل العلوم المختلفـة، ولكنّ أى عاقـل لا ـ يجـد في نفسه ضـرورة طرح جميع هـذه المسائـل في علم الا ـصول، ويشـير الاسـتاذ أيضـاً إلى عنصـر الخلط في عمليـة الاسـتدلال على المسائل الاصوليـة والفقهيـة بين الامور الحقيقيـة والامور الاعتبارية ويقول: السـيرة المباركة، ص: ۱۸۴ «فصارت هـذه الامور وأمثالها تفنى مـدّة طويلـة من أحسن أيّام شـباب طلّـاب العلم وشـيئاً كثيراً من نشاطهم العلمى وقواهم الفكريـة وتمنعهم عمّا هو أهم وأنفع، فاصـبحت هـذه المشـكلة بلاءً للعلم وأهله، ولهـذا وغيره صارت أبحاثنا الفقهيـة اليوم تـدور غالباً حول أبواب العبادات وشـيء طفيف من المعاملات وبقيت سائر المباحث القيمة متروكـة ومهجورة إلّاعنـد الأوحـد من العلماء الأعلام. ومن العجب أنّ كثيراً من الباحثين مع علمهم بجميع هـذه الامور إذا اشـتغلوا في البحث لا يملكون أنفسهم عن متابعة الباقين، نسأل اللّه تعالى ونبتهل إليه سبحانه أن يبعث أقواماً ذوى عزائم راسخة يقومون بأعباء هذا الأمر ويهـذّبون علوم الـدين وينفون عنها هـذه الزوائـد، ويهدون طلّاب العلم إلى سواء السبيل، ولست أنسـى أنّ بعض الاساتذة الكرام يرى أنّ التعرف على مثل هـذه المسائل لا يخلو عن شـبهة شـرعية، ولعل ذلك بملاحظة ما نرى من أنّ الإسـلام اليوم في أشدّ الحاجة إلى العلماء الـذابّين عن حوزته بعلومهم النافعة، فصـرف الوقت في غيرها يمنع عن هذه المهمّة» «۱». والملتفت للنظر أنّ بعض أصدقاء «۲» الاسـتاذ وأصـحابه يؤيدون حالة الاسـتاذ هذه في اجتنابه الجلسات غير الهادفة التي لا تنفع شـيئاً ويرون أنّ ذلك يعود إلى سـنوات مبكرة من حيـاة الاسـتاذ ويقولون: «لقـد كان الاسـتاذ في أيّام التحصـيل يمضـى الوقت إمّا في التعلّم أو التعليم أو بالمطالعـة أو الكتابة وكـان يسـتفيد من وقته وعمره بأفضـل صورة، فلا ـ يشترك أبـداً في مجـالس اللهو والمزاح وأمثال ذلك، بل كان يتحرك بجديـة في تحصيل العلم والاستفادة من طاقاته وأوقاته في سبيل خدمة العلم والدين وايصاله إلى الآخرين».

لطافة الروح والعلاقة بالشعر:

على أيّة حال، إنّ التوجه الدائم والذكر المسـتمر والمراقبة الروحية لدى الاسـتاذ ظهرت في أفعاله وحالاته بأشكال مختلفة، ومن ذلك ما يتمتع به الاسـتاذ من لطافة روحية وحالات عرفانية وعلاقة شديدة بالشـعر والشـعراء لا سيّما ما تمثله أشـعار «حافظ» وبعض الشـعراء المعاصـرين كأشـعار «شـهريار» من معانٍ ساميـة وأجواء معنويـة عاليـة (حيث نسـمع منه أبيات كثيرة في جلساته العلميـة وغير العلميـة) ويتحـدث الاسـتاذ نفسه في هـذا المجال ويقول: «إننى أشـعر بعلاقـة شديـدة بالشـعر والأدب، ولذلك فانّ قراءة الأشـعار والقصائد في دواوين الشـعر تمثل ترفيهاً لنفسـى لرفع التعب والارهاق من العمل، وعادةً أقوم قبل مطالعـة كتاب وقبل الاستراحـة وخاصـة بعـد الظهر باختيـار ديوان حافظ من بين قـدماء الشـعراء، ومن الشـعراء الجـدد ديوان شـهريار، وكلا الـديوانين أضـعهما إلى جانب سـريرى، فأقرأ مقداراً منهما وأشـعر بالسـكينة والراحة النفسية ثم يمتلكنى النوم. أرى أنّ حافظ يعد أقوى شاعر في فرع الغزل، وبغض النظر عن بعض الصـفحات والعبـارات الوقحـة فانّ في أشـعاره عبارات يمكن أن تُفسَّر بتفسـيرات عرفانيـة، ولكننى أنظر إلى قـدرة حافظ وخلاقيته في الشـعر وجمال بيانه العظيم في عالم التشبيه وما يتضـمنه من ملاحظات ظريفـة ودقيقة، وبالطبع أنّ قصائده العرفانية قوية جدّاً، بحيث إنّ الإنسان إذا كرر قراءتها عشـر مرّات فانّها لا تفقد صـفاءها وروحانيتها. أمّا شـهريار فيعد من بين الشعراء المعاصرين شاعراً مقتدراً جدّاً، ويتحرك في ظـل أجواء حافـظ ويعترف بنفسه بـأنّ اسـتاذه الحقيقى هو حافـظ، ولكن الانصـاف أنّه جاء بتجديـد كثير على المسـتوى الأدبى والشعرى، فعندما السيرة المباركة، ص: ۱۸۶ نقرأ شـعر شهريار نشعر بمزيد من اللطافة ولذّة الشاعرية ويشعر الإنسان معها بزوال الملـل والكسـل عن مرآة الروح. وشـهريار بـالطبع كـانت لحياته مراحل مختلفـة وانعكس ذلك على أشـعاره، فأحياناً نقرأ في أشـعاره

وقصائده أبياتاً متسافلة ومنحطة من الناحيةالدينية، والواقع أنّ مثل هذه القصائد كانت نتيجة ضغط المحيط الاجتماعى والثقافى، ولكن على أيّة حال كانت عاقبته إلى خير ورحل من الدنيا بعاقبة حسنة وخلّف وراءه قصائد وأشعاراً جيدة، وأجد فى نفسى ارتباطاً وثيقاً بأشعاره». السيرة المباركة، ص: ۱۸۷

۱۷ خلوص النيّة «۱»

اشارة

إنّ خلوص النيّة من الخصال التى تقدّم الكلام عنها فى البحوث السابقة تحت عنوان «الاستقامة والجدّية»، وقد وردت هذه الخصلة فى القرآن الكريم على أساس أنّها أحد ركنى التقدم والتكامل فى جميع الامور وأداة مهمّة للعبور من الازمات والمآزق والوصول إلى «السُبُل» الإلهيّة: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» «۱». تتحدث هذه الآية الشريفة عن عنصرين من عناصر الحركة فى خط الإيمان والتكامل المعنوى وهما: (جاهدوا) واخلاص النيّة (فينا ...) وبهذين الركنين الأساسيين يتمكن الإنسان من تحصيل الامدادات الغيبية والهداية المعنوية فى مسيرته نحو الكمال الإنسانى، وقد تحدّثنا عن عنصر الإستقامة والجدّية للاستاذ فى الفصول السابقة، وفى هذا الفصل نتحدّث عن مقام اخلاص النيّة لسماحته فى ميدان التحصيل العلمى والتدريس والتأليف منذ بداية ورود الاستاذ إلى هذا الميدان، ومن جملة النقاط «۲» التى يركز عليها أصحابه هى: هذه الحقيقة، ويقولون: السيرة المباركة، ص: ۱۸۹ «فى نظرى أنّ الامور التى ساعدت سماحته على الرقى والسير فى مدارج الكمال المعنوى والعلمى ونيل الامداد الغيبى والمعونة الإلهيّة بل أهم النقاط فى حياته، هو اخلاصه المعنوى وارتباطه الوثيق باللَّه تعالى».

رمز النجاح والموفقيّة:

والملفت للنظر أنّ سماحة الاستاذ نفسه يتحدّث عن مسألة «اخلاص النيّة» بعنوان أنّها تجربة أساسية فى حياته بحيث يقرأ قوله تعالى: «وَ الَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» ويضعها نصب عينيه ليستمد منها ما يعينه فى مسيرته الخصوصية والاجتماعية ويستوحى من مضمونها ما يرسم له معالم الطريق، ويقول: «إنّ أحد الامور التى كانت بالنسبة لحياتى الخصوصية والاجتماعية مصدر إلهام، هذه العبارة القصيرة من الآيات القرآنية حيث تقول: «و الذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا» «۱» ، فتقرر هذه الآية الشريفة أنّ رمز النجاح والموفقيّة فى حركة الحياة يكمن فى أمرين: الجهاد والسعى الدائب (جاهدوا) واخلاص النيّة (... فينا)، وأشعر بالرغبة دائماً فى تجسيد هذه الآية فى مقام العمل والممارسة فلا يحالفنى التعب من السعى وبذل الجهد، وفى نفس الوقت أسعى لتكون نيّتى خالصة، لأننى أعتقد أنّ الهداية الإلهية تقوم على هذا الأساس، وأرى أنّ هذا المضمون يمثل تجربتى الأساسية فى حياتى، وكذلك أعتقد أنّ مقولة أميرالمؤمنين عليه السلام أيضاً مصدر إلهام فى حركة حياتى حيث أعيشها بجميع وجودى، وهى قوله عليه السلام: «كلّ شىء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه» «۲» فمسألة «الشهرة» تعتبر احدى المسائل التى سماعها السيرة المباركة، ص: ۱۹۰ من بعيد أعظم من عيانها، فعندما نقترب منها لا نرى فيها سوى مجموعة صغيرة من التعقيدات الذاتية، «المرجعية» لها رنين وابهة من بعيد، ولكنّها من حيث كونها مقاماً دنيوياً يحصل عليها الإنسان ليست كذلك حيث يراها هذا الإنسان بعد الابتلاء بها أنّها تمثّل دوامة من المشاكل والتعقيدات، إنّ العناوين الدنيوية براقّة من بعيد ولكنّها ليست كذلك عندما نقترب منها، بخلاف الآخرة والمسائل المعنوية التى تكون رؤيتها عياناً أعظم وأهم كثيراً من سماعها». على أيّة حال فانّ البركات المعنوية لاخلاص النيّة وتجلّياتها المختلفة فى حياة الإنسان الخصوصية الاجتماعية والسياسية لا تكاد تخفى على أى شخص.

ملكة الحلم والتسلط على النفس:

وأحـد تجليّات هـذه الحالة المعنوية تتمثل فى ملكة «الحلم» ومداراة الناس والسيطرة على الأعصاب والنفس وحالة التواضع فى تعامل الإنسان مع مختلف أفراد المجتمع «من الطبقات الدنيا إلى الطبقات العليا»، هذه الملكة الحميدة لسماحة الاستاذ يتحدّث عنها أصحابه فى ذكرياتهم عن حالاته فى الأزمنة البعيدة والقريبة فيقول أحدهم: «لا أتذكر أننى رأيت سماحة الاستاذ منذ أن كنّا سوية تمتلكه حالـة الغضب والحِدّة فى تعامله مع الآخرين، بل كان تعامله يتسم بالصفاء والود والمحبّة دائماً، وأتذكر أننى كنت حاضراً فى صباح أحـد الأيّام حيث جاء إليه أحد الطلّاب يسأله بعض المسائل المشكلة فى درس الكفاية، فكان سماحته السيرة المباركة، ص: ۱۹۱ يخرج من غرفته ويجلس فى باحة المدرسة ويبدأ بالإجابة عن أسئلة الطلّاب وحلّ مشكلاتهم العلمية بالترتيب، لأنّه يتمتع بفكر ثاقب ودقيق لا يحتاج معه لحلّ المسائل هذه إلى مراجعة مسبقة للكتاب، فكان حاضر الذهن فى إجابته عن أسئلة الطلّاب ... ولا أتذكر أننى رأيته يوماً وبسبب تأخر الطلّاب عن الحضور، أو تأخر أو تقدم وقت تناول طعام الغداء تمتلكه حالة الغضب والانفعال» «۱». ويقول آخر: «لقد كان تعامله مع الآخرين يتسم بالمودة وخاصة مع طلّابه وأصحابه، فقد كان يمتلك حالة السكينة والهدوء النفسى، ولا أنسى أننى كنت نائماً فى احدى الليالى فجاء أحد الطلّاب وطرق الباب، وأيقظه من نومه وسأله عن مسألة فى كتابه الدراسى، فشعرت بالامتعاض واعترضت عليه على هذا العمل فقال لى الاستاذ: إنّ هذا طالب ولديه إشكال علمى، ومن واجبنا إرشاده ومساعدته، وكان المرحوم آية اللّه المحقّق الداماد فى أثناء الدرس عندما يكثر الطالب من الإشكال فإنّه يلمزه أحياناً مُعرِّضاً به، وفى أحد الأيّام أخذ أحد الطلّاب يكثر من السؤال والإشكال فى بحث المحقق الداماد، فما كان من المرحوم المحقق وطبق عادته إلّاوتحدّث بكلمات أحسّ فيها ذلك الطالب بأنّه يُعرِّض به، فتألم من استاذه وجاء إليّ وقال: لقد شعرت بالإهانة من كلام الاستاذ حيث أزال حرمتى واحترامى أمام الطلّاب، فتحدّثت مع المحقق الداماد بذلك فقال لى: قل له أن يكون مثل (مكارم) فاننى كلما تعرضت إليه بكلام جارح أو بكلام يتضمن استهزاءً فإنّه يتقبّله بسعة صدر وبشاشة فى الوجه ولا يشعر بالامتعاض فى نفسه، فهذه السيرة المباركة، ص: ۱۹۲ شهادةمن المحقق الداماد على حسن خلق الاستاذ» «۱». ويتحدّث سماحة الاستاذ بدوره ويقول: «من الامور التى نواجهها فى حياتنا الاجتماعية (وخاصة فى الظروف الحالية) كثرة حوائج الناس وتوقعاتهم من رجل الدين، ولست أشعر بذلك لوحدى بل إنّ كل من يستلم مقاماً معيناً فانّ سيل التوقعات وطلبات المحتاجين وأحياناً غير المحتاجين تتجه إليه، وهذه التوقعات من السعة بحيث أننا لا نتمكن من الاستجابة لها بالإمكانات المتواضعة التى لدينا، فهنا لابدّ من العمل بالحديث النبوى المعروف: «إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم» «۲» فالكثير من الأحيان نتوجّه للمراجع والسائل ونقول له: «أرجو المعذرة فإننى لا أستطيع حل مشكلتك للسبب الفلانى وأنا أشعر بالخجل لذلك»، وأسعى لكسب ودّه ورضاه بأمثال هذه الكلمات، وأتذكر نصيحة من المرحوم آية اللّه كلبايكانى فى هذا الصدد حيث قال: «لا تحرموا المراجعين من قضاء حاجاتهم ولو بمقدار قليل» فأنا أسعى للعمل بهذه النصيحة فى حياتى وأعمل على تجسيدها فى الواقع والممارسة وقد رأيت ثمارها وثمار العمل بها أيضاً».

الالتزام بالاصول واجتناب الافراط والتفريط:

من تجليات الأخلاص لدى سماحة الاستاذ هو التزامه بالاصول والمبادىء واجتناب الافراط والتفريط فى جميع الامور وعدم التضحية بالضوابط والمقررات لحساب المصالح السيرة المباركة، ص: ۱۹۳ الشخصية، ومن الامور الشيّقة واللطيفة أنّ سماحة الاستاذ مع كل ما يتمتع به من ذوق وفن وعاطفة جيّاشة فإنّه لا يتخطى الحدود ولا يتجاوز الضوابط والاصول، وأحد المصاديق المهمّة والبارزة لهذه الحالة التزام سماحته فى استظهاراته واستنباطاته التفسيرية والفقهية بالآيات والروايات الشريفة، وكانت لى عبرة كبيرة عندما جئت إليه لأول مرّة وعرضت عليه بعض التأويلات الذوقية والجميلة حسب الظاهر، إلّاأنّها خارجة عن إطار القواعد والقوالب الأدبية واللفظية وقال لى: «إذا تقرر أن نقبل ونتحدّث بكل كلام برّاق وجميل وإن كان خلاف الظاهر، وتكون الألفاظ فى أيدينا كالشمع نتصرف بها كما نشاء فانّ ذلك يؤدّى إلى الفوضى الأدبية ولا يثبت حجر على حجر فى دائرة الاستظهار الأدبى».

اعتدال السليقة والسلامة الفكرية:

على هـذا الأساس فانّ من خصائص وملاكات سـماحة الاسـتاذ: اعتـدال الـذوق وسـلامة الفكر واتقان الرأى، فبالنسـبة إلى حسن ذوق الاسـتاذ فهو حـديث الخـاص والعـام من النـاس، هـذه الخصـلة التى يتحـدّث عنها الاسـتاذ نفسه على مسـتوى كونها أحـد المعايير فى تشـخيص الروحانى المفيـد ورجل الـدين المخلص فيقول: «إنّ الروحانى الجيد ليس هو الذى يتمتع بالقابليات الجيدة والتقوى اللازمة فحسب، بـل مضافاً إلى ذلـك ينبغى أن يتمتع بحسن الـذوق أيضـاً، فلاـ يمكننـا أن نتوقع خيراً من العـالم والكبير الـذى يتمتع بـالورع والتقوى والعلم فقط ولكنّه معوج الذوق والسليقة».

العبرة بباطن العمل!

ومن تجليـات الاخلاص الاخرى، النظر إلى باطن العمل وبالتالى فانّ الإنسان يتحرك وهو السـيرة المباركـة، ص: ۱۹۴ ينظر إلى البعيد ويخطط لمسيرة حياته لأهـداف بعيـدة، إنّ العجلـة والتسـرع من جهـة، وعدم الاعتماد على النفس من جهة اخرى تعدّ من الآفات التى يبتلى بهـا البعض والتى تعتبر مانعـة من الاسـتمرار فى الكثير من الأعمال والنشاطات، بخلاف الاعتماد على النفس والابتعاد عن العجلة والتسـرع فانّ الإنسان بإمكانه حينئـذٍ من فتح القلاع وازالة الموانع مهما كانت قوية ومسـتحكمة فى الظاهر، وعلى هذا الأساس نرى أنّ الاسـتاذ كثيراً مـا يكرر فى حـديثه هـذه العبـارات: «من المحـال أن نصـل إلى طريق مسـدود» أو «إنّ طول الزمـان كفيل بالكشف عن الحقائق، وإن لم يتحقق ذلك فى زماننا فسوف يتحقق بعد ذلك» أو «لا ينبغى الاصـرار على رؤية نتيجة أعمالنا فى زمان حياتنا، بل لا ينبغى الاصـرار على الانتهاء من العمل الصالح فى حياتنا لنرى ثمرته وآثاره الطيبة فى حياتنا، فعلينا فتح الطريق وعلى الآخرين إدامته!». بهـذا النمط من التفكير نجـد أنّ الاسـتاذ وبكامل الشـهامة والأمل بـدأ بإنجاز مشاريع علمية مهمّة من قبيل «التفسـير الأمثل» و «نفحات القرآن» و «نفحات شـرح نهـج البلاغة» وذلك لتربية الجيل المعاصـر بدون الاحساس بالتعب والملل، لا سـيّما عندما يلاحظ التحوّلات الروحيـة والفكريـة فى عمليـة تربيـة الناس (التى تعتبر الهـدف الأصل لرجل الدين) فمن الضـرورى للمربى أن يأخذ بنظر الاعتبار هذه التحوّلاـت التدريجيـة فى واقع الإنسان، ويأخـذ بنظر الاعتبار عامل الزمان فى بناء شخصـية الإنسان وفكره، فلا يسـمح للتعب أن يتوغل إلى قلبه فى عمليـة التبليغ الـدينى ولا يكون مثل بعض الناس الذين يردون الميدان بكامل الشوق والحرارة ولكنّهم بمجرّد أن يواجهوا بعض المشاكل والتعقيـدات أو عدم الاهتمام فإنّهم يتركون الميدان ويصـيبهم اليأس والقنوط من هداية الشـباب والجيل المعاصـر!. إنّ التأليفات العديدة والمتنوعة لسماحة الاستاذ فى المجالات الاجتماعية والأخلاقية، وطول المدّة فى عمله فى هداية الجيل الحاضر شاهد حى على هذا المدّعى.

بذل الجاه فى سبيل اللّه:

ومن تجليـات اخلاـص النيّـة، بـذل الجـاه والمكانـة الاجتماعيـة والسـمعة فى سبيل اللّه، فربّما يتحـدّث الشـخص أو يكتب عن التعاليم الإسـلامية والمدينة الفاضـلة وقدرة الدين على إدارة المجتمع الإسـلامى وينتقد النظريات المادية والوضـعية والأفكار الشرقية والغربية، ولكنّه فى مقـام العمل غير مسـتعد لأن يضـحى بشخصـيته العلميـة والحوزويـة اطلاقاً ولا مسـتعد لأن يبـذل قطرة واحـدة من ماء وجهه ويتحمل أنواع الاتهامات وأشـكال السـخرية والاستهزاء فى هذا السبيل، أو يكون مستعداً للخروج من قوقعته والتحرر من اطار الدروس العلميـة الجامـدة والمبـاحث الأكاديميـة والفلسـفية إلى أجـواء العـالم الخـارجى وللارتبـاط المباشـر مـع جيـل الشـباب والتعرف على إشـكالاتهم وأسـئلتهم وما يـدور فى أذهانهم عن المـدارس الفكرية والثقافات المعاصـرة وتكون لديهم رؤية جامعة ومنسـجمة لتعاليم الـدين وقـدرته على الإجابـة عن علامـات الاسـتفهام والإشـكاليات التى يفرضـها الواقع المعاصـر. كـل هـذه من أجـل أنّ الإجابـة عن

الشبهات والمعضلات التی یعیشها الشباب المعاصر والتعرف علی مقتضیات الزمان والمکان تقترن بصعوبات کثیرة وتجعل الشخص فی معرض التهمة من قبل المغرضین وقوی الانحراف، فهذه الحالة لا تتحقق فی واقع الإنسان إلّا من کان ذا حظ وافر من الاخلاص والعشق للدین والدفاع عن حدود الشریعة السماویة، وهذه الحالة نجدها متجسدة لدی استاذنا من قدیم الأیّام حیث لا یبخل بشیء فی هذا السبیل ولا یأبه ببذل سمعته ومکانته العلمیة والحوزویة من أجل الدفاع عن الدین والمحافظة علی عنصر الإیمان لدی الناس، وعلی هذا الأساس خرج سماحة الاستاذ من إطار الجو السائد فی الحوزة وتجاوز مقولة الشؤونات الحوزویة واستطاع أن یکتب أکثر من مائة وعشرین کتاباً تهتم برفع إشکالات الشباب وتربیة الجیل الصاعد. إنّ ما تقدّم آنفاً کان یدور فی ما یتعلق بشؤون الحوزة وفی إطار الأجواء المدرسیة، وأمّا خارج دائرة الحوزة، أی فی واقع المجتمع، فنری أیضاً أنّ سماحة الاستاذ یعیش الشهامة السیرة المبارکة، ص: ۱۹۶ والفتوة فی روحه من خلال استعراض إجمالی لمسیرة التحوّلات والحوادث الواقعة قبل الثورة وبعدها وفی ما یتعلق ببعض الأشخاص أو التیارات الفکریة المنحرفة، إنّ هذه التیارات الفکریة وبسبب امتدادها فی عواطف الناس والشباب والمثقفین خاصة، وأحیاناً لدی بعض العامة من الناس یحتاج التصدی لها ومواجهتها إلی شیء من المخاطرة بالوجاهة والسمعة الاجتماعیة، وبالطبع فانّ مقتضی الاحتیاط وسیاسة المحافظة وحمایة المکانة الاجتماعیة أن یسکت الإنسان ویتخذ موقف الصمت والتقیة وبدوافع من وساوس شیطانیة: «لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ» «۱» وأوهام تلبس ثوب العقل أو الحکم الشرعی بلزوم المحافظة علی حریم الشأنیة والمکانة الاجتماعیة، وبالتالی یؤدّی هذا الموقف المتماهی مع خط الانحراف إلی کتمان الحقیقة وعدم التصدی إلی البدع والانحرافات فی الأجواء الثقافیة والاجتماعیة ویکون مصداق: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ، أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ» «۲». إنّ وجدان الاستاذ الیقظ وروح الاخلاص فیه وعشقه للدفاع عن حریم الدین أدّی به إلی الاقدام فی میادین التبلیغ والارشاد وهدایة الجیل الحاضر ونجاته من براثن قوی الانحراف وأهل الضلال بالرغم من تعرضه لأنواع التهم والسخریة للمغرضین، إلّاأنّه لم یکن یبخل بأی شیء من وجاهته واعتباره وشخصیته فی سبیل تحکیم مواقف الدین وهدایة المسترشدین. ولا شک فی أنّ هذه الجرأة والشهامة وعدم الخشیة من افرازات الموقف یعتبر فضیلة وملکة ثانیة لا ینالها إلّاذو حظ عظیم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ ... وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ» «۳».

الدفاع المعقول عن الثورة والحکومة الإسلامیة:

والآخر من تجلّیات الاخلاص للّههو دفاعه المعقول عن الثورة والحکومة الإسلامیة وسماحة القائد. ورغم أنّ حفظ النظام الإسلامی یعدّ من أهمّ الواجبات ویعدّ عنصر القیادة الدینیة بمثابة عمود خیمة لهذا النظام، ولکن فی نفس الوقت نری أنّ البعض یرجحون الصمت وعدم الدفاع عن هذا الموضوع الحساس فی أحرج اللحظات وأشدّ الازمات بحجّة أنّ ذلک مخالف للشأنیة الحوزویة، فی حین أنّ البعض الآخر یتحرک فی خط الافراط ویدافع عن النظام الإسلامی بدون ظوابط وبدون مراعاة الحدود المنطقیة المعقولة حیث تذکرنا هذه الحالة بما کان یصنعه البعض من التملّق الزائف لرموز النظام السابق. إنّ الدفاع المعقول والحکیم والمقترن بالنصیحة والارشاد المشفق بحاجة إلی حالة من الاخلاص والانصاف والفتوة الدینیة والاعتدال الروحی وأن یتحرک الإنسان فی هذا السبیل بعیداً عن الملاحظات الاعتباریة والنفسانیة. وبحمد اللّه نری أنّ الاستاذ (دام ظلّه) یتمتع بهذه التوفیقات الربانیة أیضاً، ویتحرک عادة فی دفاعه عن النظام الإسلامی والمسؤولین فی الحکومة الإسلامیة من موقع العقل والمنطق ویقترن ذلک عادة بالتذکر المشفق والنصیحة المخلصة للمسؤولین بحیث لا یکاد یخفی هذا الأمر علی أحد من أصدقائه وطلّابه.

اجتناب التکلّف فی الکتابة:

ومن تجلّیات الاخلاص لدی الاستاذ، ابتعاده عن استخدام العبارة المغلقة والجملات المبهمة وسائر التکلفات الوهمیة والاعتباریة فی

ميدان الكتابة والتأليف، والأفضل أيضاً أن نستمع فى هذا الموضوع إلى سماحة الاستاذ نفسه ليحدّثنا عنه: «إذا أردنا احراز الموفقية فى عالم التأليف والكتابة يجب علينا تعين السيرة المباركة، ص: ۱۹۸ المخاطب الأصلى لهذا الكتاب أو المقالات، فمن هو المخاطب فى هذا الكتاب؟ وكأنّ المخاطب أو المخاطبين عندما نكتب لهم كتاباً، نراهم ونكتب لهم ومن أجلهم، فلو أننا فقدنا المخاطبين حين الكتابة أو استبدلناهم بصورة عمدية بغيرهم فانّ تأثير ذلك سيكون سلبياً على محتوى الكتاب واسلوب الكتابة. * وتجربتى الاخرى فى هذا المجال هى أننا إذا أردنا أن نحصل على النجاح والموفقية فى الكتابة فلابدّ من الاهتمام والالتفات العميق والدقيق إلى مشاكل الناس ومسائلهم الفكرية وآلامهم النفسية، فاذا تحركنا فى هذا المسير وكانت كتاباتنا تعكس مشاكل المجتمع وآلام الناس فيها وتتضمن بيان الحلول التى تلامس هذه الأزمات وحل العقد الفكرية للأفراد فسوف يكتب لنا النجاح والموفقية وتكون كتاباتنا خالدة. * وتجربتى الاخرى فى هذه المرحلة أننى لم أكن أكتب شيئاً لا أعتقد به أو اواجه بعض التعقيدات الفكرية غير المحلولة، فالإنسان إذا اعتقد بشىء فإنّه يدافع عنه بكل وجوده، والمسألة التى يجد لها الحل المقبول فإنّه سيتحرك لبيانها وبيان حلها ببساطة وتكون كتابته لها من موقع الاخلاص والعمق الفكرى، وعلى هذا الأساس فاننى اوصى الاخوة أنّهم ماداموا يواجهون مسألة غير منحلة لديهم وما لم يعتقدوا بقضية فلا ينبغى أن يتحركوا على مستوى كتابتها وتدوينها. * وتجربتى الاخرى هى أنّ الكتّاب أحياناً يتورطون فى مشكلة تطويل المقدمات وبالتالى سيقع القارىء فى دوامة ومتاهة فى بحثه عن أصل المسألة، فيجب حذف المقدّمات الزائدة والتفريعات الاضافية وغير الضرورية والاكتفاء فى البداية بكلمة (بسم اللّه الرحمن الرحيم) مع مقدّمة السيرة المباركة، ص: ۱۹۹ قصيرة تتعلق بالدوافع لكتابة هذا الكتاب ثم الدخول إلى أصل المطلب والموضوع مباشرة، بالطبع ربّما تكون هناك مقدّمات لازمة فى بعض الموارد، ولكنّ الاهتمام بالمقدّمات والفروع يبعث على الملل والتعب فى نفس القارىء والكاتب. * وتجربتى الاخرى أيضاً وبنظرى مهمّة جدّاً هى أن نسعى للتحدّث مع الناس والمخاطبين بلغتهم ولسانهم، ونتجنب التفريعات الصناعية والملاحظات المغلقة والجملات المبهمة وغير المفهومة ممّا يؤدّى إلى خروج المكتوبة عن البساطة والسلاسة وبالتالى ستتعرض المكتوبة والكاتب إلى ضرر شديد، وطبعاً فالأذواق مختلفة، فالبعض يرى بأننا إذا كتبنا بأسلوب سهل فسوف يتصور الناس أنّ مستوى الكتاب أو الموضوع متدنى، فالأفضل كتابة الموضوع باسلوب مغلق وعبارات معقّدة ليتصور القارىء أنّ مستوى الموضوع عالٍ من الناحيةالعلمية. وأتذكر جيداً أنّ شخصاً أوصى أحد الاخوة بأن يسعى أن يكون ثلث كلامه فى المحاضرة غير مفهوم ليقال أنّ الشخص الفلانى يتحدّث بلغة علمية عميقة، وكذلك الحال فى عالم الكتابة والتأليف، فالبعض يرون هذه الرؤية أيضاً، ولكننى أعتقد أننا يجب علينا تحطيم هذا الصنم، فهذا الاسلوب يعتبر نوعاً من عدم الاخلاص فى المنهج، أو هو نوع من التضحية بالهدف من أجل بعض الملاحظات الشخصية والاعتبارات النفسانية، وطبعاً فانّ سهولة الكتابة وسلاسة المنطق ربّما تكون لها بعض اللوازم وتؤدّى إلى أن يقول البعض إنّ درس الاستاذ الفلانى بسيط وغير عميق، أو أنّ كتابه ليس بالمستوى المطلوب، ولكنّ التجربة أثبتت لى أنّ الناس المخلصين يستقبلون مثل هذا الاسلوب والمنهج فى الكتابة والبيان استقبالًا جيداً. السيرة المباركة، ص: ۲۰۰ إننى لن أقبل طيلة عمرى بهذه التوصية والنصيحة بأن أكتب باسلوب معقد وصعب أو ادرِّس باسلوب معقد، وقد رأيت نتائج إيجابية وبركات كثيرة على اسلوبى السهل والسلس، وليقولوا ما يقولون، مضافاً إلى أننى أرى أنّ التعقيد فى الاسلوب نوع من الشرك وعدم الاخلاص فى النيّة بحيث أننا نضحى بمصلحة الناس فى سبيل عناوين موهومة، فليس عيباً أن يكتب الشخص باسلوب سهل أو يتحدّث فى الدرس بأسلوب مفهوم، بل هذا الأمر بحدّ ذاته يعتبر فناً كبيراً، ولو أننى كنت أملك ما يكفى من الوقت فاننى سأقوم بإعادة كتابة الكتب الدراسية والعلمية المعقدة مثل (كفاية الاصول) بأسلوب عربى سهل بدون تغيير فى المضمون والمحتوى لُاثبت أنّ أعقد المتون وأصعب البحوث العلمية يمكن بيانها بأسلوب سهل ويفهمها الطلّاب بيسر وسهولة، وعلى أيّة حال فاذا كانت السهولة والسلاسة فى الكتابة أو التدريس عيباً فاننى أعترف بهذا العيب والذنب، ولكنّ التجربة أثبتت لى أنّ الموفقية والنجاح يترتبان على هذا المنهج، وكذلك يترتب عليه الاخلاص والثواب الإلهى، ولهذا السبب اوصى الاخوان الأعزاء أن لا يتورطوا فى هذه المسألة بالوسواس والنوازع النفسانية، فلو تمكّنوا من الكتابة أو

التحدّث فی المحاضرة بأسلوب سهل ومیسور فعلیهم أن یعتبروا ذلک من المواهب الإلهیة والنعم الربانیة».

التوکّل علی اللّه من منزلقات القلم:

لعلنا نتمکن من بیان أحد آثار وتجلیات اخلاص النیّة لدی الاستاذ بحالة «التوکّل علی اللّه» وعدم الوقوع فی مطاوی القلق من احتمال الخطأ والاشتباه علی مستوی الکتابة والتألیف والتحرک فی هذا المجال بشهامة وشجاعة، إنّ التوکلّ علی اللّه وتفویض الأمر إلیه السیرة المبارکة، ص: ۲۰۱ یضمن للإنسان سلامته الفکریة وما ینعکس عن هذا الفکر السلیم علی مستوی الکتابة والتألیف، وبالتالی یصون فکره وقلمه من الوقوع فی متاهات الخطأ والزیغ، واللطیف أن نستمع فی هذا المجال إلی سماحة الاستاذ نفسه لیحدّثنا عن هذا الموضوع: «إننی أعتقد بأن الکاتب مهما کان مقتدراً وعالماً وماهراً فی فن الکتابة فلابدّ أن یعیش حالة التوکّل علی اللّه تعالی وتفویض الأمر إلیه، لأنّه قد یصدر منه بعض أشکال الخطأ غیر القابل للجبران، وأنا بدوری أتحدّث عن هذه النعمة الإلهیّة الکبیرة من موقع قوله تعالی: «وَأَمَّا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ» «۱» أحیاناً ربّما یحدث أن أکتب موضوعاً أو ابین ملاحظة بشکل خاطیء وقد یکون ذلک الخطأ کبیراً، وأحیاناً یصل الکتاب إلی المطبعة، ولکن تحدث بعض الامور بحیث ننتبه إلی ذلک الخطأ ونعید الکتاب من المطبعة لإصلاحه، وأساساً فانّ تألیف کتاب مثل «التفسیر الأمثل» فی عشرین مجلداً لا یمکن أن یسلم من أخطاء کبیرة واشتباهات مهمّة من دون معونة إلهیّة وامداد غیبی. إننا نری بعض الأشخاص کتبوا کتاباً صغیراً ومع ذلک یبتلون بأخطاء مهمّة، وعلی أیّة حال ما لم یکن الشخص کاتباً فإنّه ربّما لا یصدق بهذا الکلام بدقة، فأنا أعیش حالة التوکّل وقد فوضّت أمری إلی اللّه تعالی وأعوذ به من الوقوع فی هذه الأخطاء والمنزلقات فی المستقبل أیضاً (إلهی لا تکلنی إلی نفسی طرفة عین أبداً)».

السرقة فی الکتابة من الأخلاق الذمیمة:

والآخر من تجلّیات الاخلاص لدی الاستاذ هو الابتعاد عن «السرقة فی الکتابة» حیث نری أنّ الاستاذ نفسه یشکو من ذلک أیضاً ویقول: السیرة المبارکة، ص: ۲۰۲ «فی احدی المرات وقع فی یدی کتاب جید وفیه مواضیع جمیلة عن عبادة اللّه، وبعد مطالعة الکتاب رأیت أنّ هذه القضایا والمواضیع معروفة لدیّ وکأنّنی کتبت فی السابق مثل هذه الکلمات فی کتاب «خالق العالم» ولکننی رأیت أنّ هذا الکتاب عبارة عن ترجمة لکتاب عربی، ثم انتبهت أنّ أحد الکتّاب العرب قام باقتباس مطالب کتابی ونقلها إلی العربیة من دون ذکر الاسم وطبعه باسمه، ثم إنّ المترجم الفارسی جاء ونقل الکتاب من العربیة إلی الفارسیة لأنّه وجده کتاباً جیداً وجاءت الترجمة شبیهاً لکتابنا الأصلی. وهناک قضایا کثیرة من هذه بأشکال مختلفة تورث الأسف وتبقی ذکریاتها المؤلمة فی الذهن، فصحیح أنّ الاقتباس من الکتب أمراً متداولًا ولکن الاقتباس له أیضاً حد، وصحیح أننا لا ینبغی أن نبدی رد الفعل لهذا العمل، ولکن لیس صحیحاً أن یقوم البعض بعمل بعید عن الانصاف کهذا، وربّما یتصور البعض أننی اقتبسته وسرقته من ذلک الکتاب العربی فی حین أنّ تاریخ طبع ذلک الکتاب متأخر عن طبع کتابنا بزمن کبیر، ونأمل أن نصل فی المستوی الأخلاقی إلی درجة أن لا نتوجه إلی هذه المسائل ویکون عالم الکتب والمؤلفات سلیماً من هذه الأعمال الذمیمة».

۱۸ التعبّد والخشیة من الحساب والمیزان

اشارة

بالرغم من أنّ الاستاذ، أوّلًا: قام بتدریس الکثیر من أبواب الفقه، وعمل علی استنباط جمیع المسائل الفقهیة المختلفة بهذه الطریقة، وثانیاً: کتب حاشیة علی جمیع العروة الوثقی للسیّد الیزدی قدس سره، وبهذه الطریقة أیضاً ألقی نظرة اجتهادیة علی جمیع الأبواب

الفقهيّة المذكورة فى العروة الوثقى (وبالنسبة إلى الأبواب الفقهية غير المذكورة فى العروة الوثقى فانّ الاستاذ قام بكتابة حاشية على تحرير الوسيلة للإمام الراحل قدس سره أيضاً، وثالثاً: قام بتأليف رسالته العملية «كتاب الفتاوى» بقلمه السيّال وبيانه الشيّق لمدّة سنتين، ومن هذا الطريق أيضاً ألقى نظرة فاحصة على جميع أبواب الفقه فى المرّة الثالثة ومستخرجاً بذلك آراءه وفتاواه الشخصية، والنتيجة هى أنّ الاستاذ قد قرأ الكثير من المسائل الفقهية ثلاث مرات على الأقل، ولكنّه مع ذلك يعيش حالة الحساسية الكبيرة والوسواس فى كثير من الاستفاءات الشرعية حيث يتعامل معها بصبر كبير وتأنٍّ فى عملية الاستنباط ويعيد نظره فى الأدلة والمدارك من النصوص الشرعية ويوكل أمر الإجابة عن المسألة لزمان آخر. وبديهى أنّ مثل هذه الحساسية تحكى عن تعبّد خاص وتدين قوى، وتعتمد على حالة من التقوى والخوف من الحساب والكتاب والميزان، إنّ مثل هذه الملكة والخصوصية تتجلّى بأنحاء وأشكال مختلفة فى حياة سماحة الاستاذ كسائر خصاله وخصوصيّاته الاخرى، ومن جملة ذلك «الوسواس فى الامور المالية ومصرف بيت المال ومصرف السهمين سهم السادة وسهم الإمام والاهتمام بتجنب معالم الاسراف والقصور والتقصير فى هذا الأمر».

الوسواس فى الامور المالية والانفاق من بيت المال:

توضيح ذلك: أنّه بغض النظر عن حساسية الاستاذ بالنسبة إلى حقوق الناس ودفع الديون المترتبة (التى كثيراً ما يقول الاستاذ: «إننى أحياناً أقوم بدفع دينى إلى الشخص مرتين» وقد شوهد الاستاذ مراراً يعمل على تصفية حساباته لجميع الأشخاص الدائنين قبل كل سفر حتى الأسفار القصيرة) وبالنسبة إلى الانفاق من بيت المال فانّ الاستاذ يمتلك حساسية كبيرة إلى درجة الوسواس من أجل ضبط الامور وعدم الاهمال فى هذا المورد. إنّ هذه الخصلة من شأنها أن تثير اعتراض الكثيرين نظراً لما يرونه من أشكال الاسراف والبذل والعطاء بدون حساب لدى بعض المنتسبين للحوزة، ممّا أدّى إلى أن لا يبقى مع الاستاذ فى مكتبه إلّامن كان ذا نيّة صادقة ويهدف من عمله إلى تقديم الخدمة للإمام صاحب الزمان عليه السلام (من باب أنّ الاستاذ يمثّل جندياً وفياً ومخلصاً للإمام صاحب الزمان عليه السلام) أو مراعاة لحقوق الاستاذ على طلّابه أو بدوافع علمية ومعنوية اخرى، والملفت للنظر أنّ حساسية الاستاذ فى هذا المورد تجلّت أيضاً فى حياته الخصوصية والاسرية، حيث يتحدّث سماحته عن ذلك بقوله: «إننى أسعى مهما أمكن أن اقلل الاستفادة من بيت المال، ولهذا السبب فاننى فى حياتى السابقة كنت أعتمد فى تأمين مواردى المالية على التبليغ فى أيّام شهر محرم وصفر وشهر رمضان المبارك، والبعض منها استلمه كحقوق ولكن بعد أن راجت تأليفاتى فإنى أستلم (حق التأليف) من الناشرين لتأمين نفقات حياتى ومعيشتى، وأخيراً لم أكن أقبض حقوقاً شهرية من المراجع، وحتى فى هذه المرحلة وهى مرحلة المرجعية فكذلك أعتمد فى تأمين نفقات معيشتى من حق التأليف لكتبى ومؤلفاتى».

حفظ الغيب عن الآخرين:

ومن جملة تجلّيات الخصلة المذكورة للاستاذ (التعبّد والخشية من الحساب والميزان) «حفظ غيبة الآخرين عند سماحة الاستاذ»، فنظراً لشيوع الغيبة وعدم رعاية حرمة الآخرين كظاهرة اجتماعية فى وسط المتدينين بحيث لا تخفى على أحد من الناس، ومع الأسف نجد أنّ بعض الأشخاص مع ما لهم من الفضل فى مجالات مختلفة فانّهم لا يراعون حرمة الآخرين ولا يهتمون بمسألة حفظ غيبتهم لا سيّما إذا كان ذلك الشخص من المنافسين ومن رفاقهم فى المراحل الدراسية، وأحياناً يتحركون على مستوى فضح الآخر عندما يحسون بأدنى خطر ويعملون على هتك حرمته من خلال تلفيق فتوى جواز غيبته، فمع ملاحظة كل هذه الامور، نرى أنّ سماحة الاستاذ مع كل ما تحمل من مواجهات سلبية لدى البعض ومواقفهم اللاأخلاقية بالنسبة للاستاذ، ومع ذلك بقى محتفظاً باحساساته ملتزماً بأوامر الشرع من موقع ضبط المشاعر والعواطف وتفضيل السكوت والصمت على رغم وجود أجواء مساعدة للجواب والردّ، فنرى سماحة الاستاذ يرجح المرور على مثل هذه الامور مرور الكرام، ولا شك أنّ مثل هذا الضبط والامساك يحتاج إلى ملكة التقوى ورسوخ

ملكة العدالة التى لا تتسنى لأىشخص إلّامن يستيقظ أوقات السحر ويشد متاعه ليومه فى ذلك الوقت، ويتحدّث بعض أصحابه» عنه ويقول: «إنّ ما اريد قوله هنا هو الحديث عن مسألة «العبادة والمناجاة» فى حياة الاستاذ، فبالنسبة إلى عبادته (ولا أعلم أنّ الاستاذ يرضى بذلك أم لا) يقوم فى الليل إلى العبادة فلا يترك صلاة الليل بحال ولعل ذلك كان باعثاً على أن يقوم بعض الساكنين معه فى الغرفة أيضاً، فكان سماحة الاستاذ يستيقظ آخر الليل وبعد أن ينتهى من نافلة الليل يصلى صلاة الصبح ثم يشتغل بالمطالعة إلى وقت تناول طعام الفطور ويذهب متوجهاً إلى حيث أعماله اليومية فى الدرس والتدريس ...».

۱۹ سعة الصدر فى العمل الجماعى

إنّ كل عمل من أعمال الخير وكل فعل مهم وأساسى يصدر من الإنسان، كما يثير حالة التحسين والتمجيد لدى البعض، فإنّه يثير حالات سلبية لدى البعض الآخر بدوافع مختلفة (سواءً كانت الدوافع ذوقية أو نفسانية أو من باب الحسد أو الانتماء إلى بعض التيارات السياسية) فتدفع الشخص إلى ابداء المخالفة والاعتراض، ولكن نظراً لعامل الزمان وثبات الحق والعمل الصالح وبالتالى زهوق الباطل وسقوطه فانّ هذه الفئة من الناس تستيقظ من غفلتها تدريجياً وتنتبه إلى خطئها فتعود إلى خط الحق، وبديهى أنّ تحمّل مخالفاتهم فى ذلك الزمان وقبولهم وعدم الانتقام منهم فى الزمان اللاحق وبعد عودتهم إلى الحق، يحتاج إلى موهبة شرح الصدر الإلهيّة حيث نجد هذه الموهبة متجلّية بحمد اللّه فى استاذنا المعظم. إنّ المورد المذكور أعلاه يمثل مورداً من ميادين ظهور وبروز ملكة شرح الصدر لسماحته، لأنّ هذه الخصوصية تتجلى فى ميادين مختلفة اخرى، ومن جملتها تحمل العمل الجماعى. توضيح ذلك، أنّ المجموعة هى «الوجود السيّال للفرد»، ولا يتكامل الأفراد إلّامن خلال الانخراط والانضمام فى الجمع، ومن جهة اخرى فانّ العمل الجماعى وتطوره أكثر وأفضل بكثير من الأعمال الفردية، ولكن بما أنّ الإنسان معجب بأفكاره وآرائه واطروحاته الجديدة فانّ ذلك يورثه غالباً ضيق الصدر وعدم تحمل الأفكار والسلائق الاخرى وبالتالى لا يجد فى نفسه رغبة للعمل الجماعى، ولكن الاستاذ يعدّ من رواد العمل السيرة المباركة، ص: ۲۰۸ الجماعى ومن رموز هذه الحالة من عملية الابداع الفكرى، فعندما يتحدّث لنا سماحته عن تجربته فى عالم التأليف والكتابة يقول: «إنّ أول تجربة لى أثبتت بشكل قاطع أنّ العمل الجماعى فى جميع الموارد ولا سيّما فى النشاطات العلمية وخاصة فى كتابة الكتب أفضل من العمل الفردى كثيراً، فالكتب التى كتبناها بصورة جماعية أى بالتشاور مع الآخرين كانت أسرع وأعمق وأكثر غزارة من جهة، ومن جهة اخرى كانت مورد استقبال الناس أكثر حتى لو كان الطرف الآخر فى المشاورة والعمل الجماعى تلميذاً للشخص. إنّ الحركة السريعة فى تأليف التفسير الأمثل وتفسير نفحات القرآن مع ما يتضمنان من مقبولية ومطلوبية لدى الناس هى ثمرة العمل الجماعى، والكتب التى قمت بتأليفها فى مجال العقائد وكنت قد سبق وأن درستها، ولذلك فهى أيضاً وليدة العمل الجماعى، وكذلك كتاب «أشباه الفلاسفة» بدوره اشترك فيه جمع من الفضلاء والعلماء، إذن فهو حصيلة العمل الجماعى، وعلى أيّة حال فانا اوصى جميع الاخوة من الكتّاب الأعزاء أن يتحركوا فى عالم التأليف على مستوى ترجيح العمل الجمعى على الفردى لاسيّما فى تصنيف وتأليف الكتب المهمة». وكذلك فانّ ملكة شرح الصدر تعنى تحمّل نظرات المخالف وتجنب الاطلاق والجزمية والتمتع بخصلة الاغماض والصفح، لنستمع إلى الاستاذ يقول: «كما أشرت آنفاً إلى أننى استنتجت من خلال تجربتى فى الحياة أنّ بعض الامور يجب فيها ترجيح العمل الجماعى وقد أثمر هذا العمل فى تطوير الحركة الفكرية والعلمية والتقليل من الخطأ والاشتباه، غاية الأمر أنّ العمل الجماعى له شروط حيث سعيت بالاستمداد من لطف اللّه وكرمه السيرة المباركة، ص: ۲۰۹ بالعمل وفقها ما أمكننى ذلك، واوصى الآخرين باحترام نظرات الغير فى هذه الموارد وتحمل عقائد المخالفين وأن يعيش الشخص حالة سعة الصدر والاغماض، فلو تلاقحت هذه الامور واقترنت مع بعضها فانّ ذلك يعنى نجاح العمل الجماعى، ولكن إذا كنت افكر من موقع الجزمية والاطلاق فى صحة أفكارى فقط وبطلان الرأى المخالف ولم أحترم آراء الآخرين وأفكارهم ولم أتحمل عقيدة المخالف ولم أملك حالة الاغماض فانّ هذا من شأنه عرقلة المسيرة قطعاً، واضيف هنا هذه الحقيقة، وهى أنّ للآخرين نقاطاً إيجابية

ونقاطاً سـلبیة دائماً، ولا یوجد شـخص یعیش النقاء من أی نقطة سـلبیة سوی المعصومین علیهم السلام، فکل إنسان لدیه نقطة أو نقاط قوة، ویجب علینا دائماً التعامل مع الآخرین من موقع حصـیلة النقاط وجمع المعدل لمعرفة حساب صـفات الأشخاص، ولو کان المعدل جیـداً لزم علینا تحمل الجهات السـلبیة ونقاط الضـعف من ذلک الشـخص!». وعلی أیّـة حال فانّ سـعة الصدر وروحیة العمل الجماعی لسماحة الاستاذ ترتبت علیها ثمرات وبرکات کثیرة، وقد تقدم تفصیل الکلام عن کثیر منها فی فصل «حراسة المذهب».

۲۰ الریاضة البدنیة والنشاط الجسمانی

اشارة

إنّ من آفات الحوزة العلمیة ولا سیّما فی الأزمان الماضـیة عدم الاهتمام بعنصـر الصـحة البدنیة وعدم اعتنائهم بکیفیة التغذیة وسـلامة البـدن ومـا یتعلق بها من المسائل فی حفظ الصـحة حیث یتصور العوام من الناس أنّ ذلک یـدلّ علی زهـد العالم وعـدم اهتمامه بامور الـدنیا وعـدم العنایة بالمظهر من اللباس والحذاء، إنّ العوام من الناس یرون اصـفرار الوجه والذبول والکآبة والثیاب الرثة وعدم النشاط فی الکلام والمشی والجلوس والقیام والقعود وأمثالها من المظاهر الخادعة أنّها من معالم الزهد والتقوی والورع ویعتبرون ذلک کرامة للإنسان ومن الفضائل الأخلاقیـة، بخلاف ما إذا رأوا الشـخص نشـیطاً وفاعلًا ویتحرک بفاعلیـة ویمارس الریاضـة البدنیة وعندما یتکلّم فانّ کلماته تصدر بنبرات قویة ونافذة فانّهم یعتبرون ذلک من علامات الضعف والمیل إلی الدنیا والتحرک خلافاً للشؤونات الحوزویة ومقتضـیات اللباس لرجال الدین. ولم یکن الاسـتاذ (دام ظلّه) منذ بدایة شـبابه غافلًا عن هذه الآفة والظاهرة المرضـیة، ولکن اشتهر عنه المشی علی الأقدام بین الطلوعین، والآن وبعد أن بلغ من العمر سبعین عاماً یخصص ساعة من اللیل أو النهار للریاضة والمشی، وبالنسبة إلی مسائل الصـحة وضوابطها فانّ الاسـتاذ علی اطلاع واسع ومفیـد بمسائل الطب القـدیم والجدید حیث یستشـیره الکثیر من الأصدقاء والمعارف والطلّاب، وأمّا فی مقدار الغذاء وکیفیته واجتناب الافراط فی الطعام وعدم تناول الأطعمة غیر الضـروریة فیعتبر الاسـتاذ قدوة للآخرین، السـیرة المبارکة، ص: ۲۱۲ ویتحـدّث سـماحته عن ذلـک بقوله: «إننی أتناول من الطعام بمقـدار بحیث أنّه لو جاءنا ضـیف ومددنا المائدة مرّة اخری له وکانت المصـلحة تقتضـی أن اشارکه فی الطعام فانّی لا أجد مشکلة فی ذلک وأمتلک القدرة علی تناول الطعام مرّة اخری بالمقدار الأول!».

قلّة الطعام:

وکـذلک یقول سـماحته: «کـان لـدینا طبیب للأسـرة قال لی یوماً: إننی اریـد أن الخص لک ما تعلمته من تجربتی الطبیـة فی کلمتین، وهما: أنّ رمز سـلامة الإنسان فی أمرین: قلّـة الطعام وفاعلیة البدن، فقبلت منه هذه التوصـیة وکانت لی علاقة منذ بدایة حیاتی بمطالعة کتب التغذیة السلیمة والنشاطات الریاضیة والبدنیة، وبالجملة فاننی استطعت التقلیل من الطعام وشعرت براحة کبیرة من ذلک، وأتصور أننی أتناول خمسین بالمئة من الطعام الذی استطیع تناوله ... وبذلک تزول عنی معظم أشکال الکسل التی تنشأ من الأطعمة الإضافیة التی لا یسـتطیع البدن جذبها والاسـتفادة منها، ولی معرفة واسـعة بکتب النباتات الطبیة وفوائد الأغذیة النباتیة، ونستفید من بعضها لحل المشـکلات التی یواجهها بعض المراجعین الـذین یسألوننی أسـئلة کثیرة من هذا القبیل، فأفهم من مجموع هذه الأسـئلة أنّه یجب علی الإنسان الاهتمام بتناول الأغذیة النباتیة والفواکه بحیث أجعل منها قسماً مهماً من طعامی ولا أکثر من تناول الأغذیة الحیوانیة والأطعمة الدسـمة، وهذا یبعث علی إیجاد الاسـتقرار والهدوء الروحی لدی الإنسان». السـیرة المبارکة، ص: ۲۱۳ هذا ما یمکن قوله بالنسـبة إلی کمیـة الغـذاء، وأمّا بالنسـبة إلی مقـدار الاستراحة وکیفیتها فیقول سـماحة الاسـتاذ: «بالنسـبة إلی النوم والاستراحة فإننی وبسـبب العمل الکثیر والفعّالیة المسـتمرة بمجرّد أن أتوجّه للسـریر لغرض النوم فانّ النوم یملکنی مباشـرة وبعد لحظات، وأحیاناً لا اسـتطیع إکمال آیة

الكرسى التى أقرأها قبل النوم عادة».

الرياضة الصباحية:

وبالنسبة إلى الرياضة وأشكال الحركات البدنية يقول سماحته: «إننى أشعر بالتزام قوى بقضية الرياضة البدنية والمشى على الأقدام، فلابدّ أن أقوم عند الصباح الباكر بالحركات البدنية الخاصة، وكما يوصى الأطباء أيضاً، وعندما أقوم بهذه الأعمال والحركات البدنية فاننى بحمد اللَّه لا أشعر بعدها بوجع المفاصل والأقدام».

المشى:

وبالنسبة إلى المشى على الأقدام يحدّثنا سماحته عن ذلك ويقول: «بالنسبة إلى فوائد المشى فاننى رأيت مسائل وثمرات كثيرة ولذلك فانّى أجد نفسى مواظباً على الاستفادة من هذه الرياضة كل يوم فى الأمكنة الخالية والهادئة من المدينة أو خارجها حيث أذهب إلى هناك وأتمشى كل يوم مقداراً من الوقت، وهذا العمل أصبح جزءً من حياتى بحيث أننى لو امتنعت منه فسأقع طريح الفراش، وقد ساعدنى هذا العمل كثيراً فى نشاطاتى العلمية بحيث إننى فى الحال الحاضر وقد بلغت من العمر سبعين السيرة المباركة، ص: ۲۱۴ عاماً (والمستقبل بيد اللَّه تعالى) لا أشعر بأى ألم جسمانى فى أى عضو من أعضاء بدنى، وأحياناً امارس أعمالى وكأننى رجل فى الأربعين من العمر حيث أتحرك فى أداء مسؤولياتى وفى إطار المطالعة والكتابة وأمثال ذلك».

عنصر التشويق:

أجل، فانّ رعاية هذه الامور أدّت إلى أن يتمتع سماحة الاستاذ مع كثرة مشاغله وتعدد أعماله بجسم سالم ونشط بلطف اللَّه، والاستاذ نفسه يتحدّث عن ذلك بقوله: «إننى فى كل عام أعرض نفسى على الطبيب ليفحصنى بصورة كلية ونتيجة هذه الفحوص بحمد اللَّه تكون نتائج الاختبارات اللاحقة أفضل من النتائج السابقة، وفى هذه المرة كتب لى أحد الأطباء رسالة تشويقية مفصلة، ومن جملة ما كتب فيها: إنّ التشخيص الطبى يفرض علىَّ القول بأنّ رمز سلامتكم تكمن فى ثلاثة امور: ۱- رعاية الصحة فى قلة الغذاء وكيفيته، ۲- الرياضة، ۳- التسلط على الأعصاب واجتناب الحدّة والغضب، (وطبعاً المستقبل بيد اللَّه سبحانه)». وكذلك فان مراعاة هذه الامور أدّى بحمد اللَّه أن يعيش الاستاذ بهذا السن بحالة من النشاط والفعّالية أكثر من طلّابه وأصحابه الشباب، حيث يحضر فى جلسات التأليف والتحقيق دائماً فى حين أنّ الكثير من العلماء فى مثل هذا العمر ومع الأسف الشديد نراهم مبتلون بشكل أو عدّة أشكال من المرض وهبوط الفاعلية والكسل، ونسأل اللَّه تعالى الصحة والعافية وطول العمر لجميع العلماء لخدمة الإسلام والمسلمين وكذلك بقاء الصحة والعافية لأستاذنا العزيز. ومن العجيب أننا نرى مع كل هذه التأكيدات من العقل والشرع والتجربة أنّ البعض يذهبون إلى الحصر فى التأثير فى هذه المسائل بالقضاء والقدر، أو أنّهم سلكوا طريق السيرة المباركة، ص: ۲۱۵ الافراط ولم يمتنعوا من أى طعام ولم يجتنبوا أى غذاء فيتناولون ما لذّ وطاب من الأطعمة والأغذية بدون حساب، أو سلكوا طريق التفريط واجتنبوا الطيبات التى خلقها اللَّه سبحانه للإنسان وامتنعوا من تناول النعم الإلهيّة المختلفة. فى حين أنّ رعاية الملاحظات المذكورة ربّما تزيد فى عمر العالم الدينى والربانى عشرين أو ثلاثين سنة، بمعنى أنّ مراعاة هذه الامور يمكنها أن تجعل العالم والفقيه يمارس نشاطه فى الدفاع عن الدين والمذهب عشرين أو ثلاثين سنة اخرى، وفى‌مقابل ذلك فانّ عدم رعاية هذه الامور تؤدّى إلى أن لا ينتفع العالم الذى قضى عمره فى السعى وبذل الجهد وأنفق طاقاته وقابلياته فى هذا السبيل من هذا العمر الشريف، وفى حين يكون المتوقع أن تثمر هذه الشجرة الطيبة وتنفع الناس بوجودها المبارك فانّها يصيبها الذبول والضعف وتجف فى النهاية وبدلًا من أن يستفيد الناس الحد الأكثر من مواهب هذا العالم الجليل فانّهم لا ينالون من بركاته إلّاالقليل جدّاً، وهذا الأمر ممّا يؤسف له.

ثلاثة تعاليم مهمّة لحفظ الصحة:

لهذا السبب نرى أنّ سماحة الاستاذ يتحدّث عن مجمل هذه الامور بقوله: «إننى أُوصى جميع الطّلاب الأعزاء بثلاثة امور: ۱- النشاط البدنى من الواجبات. ۲- أن لا ينسوا الاعتدال فى الغذاء، الاهتمام بتناول الأغذية النباتية بحيث تشكل هذه الأغذية الأساس والعمدة فى طعامهم ولا يتصوروا أنّ اللحوم الحيوانية الدسمة والحلويات تقوى البدن، ولعل البعض يتألمون فى البداية من قلّة الغذاء ولكنّهم تدريجياً يعتادون على ذلك ولا يطلبون المزيد، إنّ الكثير من الأشخاص الذين يكون وجودهم مليئاً بالبركة والخير للإسلام والمسلمين، ولكن مع الأسف عندما تنضج قابلياتهم وتتكامل السيرة المباركة، ص: ۲۱۶ قواهم ويبرزون للناس ويُعرفون بالعلم والصلاح ويكون لهم أثر وصدا فى الحوزات العلمية فإنّهم يصابون بالذبول وتخفت قواهم ولا يتمكن الناس من الاستفادة منهم استفادة جيدة، وهذا الأمر يمثّل خسارة كبيرة للعالم الإسلامى، وعلى هذا الأساس ينبغى السعى من باب مقدّمة الواجب فى حفظ الصحة والسلامة للفرد ولا يهمل هذا المعنى أو يقصّر فى اتخاذ ما ينبغى له. ۳- كما ورد فى الحديث الشريف أنّه يجب على الإنسان من أجل تجديد قواه أن يهتم بعامل الترفيه والاستراحة وأن يرى ذلك بعنوان العبادة ومقدّمة للواجب، وقد ذكر لى أحد الأطباء فى شيراز: أنّك إذا أردت أن تعمل كثيراً فى الليل والنهار فلا أمنعك من ذلك ولكن عليك أن تجعل فى الاسبوع يوماً واحداً للاستراحة المطلقة وتفرغ من جميع أعمالك الفكرية ونشاطاتك العلمية، وأنا بدورى أسعى للعمل بتوصية هذا الطبيب، ولهذا السبب فانّى أمتنع من ملاقاة الناس فى يوم الجمعة وأسعى حدّ الإمكان أن أخرج من المدينة إذا كان الجو مساعداً، لأنّ بقائى فى البيت وكثرة الاتصالات الهاتفية يخلق مشكلة فى استراحتى هذه، ولكن أحياناً أضطر إلى العمل خلاف هذه الوصية وأقوم بأداء بعض الأعمال التى اجبر على القيام بها فى يوم الجمعة ولهذا لا يكون برنامجى كاملًا مع الأسف».

۲۱ التمسّك بذيل ولاية أهل‌بيت عليهم السلام

اشارة

إنّ إعجاب الشخص بنبوغه العلمى واعتماده الكامل على قدراته الذاتية تعدّ من العوامل السلبية التى تصيب النوابغ والشخصيات العلمية الكبيرة بحيث تهدر قواهم وتبدد طاقاتهم بدلًا من تقويتها وتنميتها. بالنسبة إلى الاستاذ (دام ظلّه) فإنّه رغم الذكاء الحاد الذى بان على جبينه منذ الطفولة، وكما يحدّثنا رفاقه فى مرحلة الطفولة عن ذكائه المفرط الذى يشع من عينيه، فإنّه مع ذلك كان يمتلك حالة من التعبّد الشرعى والتواضع الأخلاقى وكذلك الاحساس بالفقر والحقارة فى مقابل الأنوار الطاهرة لأولياء اللّه والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، وفى هذا المجال يتحدّث لنا أحد مرافقيه «۱» فى أيّام الدراسة الذى كان يشترك معه فى الغرفة: «إنّ سماحته كان منذ البداية مورد عناية صاحب الزمان وسائر الأئمّة عليهم السلام حيث يقول تعالى: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» «۲» إنّ هذه الآية رغم كونها فى مورد الرسالة والنبوة إلّاأننا بتنقيح المناط، كما يقول الفقهاء، يمكن القول أنّ هذا الرجل العظيم مورد عناية إلهيّة خاصة».

الزهراء عليها السلام مظهر «يا من يقبل اليسير»:

وقد سبق أن تحدّثنا عن تعبّد الاستاذ وتهجّده وتواضعه الكبير فى فصل «اخلاص النيّة» السيرة المباركة، ص: ۲۱۸ وهنا نقول أنّ سماحة الاستاذ يهتم كثيراً بمجالس أهل البيت عليهم السلام ويقيم هذه المجالس فى كل سنة فى ليلة عيد الغدير وليلة ولادة الإمام صاحب الزمان وليالى الفاطمية من كل عام. وهذه المجالس معروفة عند أتباع أهل البيت عليهم السلام، مضافاً إلى ذلك تمّ اصدار كراسات فى حياة وفضائل الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، وهى فى الحقيقة مجموعة محاضرات وبحوث كان الاستاذ

يلقيها على الطّلاب فى ليالى الفاطمية من كل عام، وقد صدر كتاب بعنوان «الزهراء عليها السلام أفضل نساء العالمين»، ويتحدّث لنا سماحة الاستاذ عن قصته فى مورد مقولته بأنّ فاطمة الزهراء عليها السلام مظهر «يا من يقبل اليسير» ويقول: «إنّ هيئة محبّى فاطمة الزهراء عليها السلام فى مشهد كانوا يقيمون احتفالًا فى كل عام بمناسبة ولادة فاطمة الزهراء عليها السلام فى عشرين جمادى الثانية، وأحد ابتكاراتهم فى هذا المجال أنّهم كانوا يقدّمون لكل شخص من الحضار علبة من الحلويات مع كتاب جديد حول عظمة الزهراء عليها السلام وفضائلها، وبذلك يضفون على الحفل البهيج مزيداً من الثقافة الدينية، وقد طلبوا منى تأليف كتاب مختصر فى هذا المجال، وقد تمّ طبع هذا الكتاب مع مضامين جديدة وتمّ نشره فى ذلك المجلس فى مشهد قبل أن ينتشر فى مناطق اخرى، وفجأة وصلت لى رسالة من شخص جليل فى اصفهان يقول فيها ما مضمونه: إنّنى لا أعلم ماذا صنعت حتى تكون مورد اهتمام وتوجه فاطمة الزهراء عليها السلام، لأننى رأيتك فى عالم الرؤيا فى مجلس حافل ومجلل وقد حضر فيه سيد جليل القدر (والظاهر أنّه رسول اللّه صلى الله عليه و آله) وقال لى: إنّ الشيخ مكارم قدّم خدمة لفاطمة الزهراء، فاستيقظت من نومى ولم أعلم شيئاً عن تأويل الرؤية، واريد أن تحدّثنى بالمسألة؟ فتحدّثت بهذه الرؤية لأحد علماء مشهد وقلت له: إننى لم اقدّم شيئاً سوى القليل جدّاً، فقال: ألم تعلم أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام مظهر الاسم المقدّس «يا من يقبل اليسير»؟!». السيرة المباركة، ص: ۲۱۹ إنّ الكثير من الأشخاص الذين يتحركون فى حياتهم من موقع السعى الجاد وبذل الجهد اللازم إلّاأنّهم لا يمتلكون الذكاء المناسب، والكثير من الأشخاص يمتلكون القابلية والذكاء والنبوغ، إلّاأنّهم لا يتحركون على مستوى الجدية فى العمل واستثمار هذه المواهب والطاقات على مستوى العمل والممارسة، وهناك بعض الأشخاص الذين يتمتعون بالنبوغ والقابليات الذاتية مضافاً إلى النشاط والجدية والاستقامة فى العمل ولكنّهم يغفلون عن عنصر الامدادات الغيبية والاستفادة من أنوار الولاية، ولكنّ سماحة الاستاذ قد جمع بشكل كامل بين هذه النعم الثلاث، وقد تقدّم الكلام عن النبوغ والقابلية الذاتية فى فصل «النبوغ والموهبة الذاتية»، أمّا الحديث عن الاستقامة والجدية والعمل فقد تقدّم الكلام عنه فى ما سبق تحت عنوان «دوام العمل» و «الجدية والاستقامة»، وفى هذا الصدد تحدّث الاستاذ يوماً وقال: «يقال أنّه لا يمكن حمل بطيختين بيد واحدة فى حين أننى أحمل عدّة بطيخات بيد واحدة». وأمّا الاستفادة من أنوار الولاية فالبرغم من أنّ الجميع يعلم أنّ الاشتغالات العلمية والنشاطات الفكرية تستغرق وقتاً كبيراً وتورث صاحبها الغفلة عن الامور الاخرى والالتفات إلى ما حوله وما يحيط به، إلّاأنّ الاستاذ مع كثرة اشتغالاته لم يغفل اطلاقاً عن التشرف بحرم السيدة المعصومة عليها السلام وكذلك الذهاب إلى مسجد جمكران فى طول المدّة.

الدفاع عن المذهب فى مجلس الخبراء:

من المعلوم أنّ التوسل والاستمداد بالأنوار الإلهيّة هذه لها دور فاعل فى زيادة التوفيق الربانى للاستاذ على مستوى التأليف وكتابة الكتب، ومن المعلوم أيضاً أنّ دفاع الاستاذ عن مذهب التشيع ومدرسة أهل البيت عليهم السلام لأكثر من نصف قرن له دور مهم وأساسى فى نيل العنايات الخاصة لتلك الأنوار الإلهيّة الطاهرة، وما يجدر ذكره عن دفاع الاستاذ عن مدرسة السيرة المباركة، ص: ۲۲۰ أهل البيت عليهم السلام، مضافاً إلى ما تقدّم تحت عنوان «حراسة الدين»، هو أنّ السعى الجاد والمستمر لسماحته فى مجلس الخبراء القانون الأساسى فيما يتعلق بمسألتين: تشريع أصل أنّ المذهب الشيعى الاثنى عشرى بعنوان المذهب الرسمى للدولة وطرد الفرقة الضالة البهائية من كونهم أقلّية مذهبية تعيش فى ايران، ويتحدّث الاستاذ نفسه عن هذه القضية بقوله: «كنت فى مجلس الخبراء فى قسم المذاهب واللغات، وطبعاً كان فى مجموعتنا أحد الاخوة من أهل السنة وهو المولوى عبدالعزيز الذى كان رجلًا فاضلًا وعالماً وكان بإمكاننا التفاهم معه كثيراً، مضافاً إلى أحد علماء الزردشتيين وأحد القساوسة النصارى وأحد كبار اليهود أيضاً، ومن هذه الجهة فمجموعتنا متميزة بهذه التشكيلة عن سائر المجاميع فى المجلس المذكور، فلابدّ من عقد جلسات مشتركة مع رموز ورؤساء المذاهب والأديان فى هذا البلد لنتحدّث عن القضايا المتعلقة بالأديان ومكانتها فى القانون الأساسى لسن قوانين لازمة فى هذا الشأن ودراستها

فى الجلسة العامة، وقد بذلنا جهوداً كبيرة حتى استطعنا ادخال الموارد المتعلقة بالمذهب الرسمى فى القانون الأساسى بأدوات منطقية وبأساليب قانونية على أساس أنّ المذهب الرسمى فى هذا البلد هو المذهب الشيعى الإثنا عشرى، فى نفس الوقت تكون الأقليات المذهبية فى الجمهورية الإسلامية محترمة وتتمتع بحقوق المواطنة ولا تواجه أيّة مشكلة فى حركة الحياة فى داخل المجتمع الإسلامى، والعجيب أنّ الفرقة البهائية الضالة تحركت فى تلك الأيّام بفاعلية شديدة وبرنامج منظم وادعاءات كبيرة من خلال أرقام كاذبة عن عدد نفوسهم فى ايران وأنّ عدد أفراد هذه الفرقة أكثر من سائر الفرق الدينية الاخرى، وقاموا باتصالات واسعة من الخارج والداخل وبإصرار السيرة المباركة، ص: ٢٢١ على السماح لهم بحيازة كرسى خاص فى المجلس لتكون فرقة رسمية ومشروعة، ولكننى كنت على اطلاع تام بتاريخ هذه الفرقة، ولهذا كنت منذ البداية وعندما كان لى من العمر خمسة عشر أو ستة عشر عاماً فى شيراز، أشترك فى جلساتهم أحياناً وأقوم بمناقشتهم والتحاور معهم فى هذا الشأن، وفى مدينة قم كنّا نعقد جلسات عديدة للتحقيق فى عقائد وسلوكيات هذه الفرقة وأنّ أفرادها مرتبطون بالاستعمار قطعاً، فقد ولدت هذه الفرقة فى أحضان الروس وتم ترشيدها فى أحضان الانجليز ثم جعلوا أنفسهم مطية للامريكان، والآن فى الوقت الحاضر نجد الكونجرس الأمريكى يدافع عنهم بشدّة ممّا يدلّ على العلاقة الوثيقة بين رموز هذه الفرقة والاستكبار العالمى، فكنت على اطلاع كامل بهذه الامور، وكان فى هذه المجموعة بعض الاخوة الأعزاء من رجال الدين مطّلعين كذلك على حال هذه الفرقة، ولذلك وقفنا موقفاً متشدداً أمام طلب هذه الفرقة، وأدّى إصرارهم الشديد إلى أن نضع المادة الخاصة بالمذاهب فى القانون الأساسى بشكل يصطلح عليه فى الحوزة «ينفى ما عداه»، بمعنى أنّ القانون يمنح حق المشروعية لليهود والنصارى والزرادشتين فقط على أساس أنّ هذه الأديان كانت مورد حماية القانون منذ قديم الزمان وعرفوا فى كتبنا الفقهية بعنوان «أهل الكتاب» ويطلق عليهم الفقهاء أهل الذمة ولا يشمل هذا العنوان فرقة أو مذهباً آخر، وقد تمّ تدوين القانون الأساسى للجمهورية الإسلامية بشكل دقيق بحيث يطرد المذاهب المجعولة من قبل الاستعمار». وعلى أيّة حال فانّ جميع هذه التوفيقات نشأت من خلال توسل وتمسك سماحة الاستاذ بذيل ولاية أهل البيت عليهم السلام التى كان يعيشها فى أعماق وجوده طيلة حياته، هذا الارتباط الشديد والعلاقة الوثيقة أدّت إلى تمهيد الأرضية اللازمة لجذب أنوار الولاية أكثر السيرة المباركة، ص: ٢٢٢ فأكثر، وطبقاً لما تقدّم تحت عنوان «التشويق وجذب اعتماد الاساتيذ» أنّ سماحة الاستاذ استفاد كثيراً من الأنوار الملكوتية والقدسية لأهل بيت العصمة عليهم السلام فى حدود قابلياته وظرفيته بحيث خوطب من قبل الإمام المنتظر عليه السلام: «ناصر! سوف تنتفع ببركاتنا» السيرة المباركة، ص: ٢٢٣

٢٢ الهمّة العالية والأمل بالمستقبل

إنّ سماحة الاستاذ يمثّل تجسيداً للعدل على أرض الواقع، ويتمتع بهمة عالية وأمل بالمستقبل فلا يقف فى طريق تحقيق أهدافه وفتح قمم الموفقيات أى مانع أو حاجز يمنعه من الوصول لأهدافه، بل ينطلق فى عمله، عندما يشخص أنّ هذا العمل مفيد للإسلام والمسلمين، بنشاط وحيوية منقطعة النظير، والشاهد على ذلك الأعمال الكبيرة والنشاطات المتنوعة التى أنجزها سماحته أو فى حال اتمامها والانتهاء منها. بعد الانتهاء من تأليف دورة كاملة فى التفسير الذى استغرق طوال خمسة عشر سنة، شرع سماحة الاستاذ مباشرة بتأليف التفسير الموضوعى للقرآن بشكل جذّاب وشيق ولحد الآن صدرت منه دورة كاملة بعشرة مجلدات من المعارف القرآنية، وصدر كذلك ثلاثة أجزاء اخرى فى الأخلاق، هى الجزء الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر، فى حين أنّ الاستاذ عازم على الشروع بتأليف شرح وتفسير لنهج البلاغة بمساعدة مجموعة من الفضلاء والطلّاب وقد صدرت بحمد اللَّه منه ثلاثة أجزاء يتضمن شرحاً مفصلًا وتفسيراً شيّقاً بمضامين عميقة وسلسة، وكان المجموع تسعين خطبة من نهج البلاغة، وهذا المشروع لازال فاعلًا ومستمراً. إنّ علو همة الاستاذ وقوة عزيمته وإرادته فى فتح القمم الشاهقة للمعارف ونشر العلوم الإسلامية واحياء الحوزات العلمية إنّما يتضح ويتجلى بصورة جيدة عندما نستمع فى هذا الفصل إلى حديث الاستاذ الملىء بالأمل، فنعيش الأمل والافق الواسع فى حركتنا الفكرية

والروحية، يقول سماحته: السيرة المباركة، ص: ۲۲۴ «إنّ أملى الوحيد أن أتحرك فيما تبقى من عمرى من أجل المعارف الإلهيّة، وأصل إلى مرتبة من العلم بحيث يشع نور اليقين على قلبى بلطف اللّه تعالى وأعيش الطمأنينة والسكينة الروحية فى ظل الشهود القلبى ويمتلأ وجدانى من الإيمان واليقين والعشق للّه‌بحيث يتطهر من كل شائبة ومن كل ما سوى اللّه، هذا هو أول وأكبر أمل فى حياتى والذى سألت اللّه أن يرزقنى ويمنحنى هذه الامنية ما دمت فى حال الحياة بحيث أصل إلى مرتبة أن لا أرى عندها سبباً آخر فى هذه المواهب والنعم غيره. والأمل الآخر الذى أعيشه فى حياتى أن أتمكن بمساعدة الاخوة الأعزاء فى الحوزة العلمية من إيجاد تحوّل واسع وعميق فى الحوزة، وبذلك احقق مضمون الحديث الشريف الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ستخلو كوفة من المؤمنين ويأزر عنها العلم كما تأزر الحيّة فى جحرها، ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها قم، وتصير معدناً للعلم والفضل حتّى لا يبقى فى الأرض مستضعف فى الدّين، حتّى المخدّرات فى الحجال، وذلك عند قرب ظهور قائمنا ... فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد فى المشرق والمغرب» «۱». وهكذا أجد أنّ أملى القلبى أن أُجسّد هذا المضمون على أرض الواقع واحقق النبوءة المهمّة لأئمّة المعصومين عليهم السلام. وأملى الآخر أن أتمكن من استثمار هذه الفرصة المناسبة جدّاً فى أجواء عالمنا المعاصر لايصال صوت الإسلام إلى جميع أقطار المعمورة وبلغات مختلفة ومن خلال المبلّغين الجيدين، وقد كانت الحوزة العلمية مركز التحقيق فى فقه آل محمد عليهم السلام ومعدن علوم التفسير والعقائد والحديث، وعلينا استثمار القابليات والطاقات المبدعة والممتازة فى الحوزة العلمية من السيرة المباركة، ص: ۲۲۵ داخل ايران وخارجها ونعمل على تربيتهم وإيجاد تحوّل كبير فى العالم الإسلامى. والأمل الآخر هو أن نتمكن، من أجل حفظ ثقافتنا الإسلامية فى مقابل الهجمة الثقافية الغربية المخربة، من التحرك على مستوى إيجاد مواقف مؤثرة ونشاطات مثمرة وخاصة على مستوى الشباب لنحفظهم من هذه الهجمة الثقافية الشرسة ونتمكن من إيجاد الوحدة بين الحوزة والجامعات لأنّ خطر الغزو الثقافى فى الجامعات أكثر من أى مكان آخر، ونتمكن بالتالى من تجسيد ونشر الأخلاق الإسلامية فى مفاصل المجتمع بهدف حل الكثير من مشاكل الناس فى مجال الاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والروابط الأُسريّة. وأملى الآخر أننا نعيش فى الحال الحاضر ونرى أنّ الناس وخاصة المستضعفين منهم يواجهون مشكلات عديدة، فعلى رجال الدين الاقدام لحلّ هذه المشاكل مهما أمكنهم ذلك أو المساعدة فى حلّها فانّ لذلك أثراً إيجابياً كثيراً على التزامهم الدينى وتوجههم القلبى نحو الدين، وحينئذٍ يكون الإسلام هو المنقذ فى امور دينهم ودنياهم. وأملى الأخير هو أننى أتمكن فيما بقى من عمرى أن أقوم بتأليف كتب علمية أكثر وأعمق وأشمل من السابق، ولعل ذلك يكون وسيلتى للنجاة غداً حيث يقرأوها الناس بعد ذلك ويترحمون علىَّ ويطلبون لى من اللّه المغفرة والرحمة، وأنا على يقين أنّ ما عملته لحدّ الآن لم يكن شيئاً يستحق الذكر، وليتنى استطعت أن اقدم للإسلام شيئاً مهماً، وعلى أيّة حال فإنّ أملنا كبير باللّه تعالى وبلطفه وليس لنا أمل ورجاء إلّابلطف اللّه وعنايته». السيرة المباركة، ص: ۲۲۶

۲۳ الروح العالية التى لا تعرف التعب

فى مجال تقديم الخدمات العلمية والاجتماعية

اشارة

عندما يؤمن العبد السالك بعالم الغيب وإشرافه على عالم الشهادة ويعيش فى مسيرة عالم الملكوت فانّ ذلك يؤدّى إلى علو الهمّة وتنشيط القوّة وترسيخ العزم لدى السالك بحيث يرى الأعمال الكبيرة صغيرة وتافهة وتكون التعقيدات والمشكلات التى يفرضها الواقع أمامه سهلة وميسورة، لأنّه يشعر بذلك الإيمان وذلك الاحساس الباطنى أنّ اللّه معه فى كل عمل يعمله ويقول: المهم أن أعقد العزم وأشرع بالعمل وأنوى أن أعمل صالحاً ليصطبغ العمل بصبغة إلهيّة فلا يكون أبتراً وناقصاً، بل يصل إلى نهايته وغايته. إذن فلو مدّ اللّه فى عمرنا ولم يحن أجلنا فعلينا الاستمرار بالعمل والاستقامة فى أداء واجبنا، وإن لم يحالفنا الحظ فى اتمامه وحان أجلنا فى أثناء

ذلـك، فبمـا أنّ هـذا العمـل، عمـل «صالـح» وملكوتى وإلهى، فـانّ المتبنى له هو اللَّه تعالى حيث يتمكن هـذا العمل من رفع رصـيدنا المعنوى فى أجواء عالم الملكوت والقرب المعنوى الإلهى. وليس المهم أيضاً بأى اسم سيكتب هذا العمل فى النهاية لدى أهل الظاهر وأصـحاب الـدنيا، بل المهم أن تكون لنا حصـة فى السـماء وعند عالم القدس والملكوت، ولكن بما أنّ البداية لابدّ أن تكون من قِبلنا ولابدّ من النيّة وقصد القربة فى الفعل وكذلك التحرك فى خط المداومة والاستقامة على هذا العمل لذلك يتطلب منّا العمل الخالص أن يكون الفعل «مجهولًا فى الأرض معروفاً فى السـماء». السـيرة المباركة، ص: ۲۲۷ وبـالرغم من المثل المعروف وفى النظرة الظاهرية أنّ الشخص الذى يبدأ بعمل فعليه إتمامه، ولكن فى نظرة اخرى سماوية وملكوتية ومورد قبول العقل والشرع أيضاً «من سنّ سنة حسنة ...» فلابـدّ من القول إنّ الشـخص الـذى يفعل الفعل هو الـذى بدأ به. لأنّ تصوير اطروحة كلية وجامعة لفعل من الأفعال يمثل أصـعب مرحلة وأهم نقطة فى ذلك المشروع، لأنّ التخطيط والتدبير لفعل معين فى بداية الأمر يفضى إلى تجلى هذه الخطة والفكرة فى ما بعد على مسـتوى نتائـج العمل، والكثير من المشاريع والاطروحات الفكريـة المهمّـة المعقدة تكون صـعوبتها بالذات مانعة من الإقدام على ترجمتهـا وتجسـيدها فى الواقع العملى لأـغلب الأـطراف، ولـذلك نرى أنّ الكـثير من الأعمـال بقيت ناقصـة لهـذا السـبب، أو لم يجد صاحبها الجرأة على الشـروع بها على مستوى العمل، إنّ الشـروع فى عمل معين مضافاً إلى حاجته للفكر والتـدبير والخلاقية والتخطيط لصـياغة رؤيـة شاملـة عنه، يحتاج أيضاً إلى إرادة قويـة وعزم نافـذ واعتماد على النفس والتوكل على الـذات المقدّسة. والواقع أنّ هذه الرؤيـة الدقيقـة تنقل الإنسان من أجواء الضـعف والمادة وأنّه مجرّد بدن متكّون من لحم وعظم ويتعرض إلى أنواع الأمراض وأشـكال الوهن والضـرر إلى موجود يوازى بقدرته الجبال ويعادل شـخص واحد مائة ألف شـخص، فاذا كان يشتغل فى دائرة التأليف والتحقيق فإنّه ينتـج من الكتب والمؤلّفات بحيث إنّ الآخرين لا يجـدون فرصـة لعد صـفحات هذه الكتب والتصانيف، وإذا كان ينطلق فى عمله فى إطار تقـديم خـدمات علمية وثقافية وفنيّة للناس، فإنّه سـيمتلك السـعى الجاد والاسـتقامة فى العمل والصبر أمام تحديات الظروف الصـعبة بحيث إنّ الآخرين لا يمكنهم تصور ذلك فى مخيلتهم وسـيندهشون لدى ملاحظة دقائق أعماله ودراسة تفاصـيل نشاطاته. إنّ مثل هؤلاء الأشـخاص المجاهدين متصـلون بالبحر ويستندون على الجبل فلا يشعرون بأنّ الطريق موصدة أمامهم ولا يحسون نقصاً فى هممهم وقابلياتهم، وأساساً فإنّه لا يوجد فى قاموسهم عبارات «لا نملك الميزانية اللازمة لهذا العمل» و «لعل هذا العمل لا يصل السيرة المباركة، ص: ۲۲۸ إلى النهايـة» و «لعل عمرنا لا يكفى لاتمام هـذا المشـروع» وأمثال ذلك، اذن فلو تقـدم هـذا الشـخص فى ميـدان التأليف فإنّه قـد يشـرع بتأليف كتاب وهو فى سن السـبعين من العمر حيث من البعيد حسب التحليل الظاهرى والمادى أنّ قواه الفكرية والنفسـية سـتواصل هـذا العمل إلى النهاية، وإن عقد العزم على الشـروع بعمل معين فى مجالات اخرى من الخدمات الثقافية والفكرية وبيـد عزلاء وامكانات محـدودة ظاهراً، أو أمر بالإقـدام على عمل واطروحة معينة قد يعتقد البعض بأنّ الانتهاء منها وإتمامها أقرب إلى المزاح. ونحن بدورنا نشكر اللَّه تعالى على أنّ استاذنا من جملة الأشخاص الذين يتمتعون بهذه الرؤية النورانية، بمعنى أنّه يمثّل فرضية «القطرة المتصـلة بالبحر» حيث يرى امكاناته لا متناهية، وبما أنّه متعطش للخدمة ولاحياء الدين والمذهب فإنّه لا يجد فى نفسه شـعوراً بالتعب من النشاطات العلميـة والثقافية ولا يشـعر بالارتواء منها. ومن أجل إثبات هذا المدّعى يكفى أن نشـير أولًا: إلى إقدامه الشـجاع فى مجال شـرح وتفسـير نهـج البلاغة الذى بدأه فى السـبعين من العمر مع ما نعلمه من سـعة هذا المشـروع وطول مدّته «وبحمد اللَّه تمّ إصدار ثلاثة مجلدات منه تتضـمن شـرح الخطبة الاولى إلى الخطبة التسـعين» حيث يستغرق هذا العمل بحساب بسيط خمسة عشر عاماً على الأقل للانتهاء منه. وثانياً: بملاحظة فهرست التأليفات والتصـنيفات التى كتبها سماحته حيث يتجاوز عددها مائة وثلاثين كتاباً، ولو ألقينا نظرة إلى فهرست سائر الخـدمات الثقافية لسـماحته «من قبيل بناء مسـجد ومدرسة وأمثال ذلك» لرأينا أنّها على نحوين: أ) الآثار العلمية. ب) الآثار الاجتماعية السيرة المباركة، ص: ۲۲۹ أ) الآثار العلمية وتشمل ۱۳۱ كتاباً فى ۷۰ عنواناً وفى ثمانية أبواب لقد تمّ نشر أكثر من مائـة وثلاثين كتاباً فى سـبعين عنواناً إلى هذا الزمان الذى أكتب فيه هذه السـطور، وقد تمّ إعادة طبع بعضـها أربعين مرّة وتمّ كـذلك ترجمـة الكثير منها إلى عـدّة لغات عالميـة. وفى نظرة إجماليـة على هـذه الكتب والمؤلّفات يمكننا إدراجها فى ثمانية أبواب:

الباب الأول: الكتب الفقهية والاصولية هذا الباب يتضمن الكتب والمؤلفات التالية: ۱- كتاب البيع (أنوار الفقاهة) (فى طبعة جديدة مع تصحيح وتنقّيح) ۲- كتاب المكاسب المحرّمه (أنوار الفقاهة) (بتنقيح جديد) ۳- كتاب الحدود والتّعزيرات، المجلد الأوّل (أنوار الفقاهة) (بتنقيح جديد) ۴- كتاب الخمس والانفال (أنوار الفقاهة) وفى هذه الكتب، التى تمّ تدوينها بقلم سماحة الاستاذ (دام ظلّه)، نرى أنّه مضافاً إلى استعراض المسائل الفقهية المتداولة، فهناك مسائل مستحدثة كثيرة، وبعض المسائل المهمّة مثل مسألة «ولاية الفقيه» حيث تمّ استعراضها بالتفصيل وبشكل مستدل. ۵- كتاب النكاح (بتنقيح جديد) وهذا الكتاب يمثّل مجموعة بحوث الخارج لسماحة الاستاذ فى مسائل أبواب النكاح كتبه سماحته بقلمه باللغة العربية، وقد تمّ طبع ونشر المجلد الأول منه. السيرة المباركة، ص: ۲۳۰ تقريرات دروس الخارج: وهى عبارة عن دروسه اليومية باللغة الفارسية تمّ تقريرها بواسطة طالبين جليلين من فضلاء الحوزة: الشيخ مسعود مكارم، والشيخ محمد رضا الحامدى، وهى تنشر على التوالى. ۶- القواعد الفقهيّه (فى مجلدين) (بتنقيح جديد مع تصحيح وتهذيب للنص) لقد بحثت فى هذا الكتاب ۳۰ قاعدة فقهية مهمّة لأول مرّة بأسلوب مبتكر. ۷- تعليقات على العروة الوثقى (فى مجلدين) وقد سعى سماحة الاستاذ فى هذا الكتاب- وخلافاً للمعتاد فى كتابة الحواشى والتعليقات- أن يشير إلى الأدلة المهمّة فى هذه المسائل الفقهية لتكون فائدتها أكثر (وخاصة فى المجلد الثانى، أى كتاب الحج فصاعداً حيث ذكر فيه الاستاذ إشارات لطيفة إلى الأدلة فى جميع الموارد). ۸- أنوار الاصول (فى ثلاثة مجلدات) (بتنقيح جديد) ويشمل دورة كاملة فى المسائل الاصولية، وهى عبارة عن الدورة الرابعة فى بحوث الخارج لُلاصول، وقد تمّ تدوينها بقلم (أحمد قدسى) فى غاية الدقّة وقوّة العبارة. ۹- الربا والبنك الإسلامى وهذا الكتاب نشر باللغتين الفارسية والعربية، ويستعرض أدلة حرمة الربا والاسلوب الصحيح للعمليات البنكية الإسلامية أو البنك اللاربوى. ۱۰- التحقيق «فى طرق الفرار من الربا» ويستعرض هذا الكتاب الذى نشر بالفارسية، الطرق المعروفة وغير المعروفة للفرار من الربا ويتحدث عن طرق الاستدلال الفقهى لهذه المسألة ويورد الأدلة الصحيحة وغير الصحيحة منها. ۱۱- التعزير وحدوده (بالفارسية) ۱۲- الحيل الشرعية والحلول لصحيحة (بالفارسية) السيرة المباركة، ص: ۲۳۱ وقد تصدى لتنظيم وتدوين الكتب الأربعة الأخيرة سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عليان نجادى. ۱۳- بحوث فقهيّه هامّة وفى هذا الكتاب الذى يتضمن ثمانية عشر مسألة فقهية مهمّة ومورد ابتلاء المؤمنين فى هذا العصر بشكل مستدل ومفصّل، والقسم الأكبر من هذا الكتاب يبحث فى ما يتعلق بالمسائل المستحدثة، وهذا الكتاب مكتوب باللغة العربية. ۱۴- دائرة المعارف للفقه المقارن ومن الموفقيات الإلهيّة الكبيرة لسماحة الاستاذ، عزمه على تدوين دائرة معارف فى مجال الفقه مع خصوصية أنّه مضافاً إلى بيان الأحكام الفقهية على أساس فقه أهل البيت عليهم السلام فإنّه يتطرّق إلى المذاهب الإسلامية بل يتعرض لآراء المقررات الحقوقية المطروحة فى المنظمات العالمية فى عملية مقارنة بينها واستجلاء عمق ودقّة وسعة فقه أهل البيت عليهم السلام بالمقارنة مع فقه المذاهب والمدارس الفقهية الاخرى. ومن هنا تأسيس مركز فقه أهل البيت عليهم السلام (مدرسة الإمام السجاد عليه السلام) وذلك فى عام ۱۳۸۱ ه ش، (الذى أخذ على عاتقه مهمّة تدوين دائرة المعارف هذه بمساعدة مجموعة من العلماء والفضلاء والمحققين فى الحوزة العلمية) وتمّ بحمد اللّه الانتهاء من تدوين المجلد الأول من هذه الموسوعة وارساله إلى المطبعة. ۱۵- رسالة توضيح المسائل وهناك رسائل عملية اخرى مثل: أ) أحكام الشباب (بالفارسية) ب) أحكام النساء (وقد نشرت بالفارسية- العربية). ج) ألف مسألة فقهية، وقد نشرت باللغات: الفارسية، العربية، الانجليزية، الصينية، الاوردية، الروسية والتركية الآذرية. ۱۶- مناسك الحج (بالفارسية والعربية والاوردية). السيرة المباركة، ص: ۲۳۲ ۱۷- المناسك فى أربع حواشى من المراجع العظام (السيد الكبايكانى، السيد الخوئى، الشيخ الآراكى «قدس اللّه أسرارهم» وسماحة الأستاذ) على مناسك الإمام الراحل رحمه الله وهذا الكتاب مكتوب باللغة الفارسية. ۱۸- العمرة المفردة (بالفارسية) ۱۹- حج النساء (بالفارسية) ۲۰- المناسك الجامعة للحج (بالفارسية) ۲۱- الاستفتاءات الجديدة (فى ثلاثة مجلدات) ويستعرض هذا الكتاب قسماً مهمّاً من المسائل الطبية وغير الطبية مورد الابتلاء فى هذا الزمان. وهذا الكتاب نشر أيضاً باللغة العربية «الفتاوَى الجديدة» فقد قام بتنظيم مسائله حجة الإسلام والمسلمين الشيخ أبو القاسم عليان نجادى، وقد قام أيضاً فيما سبق بتدوين وتنظيم كتاب المناسك الجامعة للحج. ۲۲-

حكم «الاضحية فى عصرنا» هذا الكتاب عبارة عن دروس لسماحة الاستاذ فيما يتعلق بفتواه المعروفة والجديدة حول االهدى فى الحج حيث تمّ تقريرها باللغة العربية بواسطة كاتب هذه السطور (قدسى)، وثد تمّ طبعها ضمن كتاب «بحوث فقهية هامة» وبشكل مستقل أيضاً. ۲۳- حول رؤية الهلال نشرت (بالفارسية- العربية) الباب الثانى: تفسير القرآن المجيد وفى هذا الباب نشير إلى الكتب التالية: ۲۴- ترجمه شيّقة للقرآن الكريم باللغة الفارسية السيرة المباركة، ص: ۲۳۳ وهذه الترجمة حصيلة جهد عدّة سنوات لسماحة الاستاذ ومجموعة من رفاقه، وقد عرفت فى الحال الحاضر من قبل مجموعة من المحققين بعنوان أفضل ترجمة للقرآن الكريم باللغة الفارسية. ۲۵- التفسير الأمثل (فى ۲۷ مجلداً بتنقيح جديد) هذا التفسير نتيجة جهد مستمر فى خمس عشر سنة لسماحة الاستاذ بمعونة مجموعة من فضلاء وعلماء الحوزة العلمية فى قم، وهم: (حجج الإسلام: محمد رضا آشتيانى- محمد جعفر الإمامى- عبدالرسول الحسنى- السيد حسن شجاعى- محمود شجاعى- محسن قرائتى- محمد محمدى) حيث تمّ الانتهاء من هذا المشروع الكبير تحت نظر سماحة الاستاذ وقد استقبل هذا التفسير من قبل جميع شرائح المجتمع استقبالًا كبيراً إلى حدّ أنّ بعض مجلداته تكرر طبعها أربعين مرّة، وتمّ ترجمته إلى العربية باسم: «الأمثل فى تفسير كتاب اللّه المنزل» فى ۱۵ مجلداً وباللغة الاوردوية، الانجليزية والتركية. والجدير بالذكر أنّ هذه الشجرة الطيبة تفرعت وكثرة أغصانها حيث تمّ اقتباس عدّة كتب من هذا التفسير، منها: أ) خلاصة التفسير الأمثل (فى خمسة مجلدات) وقد طبع هذا الكتاب عدّة مرّات وترجم إلى اللغة الانجليزية أيضاً. ب) قصص التفسير الأمثل. ج) لغات التفسير الأمثل (فى أربعة مجلدات) ويمثل هذا الكتاب أفضل ما كتب فى لغة القرآن. د) العبادة فى التفسير الأمثل (بالفارسية). ه) ۱۸۰ سؤال وجواب من التفسير الأمثل (بالفارسية). و) تفسير الشباب (وهو عبارة عن خلاصة لكل مجلد من التفسير الأمثل وقد استقبل من قبل الشباب) وقد نشرت هذه السلسلة باللغة الفارسية. ۲۶- التفسير الموضوعى (نفحات القرآن) (فى عشرة مجلدات) السيرة المباركة، ص: ۲۳۴ هذا الكتاب تمّ تدوينه باسلوب جديد فى مجال التفسير الموضوعى، وهو عبارة عن دورة كاملة فى المعارف والعقائد الإسلامية فى عشرة مجلدات، وتمّ طبع بعض المجلدات منه ست مرّات ووضع على شكل كتاب دراسى أو كتاب مساعد فى بعض الجامعات. وقد قام كل من السادة حجج الأسلام محمد رضا آشتيانى- محمد جعفر الإمامى- عبدالرسول الحسنى- محمد الأسدى- حسين الطوسى- السيد شمس الدين الروحانى- محمد محمدى، بمساعدة سماحة الاستاذ فى تدوين هذا الكتاب وتأليفه. وقد ترجم هذا الكتاب باللغة العربية بهذا العنوان «نفحات القرآن» فى عشرة مجلدات أيضاً. ۲۷- الأخلاق فى القرآن (ثلاثة مجلدات ويمثل الدروة الثانية من نفحات القرآن) وهو عبارة عن دورة كاملة فى الأخلاق الإسلامية (سواء فى المبانى أو الفروع) وقد طبع منه ثلاثة أجزاء بالعربية، وقد وضعت بعض أجزائه فى الحوزة والمدارس بشكل كتاب دراسى. وقد تمّ ترجمة هذا الكتاب إلى العربية وطبع فى ثلاثة مجلدات بعنوان «الأخلاق فى القرآن». ۲۸- أمثال القرآن (فى مجلدين) ويبحث هذا الكتاب مجموعة من البحوث التفسيرية لسماحة الاستاذ التى كان يلقيها فى شهر رمضان المبارك (فى سنتين) حيث قام بتدوينها أحد فضلاء طلّابه (حجّة الإسلام الشيخ عليان نجادى) ويشتمل على ستين مثالًا قرآنياً، وقد تمّ طبع هذا الكتاب باللغة العربية بعنوان «أمثال القرآن» فى مجلد واحد. الباب الثالث: الكتب الاعتقادية والكلامية السيرة المباركة، ص: ۲۳۵ وفى هذا القسم نشير إلى مجموعة كبيرة من الكتب فى هذا المجال، لأنّ أكثر كتب سماحة الاستاذ تبحث فى باب العقائد التى تعتبر الأصل والأساس للمعارف الإسلامية، ولذلك سمّيت اصول الدين: ۲۹- البحث عن اللّه ۳۰- خالق الكون ۳۱- كيف نتعرف على اللّه؟ (بالفارسية) ۳۲- القادة العظماء (بالفارسية) ۳۳- القرآن والنبى الخاتم صلى الله عليه و آله (بالفارسية) ۳۴- المعاد والعالم الآخرة إنّ الكتب الستة المذكورة أعلاه عبارة عن حصيلة دروس فى العقائد والمذاهب التى كان سماحة الاستاذ يلقيها على طلّابه ليالى الخميس وفى مدّة ثلاثين سنة تقريباً فى مدرسة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام ومدرسة الحجتية فى قم، ثم تمّ تدوينها وتنظيمها بشكل جيد بقلم الاستاذ نفسه وقام بعض طلابه الفضلاء بتنقيحها وتحقيقها. ولا بأس بالإشارة إلى أنّ مجموعة معتبرة من أرباب القلم وأهل التحقيق والتأليف فى مختلف المعارف الدينية قد تخرجوا من هذه الجلسات. وقد ترجم هذا الكتاب باللغة العربية. ۳۵- عقيدة المسلم (بالفارسية) ۳۶- البحث عن اللّه ۳۷- دروسٌ فى العقائد الاسلامية ۳۸- الإسلام فى

تحقيق مختصر (بالفارسية) ۳۹- ماذا ينبغى معرفته من الإسلام؟ (الإسلام فى نظرة واحدة) (بالفارسية) وهذه المجموعة من الكتب الخمسة تبحث أيضاً فى اصول الدين على مستويات مختلفة وقد طبعت مرات عديدة السيرة المباركة، ص: ۲۳۶ ۴۰- مسألة الانتظار (بالفارسية) ويبحث سماحة الاستاذ فى هذا الكتاب مسألة انتظار ظهور الإمام المهدى عليه السلام بتحليل منطقى شيّق، (وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الاوردية). ۴۱- المناظرات التاريخية للإمام الرضا عليه السلام (بالفارسية) وهذا الكتاب يتعلق بالمؤتمر التاريخى للإمام الرضا عليه السلام التى اقيم قبل عدّة سنوات من قبل الهيئة الرضوية المقدّسة فى مدينة مشهد واشترك فيه مجموعة كبيرة من علماء الإسلام فى مختلف البلدان الإسلامية حيث بحث كل واحد منهم زاوية من حياة وسيرة ثامن الأئمّة عليهم السلام. وبما أنّ أحد الأبعاد المهمّة فى حياة الإمام الرضا عليه السلام هو المناظرة التى اشترك فيها الإمام مع علماء الأديان والمذاهب الكبيرة الاخرى من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم، فقد اوكل أمر التحقيق فى هذا المجال إلى سماحة الاستاذ وتمّ الانتهاء منه بحمد اللّه بشكل جيد وقد قامت الهيئة المذكورة بطبعه ونشره. ۴۲- مقدمة على كتاب «الوحى» (بالفارسية) وهذا الكتاب عبارة عن مقدّمة على كتاب «الوحى» للعلّامة المرحوم السيد الطباطبائى رحمه الله، وبما أنّ هذا الكتاب يبحث مسألة الوحى بتفصيل أكثر فلذلك تمّ طبعه بشكل مستقل. ۴۳- الحكومة العالمية للإمام المهدى عليه السلام وهذا الكتاب والذى طبع سابقاً بعنوان «الإمام المهدى والثورة العالمية»، وكما يظهر من اسمه، يعالج مسألة ظهور الإمام المهدى عليه السلام وخصائص حكومته العالمية، ويمتاز هذا الكتاب عن سائر الكتب التى كتبت فى هذا المجال أنّ سائر الكتب تبحث هذه المسألة من خلال (الآيات والروايات)، ولكنّ هذا الكتاب مضافاً إلى ذكر أهم الأدلة من «الكتاب والسنّة» على هذه المسألة فإنّه يتحرك فى الاستدلال على كثير من المسائل المتعلقة بالإمام المهدى عليه السلام من موقع الأدلة العقلية، ولهذا يمكننا اعتبار هذا الكتاب لا نظير له فى السيرة المباركة، ص: ۲۳۷ المكتبة الإسلامية فى هذا المجال. ۴۴- دوافع ظهور المذاهب (بتهذيب جديد) (بالفارسية) وهذا الكتاب أيضاً يمثل حصيلة جلسات فى دروس عقائدية من قِبل سماحة الاستاذ لعدّة سنوات فى الحوزة العلمية فى قم، ولأول مرّة يطرح نقداً شاملًا لجميع فرضيات ظهور الأديان والمذاهب فى المجتمعات البشرية التى طرحت من قِبل علماء النفس الغربيين، ثم يتعرض الاستاذ لإثبات النظرية العلمية فى ظاهرة الوحى، وهذا الكناب بدوره يقلّ نظيره فى الكتبة الإسلامية. ۴۵- هذا هو مذهبنا (بالفارسية) وهذا الكتاب عبارة عن ترجمة لكتاب معروف «أصل الشيعه واصولها» للمرحوم آية اللّه العظمى الشيخ كاشف الغطاء؛ ولكنّه ليس مجرّد ترجمة محضة بل إن سماحة الاستاذ قام بكتابة مقدّمة وهوامش وخاتمة لهذا الكتاب وبذلك خرج هذا الكتاب بشكل أكمل وأعمق. ۴۶- تجلّى الحق (بالفارسية) وهذا الكتاب هو أول كتاب علمى من تأليف سماحة الاستاذ حيث ألّفه فى عنفوان الشباب وكان الباعث لذلك ما كانت الفرقة الصوفية تقوم به من اشاعة أفكارهم فى مدينة شيراز، فكتب الاستاذ نقداً لأفكارهم ومدعياتهم وكشف عن انحرافهم وزيف عقائدهم بأسلوب منطقى وعلمى. هذا الكتاب هو الكتاب الذى حظى بتقدير المرحوم آية اللّه العظمى البروجردى الذى تقدم الكلام عنه فى الفصل التاسع، وقد تمّ طبعه أخيراً مع اضافات كثيرة وهوامش من قِبل المرحوم حجّة الإسلام الإلهامى. ۴۷- عقائدنا وهذا الكتاب آخر كتب سماحة الاستاذ فى مجال العقائد والكلام، والباعث لكتابته هو السيرة المباركة، ص: ۲۳۸ أنّ الاستاذ تشرّف فى الاعوام الأخيرة لزيارة بيت اللّه الحرام «للعمرة» وشاهد ما كان يقوم به أتباع الوهابية وبعض الفرق المنحرفة من كيل الاتهامات الزائفة ونفث السموم الخطيرة فى المذهب الشيعى، وهذه الأكاذيب والافترات لا تمثّل مذهب الشيعة اطلاقاً ولا يعلم بها علماء الشيعة أنفسهم. ولذلك عزم سماحته على كتابة عقائد الشيعة بصورة دقيقة وشيّقة (وبدلائل مقبولة مختصرة)، ومن الواضح أنّ هذا الكتاب عندما يصدر من شخص يعتبر من الكتاب المعروفين ومراجع الشيعة المشهورين يسدّ الطريق أمام الأعداء ويتمّ عليهم الحجّة ويظهر حقائق المذهب الشيعى لمن يطلب الحقيقة. وقد استقبل هذا الكتاب كثيراً من قِبل المثقفين وأصحاب الاهتمامات العلمية وقد ترجم فى مدّة قصيرة إلى عدّة لغات عالمية. ۴۸- آيات الولاية من جملة الآيات القرآنية التى تمّ تفسيرها من قبل سماحة الاستاذ فى شهر رمضان المبارك، الآيات المتعلقة بولاية أهل البيت عليهم السلام، وقد قام سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ عليان نجادى بتدوينها وبتنظيمها وطبعها. الباب الرابع: الكتب

الفلسفیة ونشیر فی هذا المجال إلی الکتب التالیة: ۴۹- أشباه الفلاسفة (بالفارسیة) وهذا الکتاب هو الکتاب الثانی من تألیفات سماحة الاستاذ الذی ألّفه فی مرحلة الشباب وطبع فی ذلک الوقت وانتخب من قِبل هیئة التحکیم فی الکتب «وهم مجموعة من اساتذة الجامعة» بعنوان أفضل کتاب لسنة ۱۳۳۳ ه ش، وقد سبق أن ذکرنا تفاصیل کیفیة السیرة المبارکة، ص: ۲۳۹ تألیف هذا الکتاب وما یتضمنه من محتویات ومدی تأثیره الواسع فی الداخل والخارج فی الفصل الثانی وبعض الفصول الاخری من هذا الکتاب. ۵۰- دراسة عن المادیة والمارکسیة (بالفارسیة) هذا الکتاب بدوره یبحث فی مجال أفکار وعقائد التیار المارکسی والشیوعی ولکنه کتب بأسلوب آخر. ۵۱- نهایة عمر المارکسیة (بالفارسیة) وقد توصل سماحة الاستاذ فی تحلیله للمارکسیة إلی أن نجم المارکسیة والشیوعیة سرعان ما یغرب عن أجواء المجتمعات البشریة، وهذا التنبؤ کان قبل انهیار الاتحاد السوفیتی بعشر سنوات حیث کان الاتحاد السوفیتی فی أوج القدرة، ولکنّ سماحة الاستاذ أخبر عن انهیار المارکسیة، لیس فقط فی محتویات الکتاب بل من خلال اختیاره لهذا الاسم (نهایة عمر المارکسیة). ۵۲- المذاهب الانتقائیة (الالتقاط والالتقاطیون) بالفارسیة وهذا الکتاب کما یبدو من اسمه یتحدّث عن المذاهب الانتقائیة فی المجتمعات الإسلامیة، أی المذاهب التی أخذت بعض عقائدها من الإسلام والبعض الآخر من الکفر، وخلطت بین الحق والباطل بعد أن أخذت شیئاً من کل منهما. ۵۳- آخر فرضیّة للتکامل (بالفارسیة) وهو بحث فلسفی حول آخر فرضیات مقولة التحوّل والتکامل فی أنواع الأحیاء وفیه نقد لنظریة (دارون) المعروفة وأتباعه. ۵۴- سرّ الوجود (بالفارسیة) هذا الکتاب فی الواقع یترجم المسیرة الفکریة لسماحة الاستاذ فی مرحلة الشباب وصاعداً علی مستوی الرؤیة الکونیة فی المفاهیم الإسلامیة. ۵۵- عودة الأرواح (الارتباط مع الأرواح) السیرة المبارکة، ص: ۲۴۰ ویبحث هذا الکتاب مسألة تناسخ الأرواح وعودتها مرّة ثانیة إلی القوالب الجسمانیة لأشخاص آخرین فی هذا العالم، وکذلک یبحث إمکانیة الارتباط مع الأرواح التی وقعت مورد البحث والدراسة لکبار العلماء المعاصرین، ویبحث هذا الکتاب کلتا المسألتین من موقع النقد والتحقیق العلمی وقد تمّ ترجمة وطبع هذا الکتاب باللغة العربیة بعنوان «الاتصال بالأرواح بین الحقیقة والخیال». الباب الخامس، الکتب الأخلاقیة نشیر فی هذا الباب إلی الکتب التالیة التی قام بتألیفها سماحة الاستاذ: ۵۶- الاخلاق الإسلامیة فی نهج البلاغة (مجلدین) وهذا الکتاب عبارة عن شرح لخطبة الإمام علیه السلام الموجّهة إلی همّام فی نهج البلاغة والتی تطرق فیها الإمام أمیرالمؤمنین علیه السلام إلی وصف المتقین ۱۱۰ صفةو علامة. وکان سماحة الاستاذ یلقی هذه المواضیع فی شهر رمضان المبارک علی شکل دروس لیلیة وبعد أن تمّ جمعها وتدوینها بواسطة أحد الفضلاء الحاضرین فی الدرس وهو سماحة حجّة الإسلام خادم الحسینی، تمّ طبع الکتاب ونشره باللغة الفارسیة. ۵۷- المجتمع السالم فی ظلّ الأخلاق (بالفارسیة) ۵۸- الحیاة فی ظلال الأخلاق (بالفارسیة) وهما کتابان مختصران یبحثان فی مواضیع أخلاقیة مهمّة، ویعتبران مرشداً أخلاقیاً جیداً للشباب. ۵۹- مائة وخمسون درساً فی الحیاة ویتضمن هذا الکتاب مائة وخمسین حدیثاً شریفاً فی مجال الأخلاق مع شرح وافٍ السیرة المبارکة، ص: ۲۴۱ ومختصر لکل واحد منها (کل حدیث فی صفحة واحدة)، ویعتبر هذا الکتاب مصدراً جیداً للخطباء والوعاظ وکذلک لسائر شرائح المجتمع الإسلامی، وقد ترجم هذا الکتاب إلی اللغة الانجلیزیة والعربیة تحت عنوان «دروسٌ فی الحیاة» أیضاً. ۶۲- أنوار الهدایة (بالفارسیة) ۶۱- ۱۱۰ دروس من کلمات الإمام علی علیه السلام (بالفارسیة) یقوم سماحة الاستاذ أیّام الأربعاء عادة وبعد الانتهاء من درس الخارج للفقه باستعراض روایة شریفة فی مجال الأخلاق، لیجمع الطلّاب والفضلاء بین التقدم العلمی والتقدم فی مجال تهذیب الأخلاق، فیبحث هذا الکتاب بالتفصیل فی مجال الأخلاق وتهذیب النفس، وبما أنّ هذه البحوث نافعة للجمیع، قام بعض الفضلاء المشترکین فی هذه الدروس (وهو حجّة الإسلام والمسلمین علیان نجادی) بجمعها ونشرها تحت عنوان «أنوار الهدایة» أو «۱۱۰ درساً کم کلمات الإمام علی علیه السلام). وفی ختام هذا الباب لا بأس بالإشارة إلی أنّ «الأخلاق فی القرآن» الذی کتب فی ثلاثة مجلدات ویبحث فی اصول وفروع الأخلاق الإسلامیة وتحقیق هذه المسائل بصیاغة علمیة، یمکن ادراجه فی هذا الباب أیضاً ولکن نظراً لذکره فی باب التفسیر فلذلک ترکنا ذکره فی عداد الکتب الأخلاقیة فی هذا الباب. الباب السادس: فلسفة الأحکام والإجابة عن الأسئلة ویبحث سماحة الاستاذ فی هذا الکباب بعض فلسفة الأحکام الشرعیة الغامضة لدی کثیر من الناس

ويستجلى الحكمة والغرض من هذه الأحكام بأسلوب شيق وبلغة العصر، ومنها: ۶۲- التقليد أو التحقيق (بالفارسية) السيرة المباركة، ص: ۲۴۲ ۶۳- الخمس دعامة استقلال بيت المال (بالفارسية) ۶۴- التفسير بالرأى (بالفارسية) ۶۵- التقيّـة درع واقٍ فى التصدى والمواجهة (بالفارسية) ۶۶- فلسفة الصوم (بالفارسية) ۶۷- فلسفة الشهادة (والبكاء على شهداء كربلاء) (بالفارسية) وكل شخص يقرأ هذه الكتب يجد فى نفسه اليقين بحكمة البارى تعالى فى تشريعه لهذه الأحكام المصيرية والضرورية لحركة الحياة الفردية والاجتماعية. ۶۸- أسئلة وأجوبة (فى أربعة مجلدات) لقد تمّ تأليف هذا الكتاب بمساعدة آية اللّه السبحانى، وهو عبارة عن مجموعة قيمة من الأسئلة الدينية المهمّة فى مجال اصول الدين وفروعه ويتضمن أجوبة مستدلة تعالج كثيراً من الشبهات المعاصرة لجيل الشباب، وقد طبع هذا الكتاب سابقاً فى أربعة مجلدات وتمّ أخيراً طبعه مجدداً وباضافات كثيرة فى مجلد واحد كبير باسم «الأجوبة على الاسئلة الدينية». الباب السابع: شرح نهج البلاغة ۶۹- رسالة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام (فى ستة مجلدات) وهذا الكتاب، كما يقول سماحة الأستاذ: إنّ نهج البلاغة كتاب مظلوم كأمير المؤمنين عليه السلام، فبالرغم من أنّ مجموعة من المحققين الكبار بذلوا جهودهم فى شرحهم لنهج البلاغة لبيان أسرار كلمات الإمام عليه السلام والتعمق فى مطاوى أحاديثه وكلماته واكتشاف مكنوناتها لعشّاق الفضيلة وطلّاب الحقيقة، إلّاأنّ هذه الشروح رغم كونها جديرة بالشكر والتقدير، ولكنّها محدودة ومعدودة والغالب عليها أنّها مكتوبة بلغة غير عصرية. السيرة المباركة، ص: ۲۴۳ ومن هنا عزم سماحة الاستاذ وبمعونة مجموعة من أصحابه فى التفسير الأمثل، وهم: حجج الإسلام: محمد جعفر الإمامى، محمد رضا الاشتيانى، إبراهيم البهادرى، سعيد الداودى، احمد القدسى وغيرهم على تأليف شرح جامع وجديد لنهج البلاغة واستخراج جواهر هذا البحر المتلاطم من المعارف الإلهيّة والعلوم الربانية. وقد تحقق بحمد اللّه هذا الهدف ولبس ثوب الواقع وصدرت منه ستة مجلدات لحد الآن على الرغم من المشاغل الكثيرة الناتجة عن التصدى لمقام المرجعية، وقد استقبل هذا الشرح استقبالًا كبيراً فى الأوساط العلمية والدينية، ونأمل إن شاء اللّه تعالى أن ينتهى الاستاذ من هذا المشروع الفكرى القيم. وقد ترجم وطبع لحد الآن خمسة مجلدات من هذا الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان «نفحات الولاية فى شرح نهج البلاغة»، وتمّ طبعها ونشرها. الباب الثامن: منوعات ونستعرض فى هذا القسم مواضيع متنوعة من الكتب التى تبحث فى قضايا الشباب أو تجيب عن بعض الشبهات وعلامات الاستفهام أو تقوم بدراسة قضايا تاريخية أو مشاكل اجتماعية مهمّة، وهى عبارة عن: ۷۰- المفاتيح الجديدة (بالفارسية) يعتبر هذا الكتاب خطوة اخرى على مستوى احياء كتاب مفاتيح الجنان للمرحوم المحدّث القمى رحمه الله مع خصوصيات وامتيازات اخرى من قبيل: ۱- نقل جميع الأدعية، الزيارات، الاذكار من المنابع المعتبرة مع ذكر المصدر. ۲- كتب بلغة عصرية وقابلة للاستفادة من قبل الجميع. ۳- تتضمن روايات ومقدّمات مربية فى كل من الأقسام. السيرة المباركة، ص: ۲۴۴ ۴- شرح آداب ومقدمات وأسرار الزيارات والأدعية. ۵- تقسيم فصول الكتاب إلى عشرة فصول وبنظم خاص. ۶- الاجتناب عن الروايات الضعيفة. ۷۱- القرآن والحديث (بالفارسية) وهو كتاب صغير يبحث فى مسألة كبيرة، وهى ما ورد عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله من «حديث الثقلين» الذى يعتبر أهم أسناد حقانية أهل بيت النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. ۷۲- الأسماء النورانية لفاطمة الزهراء عليها السلام (بالفارسية) من جملة الجلسات المعنوية المباركة التى كانت تعقد فى منزل سماحة الاستاذ، الجلسات فى أيّام الفاطمية فى سنة ۱۳۷۱ ه‍ ش وقد أفاض علينا الاستاذ فى هذه الجلسات بعض ما يتعلق بأسماء النورانية لفاطمة الزهراء عليها السلام، حيث حالفنى التوفيق على لتدوين وتنظيم هذه المحاضرات فى كتاب خاص وطبعه بهذا العنوان أيضاً ويتضمن بحوثاً لم ترد فى كتاب «الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين». ۷۳- الزهراء عليها السلام، أفضل نساء العالمين ويتضمن شرحاً وافياً لخطبة فاطمة الزهراء عليها السلام المعروفة مع استعراض سيرتها وأحوالها، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية أيضاً. ۷۴- الخطوط الأصلية للإقتصاد الإسلامى فى هذا الكتاب يبحث الاستاذ المدارس الاقتصادية المختلفة فى العالم بلغة النقد والتحقيق ويبيّن نقاط ضعفها فى مقابل المذهب الاقتصادى الإسلامى. وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية. ۷۵- المديريّة والقيادة فى الإسلام (بالفارسية) يقول سماحة الاستاذ: عندما طلب منى بعض كبار المسؤولين فى حرس الثورة أن أكتب لهم كتاباً ينتفعون به فى جلساتهم ودروسهم فى موضوع

«القيادة الإسلامية» فكلّما السيرة المباركة، ص: ٢٤٥ فكرت فى كتاب يتعرض لهذه الموضوع لم أجد مثل هذا الكتاب، ولذلك اضطررت إلى تأليف كتاب مختصر فى هذا الموضوع بإمكانه أن يكون بمثابة مقدّمة وإطلالة على هذا الموضوع ثم أضفت له مسألة «المديرية» لأنّ القيادة أحد مصاديق المديرية «المديرية فى الحرب». وقد طبع هذا الكتاب عدّة مرات ويدّرس الآن فى مراكز قيادات الجيش والحرس. ٧۶- المعراج، شقّ القمر، والعبادة فى القطبين (بالفارسية) ويبحث هذا الكتاب ثلاث مسائل مهمّة ومثيرة للتساؤل ولا سيّما بعد أن ثبت علمياً إمكان المعراج وشقّ القمر، ويبيّن وظيفة الساكنين فى المناطق القطبية حيث يمتد الليل أو النهار إلى عدّة أيّام أو أشهر، بل فى النقطة الأصلية للقطب تكون جميع أيّام السنة عبارة عن ليل أو نهار واحد حيث يطول كل من الليل والنهار لمدّة ستة أشهر، فيبيّن هذا الكتاب الحكم الشرعى بالنسبة للصلاة والصيام فى ذلك المكان. ٧٧- الصلاة، المدرسة التربوية العالية (بالفارسية) ٧٨- أنقذوا الشباب (بالفارسية) ٧٩- ألعاب خطيرة (بالفارسية) ٨٠- هذه المسائل محل ابتلاء جميع الشباب (بالفارسية) هذه الكتب الأربعة تتحدّث أساساً عن قضايا تخص الشباب، وفى الواقع أنّ المخاطب الأصلى لكثير من كتب سماحة الاستاذ هم شريحة الشباب، لأنّ إصلاح هذه الشريحة يؤدّى إلى إصلاح المجتمع، وفسادهم يؤدّى إلى فساد المجتمع وتأخره وانحطاطه. ٨١- القيم المنسية (بالفارسية) ويتضمن هذا الكتاب مجموعة من المقالات المهمّة التى كتبها الاستاذ فى مجلة «مكتب اسلام» فى عهد الطاغوت وحكومة الشاه حيث أدّت إلى خلق حركة فكرية وموج ثقافى فى المجتمع بحيث سبب ذلك إلى منع إصدار المجلة أحياناً، وقد تمّ جمع وتنظيم هذه المقالات فى كتاب وطبعه بشكل مقبول. السيرة المباركة، ص: ٢۴۶ ٨٢- اسرار تخلّف الشرق (بالفارسية) يبحث هذا الكتاب- كما يظهر من اسمه- فى علل وأسباب تخلّف المسلمين بعد النهضة الحضارية الكبرى فى تاريخ الإسلام. ٨٣- اطروحة الحكومة الإسلامية (بالفارسية) لقد كان الكثير من الناس فى بداية انتصار الثورة الإسلامية وتشكيل الحكومة الإسلامية يتساءلون عن ماهية وأركان الحكومة الإسلامية. ومن هنا قام سماحة الاستاذ بكتابة «اطروحة الحكومة الإسلامية» لغرض الإجابة عن مثل هذه التساؤلات، وبعد ذلك تابع سماحته هذا البحث المهم فى المجلد العاشر من كتاب «نفحات القرآن» بشكل مفصّل ومستدل، فجاء هذا الموضوع متكاملًا ومهمّاً فى بابه. ٨۴- المشكلات الجنسية للشباب تصل يومياً رسائل كثيرة لسماحة الاستاذ من مختلف مناطق البلاد حول مشكلات الشباب الجنسية، وقد تحرك هذا الطبيب الروحانى لتأليف كتاب جامع يتضمن الوقاية من هذه المشكلات وبيان علاجها. ويعتبر هذا الكتاب بمثابة السهم الذى أصاب الهدف بدقّة ورسم طريق النجاة للكثير من الشباب، ولذلك استقبل هذا الكتاب استقبالًا جيداً إلى درجة أنّه طبع مرات عديدة وبمقدار كبير، وقد طبع لحدّ الآن ٣٨ مرّة. وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية أيضاً وطبع. إنّ هذه الكتب والمصنّفات المذكورة تمثل قسماً أعظم من آثار سماحة الاستاذ فى مجال الكتابة والتأليف، ومضافاً إلى مئات المقالات وما كان على شكل مقدّمة وتقريظ على بعض الكتب بقلم سماحة الاستاذ، بحيث لو جمعت هذه المكتوبات فى كتاب واحد لأصبحت منبعاً سائغاً ومنهلًا عذباً لطلّاب الحقيقة وأرباب العلم. السيرة المباركة، ص: ٢۴٧ ب) الآثار الاجتماعية نظراً إلى أنّ الخدمات الثقافية لا يمكنها البقاء إلّافى أجواء مناسبة ومناخ مطلوب، فقد قام سماحة الاستاذ- لغرض تفعيل خدماته العلمية والثقافية وبمساعدة بعض الاخوة الخيّرين وجمهور الناس المؤمنين- بناء عدّة أبنية وعمارات مجهزة لهذا الغرض، وهى كالتالى:

١- مدرسة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام:

وقد تمّ بناء هذه المدرسة فى مدينة قم على أساس أنّها تمثّل المركز الأصلى للفعاليات الثقافية والعلمية لسماحة الاستاذ طيلة السنوات المتمادية، ويتمضن هذا المركز المبارك مركزاً للنشر حيث قام بتهيئة جميع مجلدات التفسير الأمثل وكثيراً من الكتب الاخرى، وقد كان سماحته يقوم بتدريس الفقه والاصول والعقائد فى هذا المكان الشريف منذ سنوات طويلة.

٢- مدرسة الإمام المجتبى عليه السلام:

وهذه المدرسة تعتبر مركزاً لتربية مجاميع من‌الطلّاب الأذكياء اللائقين، وتعدّ من أفضل مدارس الحوزة العلمية فى مدينة قم.

۳– مدرسة الإمام الحسين عليه السلام:

هذه المدرسة مجهّزة بمكتبة فخمة وتعتبر مركزاً للبحوث التخصصية فى التفسير والعلوم القرآنية فى الحوزة العلمية فى قم، وقد اخرجت مفسّرين كثيرين. ويقع مكتب الاستاذ الذى يرجع إليه الناس فى مسائلهم وحوائجهم ولملاقاة سماحته فى هذه المدرسة.

۴– مدرسه الإمام السجّاد عليه السلام

(مؤسسة فقه أهل البيت عليهم السلام): تعتبر هذه المؤسسة، التى لا يتجاوز عمرها سنتين فى الواقع، مركزاً لتدوين (دائرة المعارف للفقه المقارن) والتى سبق بيان وشرح إجمالى عنها ضمن استعراض سائر الكتب الفقهية لسماحة الاستاذ.

۵– مجمع الإمام الصادق عليه السلام للثقافة والإسكان:

ويقوم هذا المجمع فى بناية جميلة جدّاً فى مدينة مشهد فى ستة طوابق لغرض اسكان زوار الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام وخاصة طلّاب الحوزة العلمية فى قم الذين يسافرون إلى هناك للزيارة، وقد بنى على شكل شقق مجهّزة بجميع وسائل المعيشة وهى تحت خدمتهم مجاناً. وهذه البناية تحتوى على مكتبة، حسينية، مطبخ وصالون للطعام مجهّز، ويقع مكتب سماحة الاستاذ فى مشهد إلى جوار هذا البناء أيضاً.

۶– مجمع الإمام الباقر عليه السلام للثقافة والإسكان:

ويقع هذا المركز فى مدينة مشهد أيضاً، مجاوراً لمركز الإمام الصادق عليه السلام الثقافى، ونظراً إلى أنّ المركز السابق يضيق بالزوار والمراجعين، وخاصة فى أيّام الصيف حيث تكون الطلبات أكثر من المتوقع ويجد المسؤولون ضرورة لإجراء القرعة فى استقبال الزوار ويبقى الكثير منهم قيد القرعة، فلذلك صمم سماحة الاستاذ على بناء مركز مجهّز آخر أكبر من المركز السابق بضعفين ويستوعب الزائرين والمراجعين القادمين من المدن الاخرى، وتمّ اختيار أرض أكبر ومساحة أوسع لبناء هذا المركز من ستة طوابق، وقد بدأ العمل فى بناء هذا المركز فعلًا وتمّ الانتهاء من بنائه وهو جاهز للاستفادة منه إن شاء اللّه تعالى.

۷– مجمع خاتم الأنبياء الثقافى:

كانت مجموعة من مقلدى سماحة الاستاذ ومعارفه فى موطنه الأصلى (شيراز) يتوقعون أن يقوم سماحته بإيجاد حركة ثقافية وعلمية ودينية واسعة فى مدينتهم بحيث تمتد أمواجها إلى مناطق اخرى من المحافظة، وبعد إجراء مشاورات لازمة تمّ شراء أرض بمساحة اثنى عشر ألف وخمسمائة متر فى منطقة حساسة ومحرومة من هذه المدينة (فى شارع أحمدى نو) وبدأت بتنفيذ وإجراء مقدّمات البناء لبناء السيرة المباركة، ص: ۲۴۹ عمارة لخمسة مراكز دينية كالتالى: ۱– دار القرآن (لتربية أساتذة القرآن والعلوم القرآنية والتفسير) ۲– الحوزة العلميّة ۳– مسجد ۴– مكتبة مجهّزة ۵– قاعة كبيرة لدار القرآن لغرض تشكيل المؤتمرات الكبيرة القرآنية والدينية. وببركة الألطاف الإلهيّة تمّ افتتاح «دار القرآن».

۸– المركز الثقافى ودار الفلسفى للمبلّغين (فى طهران):

تعتبر مدينة طهران عاصمة الحكومة الإسلامية وتضم الكثير من المبلّغين الدينيين، وكان سماحة الاستاذ راغباً فى بناء مركز لهؤلاء

المبلّغين وإجراء تمرينات لازمة ليتعرف هؤلاء المبلّغون على المسائل المستحدثة والشبهات الجديدة والإجابة عنها، ومضافاً إلى مسألة التنسيق فى امور التبليغ، والعمل كـذلك على تربيـة المبلّغين الجـدد تربيـة علمية ودينية لمزاولة امور التبليغ فى الداخل والخارج. ومن أجل هذا الهدف تمّ شـراء بيت المرحوم الخطيب الشهير فى القرن الحاضر حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ الفلسفى رحمه الله لبناء هذا المشروع الكبير والعمل على توفير مكتبة وقاعة اجتماعات ودروس فى هذا المجال. وبما أنّ هذا الخطيب الكبير انفق ٨٢ سنة من عمره المبارك (البالغ تسـعين سنة ونيفاً) فى خدمة المنبر والتبليغ للإسلام ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، فلم يرغب الاستاذ بإهمال ذكره فى أجوائنا الدينية، ومن أجل تقديم فروض التقدير والتكريم لهذا الخطيب الجليل خادم سـيد الشـهداء الإمام الحسين عليه السلام، أمر بتسمية هذا المركز باسم هذا الخطيب الكبير. وقد تمّ بناؤه بحمد اللَّه، حيث ستبدأ برامج فى هذا المركز قريباً إن شاء اللَّه.

٩– مركز التعرف على الشيعة:

نظراً لاتسـاع العلوم الإسـلامية فى الحوزات العلميـة والحاجـة المبرمـة للتعرف على مختلف العلوم فى الحوزة العلميـة، تمّ فى السـنوات الأخيرة تأسيس عدّة «فروع تخصصية» فى الحوزة العلمية فى قم، وكان لها اعتبار قانونى ورسمى أيضاً ووقعت مورد استقبال جيد لدى فضـلاء الحوزة العلمية. السـيرة المباركة، ص: ٢٥٠ هـذه الفروع العلمية عبارة عن: فرع التفسـير، الذى يقع تحت نظر واشـراف سـماحة الاسـتاذ، وهناك فروع فى علم الكلام، التبليغ، القضاء، نهج البلاغة، الحديث، الفلسـفة الإسـلامية وغير ذلك حيث تدار تحت اشراف اساتذة وفضـلاء آخرين من الحوزة العلمية. وأخيراً التفت سـماحته إلى هذه النقطة، وهى أنّ من أهم الفروع التخصصية هو فرع «معرفة الشيعة» الـذى يجـد مكانه خالياً بين هذه الفروع العلمية مع شدّة الحاجة إليه فى عصـرنا لحاضـر. وتبعاً لذلك فقد تمّ إدخال مواضـيع عديـدة فى هـذا الفرع، مثل: تاريـخ التشـيع من عصـر النبى الأكرم صـلى الله عليه و آله إلى العصـر الحاضـر، جغرافيا التشـيع فى جميع العالم، الفرق المختلفـة للشـيعة، أركان عقائـد الشـيعة، أدلـة المـذهب الشـيعى من الكتاب والسـنة وحكم العقل، الإجابة عن الشـبهات المختلفـة للمخالفين، دراسـة المسائل والامور المتعلقـة بالإمام المهدى (أرواحنا فداه) أيضاً. وقد منحت الشورى العالية للحوزة العلمية إجازة رسـمية بافتتاح هـذا الفرع أيضاً، وتمّ تهيئـة أرض واسـعة وجيـدة إلى جوار مسـجد جمكران لهذا الغرض ليكون العمل فى هذا المجال تحت ظلال الإمام بقية اللَّه الأعظم (أرواحنا فداه) ويبدأ العمل فيه فى المستقبل القريب.

١٠– مواقع الاينترنت:

وأحـد نشاطـات سـماحة الاسـتاذ المهمّـة هو تأسيس موقع للاـينترنت، وهـذا الموقع يزدحم فيه المراجعون ويتضـمن الكـثير من كتب الاسـتاذ وفتاواه الفقهيـة وما يرد كل يوم من اسـتفتاءات كثيرة إلى مكتب سـماحته من خلال هذا الموقع حيث يتصدى الاسـتاذ بنفسه للإجابة عن هذه الاستفتاءات بأجمعها، ويتمّ خزن ما يكون مفيداً ونافعاً للجميع فى شبكة الانترنيت.

١١ و ١٢– بناء ١١٠ مساجد و ١١٠ مدارس فى المناطق المحرومة:

لقد سـميت سنة ١٣٧٩ ه ش التى تجمع فى أيّامها عيـدين ليوم الغـدير فى سـنة شمسـية واحـدة، السـيرة المباركة، ص: ٢٥١ باسم سنة أميرالمومنين عليه السـلام، وتمّ إجراء مراسم بهيجـة فى هـذا العـام فى جميع ارجـاء بلاد ايران وحتى فى خارجها أيضاً، وفكّر سـماحة الاسـتاذ بأداء خدمـة مهمّـة وباقيـة فى هـذا العام، فعزم على بناء ١١٠ مـدارس ثقافية و ١١٠ مساجـد (تناسـباً مع عـدد كلمة «على عليه السلام» فى الحروف الأبجدية) فى المناطق المحرومة جدّاً لا سيّما شرق خراسان ومحافظة سيستان وبلوچستان. وقد دعى للمشاركة فى هذا المشـروع الكبير مجموعة من التّجار الأخيار والأشـخاص الصالحين وطرح المشـروع أمامهم فتقبلوه بشـرح صدر، وتمّ إيجاد مركز يضم هيئـة امنـاء من سـبعة أشـخاص بهـذا الاـسم «هيئـة الامنـاء السـبعة» لتتكفل إدارة الامور فى مساعـدة المحرومين وخاصـة الشـيعة

المحرومین، هـذا المشـروع یجری العمـل به الآن وقـد تمّ الإنتهاء منه الآن حیث تمّ بناء العدیـد من المساجـد والمـدارس فی المناطق المذکورة وسـمیت باسم «الغدیر» أو «أمیرالمؤمنین علیه السلام» ومازال المشروع فاعلًا إلی أن یصل إلی حدّ النصاب اللازم، أی العدد ۱۱۰. هـذه الحرکـة المبارکـة بثّت الأمل الکبیر فی قلوب أتباع أهل البیت علیهم السـلام. والجدیر بالذکر أنّ هذه المساجد والمدارس بنیت فی القری والمناطق المحرومة بمقدار حاجتهم، وأمّا فی المدن المحرومة أیضاً فقد بنیت بشکل أکبر وبمقدار الحاجة.

۲۴ استقبال النفی والحرمان (فی الدفاع عن الدین والثورة)

اشارة

إنّ طلب العافیـة والحیاة المرفهـة، مضافاً إلی کونه آفة خطیرة للفکر والعقل، فإنّه فی کثیر من الموارد لا یسـمح للناس برؤیة الحق کما هو والباطل کما هو فی الواقع ویسـدل علی بصـیرتهم سـتاراً من التشویش یمنعهم من تشـخیص الحقیقـة، وفی موارد کثیرة یمثل عائقاً یمنع الإنسـان من الإقـدام والعمـل، بمعنی أنّ الإنسان حتی لو اسـتطاع تشـخیص الامـور والقضایا تشـخیصاً سـلیماً وصـحیحاً، إلّاأنّه لا یمتلـک الجرأة الکافیـة والشـهامة القویـة علی الإقـدام والعمل. وما أکثر الأفراد الـذین یجـدون فی أنفسـهم الجرأة علی کتابـة الحقیقة والاعلان عنها ما دامت معیشتهم وحیاتهم ومکانتهم الاجتماعیة محفوظة وسالمة ولا تتعرض شخصیاتهم أو ثرواتهم إلی الخطر، ولکن عندما یشعرون بوجود خطر معین فانّهم یلقون بمقولاتهم وکلماتهم عن الحقیقة فی مطاوی النسیان ویسکتون عن أداء أهم رسالة دینیة وإنسانیة لهم وهی: «وجوب التصدی للظلم وعدم السـکوت عن أفعال الظالمین ومظاهر البدع والفساد والضلال والانحراف، فیرجعون الصـمت علی هـذا الواقع المنحرف» «۱» ، وفی مقابـل ذلک نری السـیرة المبارکـة، ص: ۲۵۴ شخصـیات کبیرة فی طول تاریخ التشـیع الدامی لا سیّما فی القرون المتأخرة وخاصة فی القرن الحاضر، یتحرکون بکل جرأة وشهامة وبما اوتوا من قدرة بیان وقلم علی مستوی إصـلاح الخلل وفضـح قوی الانحراف والضـلال والتصـدی فی مقابل الظلم والظالمین ویسـتقبلون کل خطر ونفی من الوطن وبعد عن أجواء الراحـة والرفـاه والدعـة حتی یصـل الأـمر بهم ا لی حـدّ الشـهادة والقتـل فی سبیـل اللّه، کـل ذلـک من أجل الـدفاع عن الـدین الإسـلامی والامة الإسـلامیة، فهؤلاء یشـعرون فی أنفسـهم بالشوق إلی التضـحیة بالغالی والنفیس وقبول کل أشـکال الحرمان من أجل الهـدف السامی. هؤلاء حرس الثغور هم الـذین ورد وصـفهم فی الحدیث المعروف عن أئمّة أهل البیت علیهم السـلام: «علماء شـیعتنا مرابطون بالثغر الذی یلی ابلیس وعفاریته، یمنعونهم عن الخروج علی ضـعفاء شیعتنا» «۱» ، وهناک روایة اخری تذکر موت العالم من علماء الإسـلام: «إذا مات العالم ثلم فی الإسـلام ثلمـة لا یسـدها شـیء»، وفی هـذا الحـدیث یقول أیضاً: «لأنّ المؤمنین الفقهاء حصون المسلمین کحصن سور المدینة لها» «۲». ونحن نشـکر اللّه تعالی علی أنّ اسـتاذنا الجلیل قد حاز هذا التوفیق العظیم ونطق بالحقیقة فی خضم أجواء الاضـطراب والثورة وأعلن عنهـا بصـرخته أمـام الظـالمین، فعنـدما تجاسـرت صـحیفة اطلاعـات فی تلـک الأیّام وذکرت کلمات موهنة بحق «الإمام الراحل قدس سره» قام استاذنا المعظم بإلقاء خطبة قویة وصریحة استنکاراً لهذا الفعل الشنیع، وکانت نتیجة ذلک أن حکم علیه بالنفی لمدّة سبعة أشهر والابتعاد عن الحوزةالعلمیة ومدینته.

ذکریات سبعة أشهر من النفی بقلم الاستاذ نفسه فی أیام الثورة:

ما أجمل أن نترک الزمام لقلم الاسـتاذ لیخط لنا مجریات الامور فیما یتعلق بهـذه الواقعـة ونقرأ مقالة «ذکریات سـبعة أشـهر من النفی» التی کتبها الاستاذ بقلمه عام ۱۳۵۷ ه ش وتمّ نشرها فی صحیفة کیهان: «أجد من اللازم أن ابیّن لکم أیّها الاخوة الأعزاء ما واجهته فی عملیة النفی لمناطق مختلفة «چابهار» فی الجنوب، و «مهاباد» فی الشمال، و «انارک» فی قلب الصحراء، والسفر لمسافة ۷ آلاف کیلومتر بین هـذه المناطق التی جری تبعیـدی إلیها وما حـدث لی فی مناطق مختلفـة فی البلاد، وکذلک المحادثات التی جرت مع شخصـیات

مختلفة من علماء «المذهب الحنفی» فی بلوجستان وعلماء «المذهب الشافعی» من الأكراد وشرائح متنوعة من الناس، لكی تتطلعوا من خلال هذه الوقائع علی أسباب الاضطرابات الاجتماعیة الأخیرة وتعلموا المنبع الأصلی لكل هذه الحوادث المؤسفة وأستأذنكم قبل ذلك فی بیان مقدّمة قصیرة فی هذا الموضوع ثم أدخل إلی أصل الموضوع، ویشهد اللَّه تعالی أننی لا أكتب لكم إلّاالحق والحقیقة وأبتعد عن كل كلام وبحث غیر منطقی».

جذور الثورة:

إنّ بلادنا تدخل مرحلة حساسة من تاریخها بعد الحوادث والتغییرات التی عاشها الناس فی الأشهر الأخیرة بحیث أصبح من المحال الرجوع إلی الوراء بالرغم من وجود عوامل قویة لاعادتنا إلی الوراء «۱». السیرة المباركة، ص: ۲۵۶ هذه حقیقة جلیة وصیرورة تاریخیة یجب علی الجمیع الاعتراف بها. ومن أجل تتبع علل هذه الثورة ومظاهر التغییر فی جمیع الامور والابعاد، أو بتعبیر البعض: هذه الاضطرابات وعوامل الفوضی، أو كل اسم وصفة نطلقهاعلی هذه الحوادث الأخیرة حیث ینظر لها البعض من زاویة خاصة، ولهذا السبب لا یتوصلون إلّاإلی نتائج محدودة غیر ذات قیمة، لأنّ المعطیات الكبیرة لا یمكن التوصل إلیها إلّامن خلال دراسة مستوعبة وكلیة لجمیع جوانب الحدث وأبعاده. فی البحوث والدراسات المحدودة تحل أحیاناً «العوامل الجانبیة للحوادث» محل «العوامل الأصلیة» ویتمّ اهمال العوامل الأصلیة وتهمیشها والتغافل عنها. فالبعض یضع اصبعه علی مسألة «الفساد الاقتصادی واستغلال بیت المال من قبل فئة معینة»، وهم الذین كانوا یوماً ما فی مصدر القدرة والمسؤولیة، فیری أنّ العامل الأصلی والسبب الرئیسی للاضطرابات الأخیرة تكمن فی هذا العامل، ولكن مع الاعتراف بوجود عنصر الاستغلال وسوء استخدام ثروات بیت المال من قِبل قوی الفساد الاقتصادی بأرقام كبیرة ومذهلة، لابدّ من القول إنّ هذا العامل لا یمكن أن یكون هو العامل الأصلی، لأنّ مظاهر الاجحاف والاختلاس من بیت المال كانت مكشوفة لدی فئة خاصة من الناس دون العامة من شرائح المجتمع، وبالرغم من أننا نسمع تدریجیاً عن أخبار هذه القضایا، مثلًا نسمع بأنّ أكثر من خمس ملیاردات تومان یملكها شخص واحد فی البلد وأمثال ذلك ممّا یساهم فی تعمیق حِدّة الخلاف والابتعاد بین الناس من جهة والحكومة من جهة اخری، ولكنّ كثیراً من الناس لا یهتمون لهذا الحدث ویقولون ماذا یختلف حالنا السیرة المباركة، ص: ۲۵۷ فیما لو سرقوا من بیت المال أو لم یسرقوا؟ والبعض الآخر یرید أن ینسحب من التورط فی هذه الحوادث، فیری أنّ العامل الأصلی والسبب الحقیقی وراء ثورة الناس هو الرشوة وسوء المدیریة فی المراكز الحكومیة وعنصر البیوقراطیة، فی حین أننا نعلم أنّ هذه الظاهرة لیست بجدیدة علی هذا البلد بل إنّ جمیع الناس منذ سنوات یعلمون بهذه الامور ویعترضون علی ذلك ولكن هذا الموضوع مهما كان مهماً فإنّه لا یبعث علی نزول الناس إلی الشوارع ویضحّون بأنفسهم من أجله. مضافاً إلی ذلك أنّ الاضطرابات الأخیرة شملت طلّاب المدارس فی جمیع مناطق البلاد، وهؤلاء لیس لهم علاقة أو رابطة بالإدارات الحكومیة ولا یعیشون هموم الفساد الاقتصادی والرشوة والبیوقراطیة، اذن لا یعقل أن یكون الفساد الإداری هو العامل الحقیقی وراء الأحداث. أمّا قلّة رواتب الموظفین، مشكلات السكن، مشكلات بعث الطلّاب إلی الخارج، التضخم الاقتصادی، التمییز الطائفی، فهذه المسائل، كمسألة الفساد الإداری والفساد الاقتصادی، تمثّل عوامل صغیرة من عوامل هذا «الانفجار الاجتماعی العظیم» بالرغم من أهمیّتها، وحینئذٍ لابدّ من البحث عن الأسباب الحقیقیة فی مكان آخر. أرجو أن أتمكن فی هذه المقالة من بیان مجریات السفر الملیء بالحوادث وما رأیته بعینی وما سمعته من أفواه فئات مختلفة من الناس، أن ابیّن العوامل الأصلیة الكامنة وراء هذه الحوادث الأخیرة. السیرة المباركة، ص: ۲۵۸ ... كانت لیلة «۱۸ دیماه» حیث رنّ جرس الهواتف فی قم فقالوا: أیّها المشایخ هل قرأتم المقالة المنشورة فی صحیفة اطلاعات بقلم رشیدی مطلق «الذی اتضح بعد ذلك أنّ كاتب هذه المقالة لا یتمتع بأدنی رشادة مطلقة»؟ الواقع أنّهم بلغوا فی جرأتهم وفضیحتهم إلی منتهی الحدود وأبعد الغایات ... فهل ستعطل دروس الحوزة العلمیة غداً؟ وغداً صباحاً شاهد الناس تعطیل دروس الحوزة العلمیة فی قم، ثم تبعها السوق المركزی فی قم وتجمع الفضلاء وطلّاب العلوم الدینیة فی بیوت مراجع الدین اعتراضاً

على ذلك وبشكل منظم تماماً، وتبدلت سحنة المدينة بشكل كلى، وعلى هذا الأساس ظهرت بوادر أول شرارة فى أجواء مدينة قم، الشرارة التى لم يتصور أحد من الناس أنّها ستكون بهذا الحجم والسعة وتمتد إلى سائر مناطق البلاد بل إلى خارج ايران أيضاً. لقد تعرضت المقالة المذكورة إلى القائد الكبير والزعيم العظيم سماحة آية اللّه العظمى السيد الخمينى «دامت بركاته» بالإهانة واساءة الأدب بما لا يمكن لأحد تحمله بدون شك، ولكن المهم أن نعرف أنّ ما وراء هذه الشرارة يوجد مخزن للبارود بحيث يمكن لهذه الشرارة أن تفجر الوضع وتؤزم الحالة، إنّ مجتمعنا يشكو من وجود غدة مليئة بالقيح فى واقعه وجسده بسبب سنوات متمادية من الظلم والجور وعدم رعاية العدل ومطالب الناس وأشكال الخلل الاخرى، وكان يعيش حالة الانتظار لشرارة تفعّل الحالة المتأزمة، وعندما مست ابرة الاحداث هذه الغدة المتورمة هبّت جميع أعضاء الجسد الاجتماعى بموازات الحدث وألقت بما فى باطنها إلى الخارج. السيرة المباركة، ص: ۲۵۹ كان اليوم (۱۸ ديماه) يوماً متأزماً ومضطرباً فى قم، وقد وعد جميع مراجع الدين أن يعملوا على ردّ هذه الإهانة، وفى اليوم التالى ارتفعت الضجّة وزادت الحالة سوءاً وكثرت جموع الناس، ففى ذلك اليوم كان من المقرر أن يتوجه الناس إلى بيوت اساتذة الحوزة العلمية وهكذا جرت الامور، وكنت من جملة من جاء إليهم الناس حيث حضروا إلىَّ فى مدرسة أميرالمؤمنين وامتلأت باحة المدرسة والشوارع المحيطة بها من أمواج الناس حيث تحدثت إليهم فى خطبة قصيرة وتشكرت فى البداية من توحد الناس وحضورهم فى الميدان بما يمثّل ضربة قوية إلى كاتب المقالة الموهنة ورفاقه ومن معه ومن يشاركه فى الفكر، وقلت لهم إنّكم بهذا العمل أثبتم أنّ مثل هذه المقالات والكلمات الجارحة سوف لن تبقى بدون جواب، فلا يظنّون أنّ القضية تنتهى بسهولة. ثم قلت لهم مضيفاً: إذا هتكت حرمة كبير القوم بمثل هذه الصورة فماذا سيبقى للآخرين من حرمة واحترام؟ فلو تقرر أن نموت فلنمت جميعاً، ولو تقرر أن نحيا فلنحيا جميعاً. هذه الجملة الأخيرة التى أخذت شكل الشعار لكثير من الناس، كانت أحد المدارك المعتبرة فى تبعيدى إلى مدينة «چابهار»، وقد أخذها رئيس جهاز الأمن باعتبار أنّها دعوة للناس للثورة ضد النظام. وعلى أيّة حال تمّت الجلسة ولكن فى عصر ذلك اليوم وعندما كان الطلّاب والشباب يعودون من بيوت الاساتذة والعلماء بكامل الهدوء وحتى بدون اعطاء أى شعار «لأنّ تلك الأيّام لم يكن متداولًا اطلاق الشعارات أو كسر القنانى» فوجئوا بهجوم رجال الشرطة عليهم، ولأول مرّة يواجه الناس هذا المنظر وتسفك دماء بعض الناس الأبرياء فى شوارع المدينة. السيرة المباركة، ص: ۲۶۰ أمّا رجال الأمن فى قم فقد أخذوا يهيئون الملف لتبرئة أنفسهم من هذه الحادثة ومن قتل الناس الأبرياء، حيث تمّ تشكيل جلسة «جلسة الأمن الاجتماعى» تحت نظر قائم مقام المدينة وأربعة أشخاص من رؤساء الإدارات وقرروا فى هذه الجلسة اعتبارى مع ستة أشخاص من السادة فى الحوزة العلمية فى قم وبعض التجّار المحترمين فى السوق، من المحركين لهذه الحادثة، وحكموا علينا جميعاً بالنفى لمدّة ثلاث سنوات «وهى الحد الأكثر لمدّة النفى» وعندما قال لى رئيس جهاز السافاك فى قم فى غرفته: أننى يجب أن أتوجه إلى المنفى، قلت له: ليت الشخص الذى أصدر هذا الحكم حاضراً هنا. فقال فوراً: إنّ هذا الشخص هو أنا، (وهنا فهمت معنى مجلس الأمن الاجتماعى). فقلت: لماذا تنسبون كل حادثة إلينا، فهذه الحادثة قد صنعتموها أنتم والجميع يعلم بذلك، فهل أنت تفرض نفسك محامياً عن كاتب تلك المقالة؟ إنّ إطفاء هذه النار الملتهبة ليس بالعمل اليسير، والمفروض أن تقوموا بتقديم الاعتذار عن تلكالمقالة وتقولوا: إنّ ذلك الكاتب قد أخطأ وسوف نعمل على إصلاح الوضع وجبران الثغرة، فلماذا اطلقتم النار على الناس الذين خرجوا بشكل قانونى اعتراضاً على كاتب المقالة العميل؟ فقال: الواقع أننا لا نعرف ما هو الباعث على كتابة تلك المقالة؟ ومن هو كاتبها؟ ... على أيّة حال لقد تجاوز الوضع الحالة الطبيعية، تفضل ... (إلى محل المنفى). قلت: أين؟ فقال: سيتّضح لك بعد ذلك. وفى هذه الأثناء دخل أحد المأمورين إلى الغرفة وقال: سيدى إنّ فلان السيرة المباركة، ص: ۲۶۱ (وذكر اسم القاضى) لم يوافق على توقيف وسجن الثلاثة الآخرين (ولم يتضح من يقصد بهؤلاء الثلاثة) فقال رئيس السافاك بحدّة وغضب وبدون اهتمام بوجودى كشاهد على ما يقول: ليخسأ هذا القاضى فأنا حكمت بتوقيفهم ... (وتتجلّى بصورة جيدة الحكومة المطلقة لجهاز السافاك على الإدارات والأجهزة الحكومية، قلت فى نفسى: «مرحباً بهذه الحكومة الديمقراطية للسافاك».

اكذوبة باسم حقوق الإنسان:

إنّ النقض الصريح والمكرر لحقوق الإنسان فى بلدنا وفى تاريخنا المعاصر يعدّ من أسوء الذكريات المرّة فى أذهان الناس، ففى حين أنّ المادة الاولى من الميثاق العالمى لحقوق الإنسان توصى جميع بلدان العالم أن يتعاملوا بينهم بروح الاخوة والمحبّة، وتؤكد المادة الخامسة على عدم جواز التعذيب أو تنفيذ العقوبات الظالمة والسلوكيات الشائنة على خلاف الشؤون الإنسانية، وأعلى من ذلك أنّ الحكومة الإسلامية التى تمثّل اطروحة علماء الدين وخاصة الإمام الخمينى قدس سره تهتم بهذا الأمر غاية الأهميّة، ولكننا نعيش فى أجوائنا بحيث أنّ هذه المسألة أضحت العوبة مضحكة وكل يوم نشهد حالات جديدة من نقض حقوق الإنسان بمنتهى الصراحة. وكنموذج لذلك ما نذكره عن كيفية ارسال المبعدين إلى المنفى بهذه الصورة: السيرة المباركة، ص: ۲۶۲ كان الوقت ليلًا والهواء بارداً جدّاً وقد أدلج الليل، وكانت هناك سيارة نقل كبيرة من سيارات الجيش واقفة إلى جانب مبنى الشرطة فى «قم» بانتظارى واثنين آخرين من رفاقى، وكانوا قد جعلوا لكل واحد منّا شرطيين مسلحين، وبما أنّ قم كانت تعيش حالة من الهياج والاضطراب فانّهم كانوا على عجلة فى اخراجنا من المدينة. وعندما وصلنا مع ستة من أفراد الشرطة المسلحين إلى مكان (شرطة المرور بين قم وأراك) نزل ثلج كثير ولزم أن نتوقف هناك بعض الشىء لتصل إلينا سيارات خاصة توصل كل واحد منّا إلى مقصد معين. فطلبنا البقاء فى مكان شرطة المرور إلى أن تصل إلينا السيارات التى توصلنا إلى المقصد، ولكنّ الضابط الذى كان يبدو الانزعاج الشديد عليه قال: يجب عليكم البقاء فى هذه السيارة، حتى أنّه هددنا بسلاحه الخاص «المسدس». ولكنّ سقف الشاحنة وجوانبها كانت مشقوقة وكانت الرياح الباردة مع الثلوج تدخل إلى داخل الشاحنة بسرعة وفى ذلك الظلام الدامس، ولعل برودة الهواء كانت تصل إلى تحت الصفر، وكان أفراد الشرطة ينزلون على التوالى ويتوجهون إلى مبنى الشرطة لتدفئة أنفسهم، ولكننى أحسست أنّ جلوسنا فى الشاحنة يتضمن خطراً كبيراً ومن الأفضل أن ننزل ونسير خطوات فى الصحراء وتحت الثلج لئلا يتجمد الدم فى عروقنا، ولكنّ الضابط لم يوافق على ذلك، وآخر فكرة طرأت على ذهنى هى أن أقوم بتحريك يدى ورجلى فى الشاحنة نفسها لأتمكن من المحافظة على حرارة بدنى ولئلا تتجمد أعضائى، ولا أنسى أننى كنت اقاسى الآلام لمدّة طويلة بسبب تلك الليلة العصيبة. السيرة المباركة، ص: ۲۶۳ وبعد ساعة ركبنا باصاً لينقلنا إلى مدينة اصفهان، فشعرت أنّ الروح تسرى فى بدنى الذى أوشك على الانجماد، واستولى الخوف على المسافرين فى الباص عندما شاهدوا الشرطيين المسلحين معى، فتعاطفوا معى وأظهروا لى المواساة بشكل كبير، وهذه الحادثة علمتهم مسائل كثيرة. وكان الأمر قد صدر أن نتحرك بسرعة ولا نتوقف فى المدن، وفى صورة اللزوم يمكننا التوقف فى مراكز الشرطة فى الطريق والانتقال من سيارة إلى اخرى، فوصلنا إلى مدينة اصفهان بعد منتصف الليل، وتمّت الموافقة على أن نركب سيارة صغيرة ونتّجه إلى مدينة يزد، فوصلنا فى طريقنا إلى مضيق «الملا أحمد» الطويل والشديد التعرجات فى الوادى وفى أثناء ذلك نزلت الثلوج الكثيرة وكان الضباب الغليظ مخيماً على الأجواء وقلّما نشاهد سيارة تمرّ من هذا الطريق، ولكنّهم كانوا يصرون على المضى فى هذا الطريق فوصلنا إلى مكان بحيث لم نتمكن من اجتيازه ولا العودة منه، والخلاصة نحن فى تلك الليلة واجهنا الموت بين الثلوج والضباب الكثيف ولكنّ اللَّه أنقذنا من هذه المهلكة ووصلنا بعد جهد جهيد إلى مدينة يزد واستمرت الحركة والسفر بدون توقف. ثم إننا فى طريقنا بين مدينة بم «ايران شهر» ضللنا الطريق وتورطنا فى متاهة وقد احاطت بنا ظلمة الليل ولم نشاهد أثراً لأى كائن حى، ففكرنا ماذا نفعل؟ وفجأة رأينا ضوءاً يظهر لنا من بعيد فتبيّن أنّه كان باصاً لنقل الركاب وقد جاء فى هذا الطريق قاصداً مدينة بم، وخشينا أن لا يتوقف لنا عندما نشير إليه، وكان أحد الشرطيين اللذين كانا معى قد صار رفيقاً لى تدريجياً وكنت أتحدّث معه بهدوء ومتانة، فقال: إنّ السلاح يفيدنا فى هذا الموضوع فنزل من السيارة وحمل بندقيته باتجاه الباص وسد عليه الطريق. السيرة المباركة، ص: ۲۶۴ فذهل سائق الباص والمسافرون من هذا الحادث وتساءلوا ماذا حدث؟ وما أكثر فرحهم عندما فهموا أننا لا نروم سوى العثور على الطريق واتّضح حينئذٍ أننا كنّا متوجهين فى طريق زاهدان الترابى على سبيل الخطأ لا مدينة ايران شهر. وكان السائق شاباً ساذجاً يخالف عودتنا إلى الطريق

الأصلى ولكننى أصررت على العودة ولاسيّما إننا نواجه انتهاء البنزين فى أثناء الطريق (والجدير بالذكر أنّه لم تكن هناك محطة لتزويد الوقود فى الطريق الطويل وبفاصلة ۳۵۰ كيلومتراً، مضافاً أننا كنّا قد سرنا فى سفرنا ثلاثين ساعة تقريباً بصورة متواصلة وبدون نوم أو استراحة فكانت أعصابنا متوترة وأجسادنا تعبة، ولكن الشرطيين أظهرا تأييدهم لاقتراحى بسبب أننى (سماحة الشيخ أكثر تجربة منّا) ولذلك عدنا إلى مدينة بم. وبعد مسيرة ۵۰ ساعة تقريباً وصلنا إلى ميناء (چابهار) على حدود باكستان على ساحل بحر عمان، أى أبعد نقطة فى البلاد، وكنّا فى حالة من التعب والارهاق والمرض لا مثيل لها، وكنت أتذكر طوال الطريق الميثاق العالمى لحقوق الإنسان (وكانوا قد خصصوا يوماً أو اسبوعاً فى السنة) واتضح هناك أنّ الشرطة أيضاً كانوا يعيشون النقمة على الأوضاع ولكنّهم لم يكونوا يظهرون ذلك ولا طريق لهم إلى الاعتراف.

أول منفى چابهار:

بالرغم من أنّ المناطق الاخرى فى ايران كانت باردة جدّاً والثلوج تغطى الأرض والناس يستخدمون المدفئة، إلّاأنّ (چابهار) كانت حارة والناس السيرة المباركة، ص: ۲۶۵ يستخدمون المبردة، ولكنّ أهالى المنطقة الذين كانوا من البلوج يقولون إنّ الجو بارد، ولكن عندما تمتلىء ملابسنا عرقاً من شدة الحر بحيث يقطر العرق من أصابعنا وتلتهب أدمغتنا من شدّة الحر عند ذاك يقولون الهواء «شرجى!!» وهناك نلاحظ شدّة الرطوبة فى الجو بحيث إنّ أغصان الشجر تنضح وتقطر بدون أن يكون هناك مطر أو سحاب، وشاهدنا بين الحين والآخر فى داخل هذه المدينة الصغيرة والحدودية، أقفاصاً وأكواخاً للمحرومين الذين كانوا يعيشون فيها بدون كهرباء وماء، ولا أدرى ولا أعلم أنّهم فى هذا الحال ماذا يصنعون فى أيّام الصيف؟ ولكن فى تلك الأيّام بالذات كنت أقرأ فى الصحف الصادرة فى طهران والتى كانت تصلنا بعد اسبوع من صدورها بسبب بُعد الطريق .. أنّه تقرر بناء معسكر بحرى عظيم فى ميناء (چابهار)، وبذلك تكتمل مجموعة المعسكرات الثلاثة .. الجوية، والأرضية، والبحرية، وقد كانت نفقات المعسكر المذكور تبلغ ۴ مليارات، وعلى أيّة حال فالمعروف بين الناس أنّ هذه القاعدة البحرية تقوم ببنائها شركات أمريكية وحتى أنّهم اشترطوا عدم الحق فى استخدام أى عامل ايرانى. ولكن لم يتضح الهدف من بناء هذا المعسكر العظيم وبتلك النفقات الباهظة، ومن أجل ماذا يتمّ بناء هذا المعسكر، وفى مقابل أى عدوٍّ قوى؟. وكل ذلك فى منطقة تفتقد المياه الصحية، ومياه الأنابيب مالحة إلى درجة أننا عندما كنّا نغسل وجوهنا كان الماء يؤذى عيوننا. وفى هذه المدينة لم نعثر على صيدلية واحدة فى تلك الأيّام، وأمّا حمام المدينة الوحيد فقد تمّ تعطيله بسبب عدم دفع ثمن الماء، وكان الناس يعيشون فى تلك المنطقة إلى درجة من الفقر والمحرومية أنّ بعضهم لا السيرة المباركة، ص: ۲۶۶ يذوق فاكهة أو يتناول بعض الخضروات طيلة أيّام السنة، وعندما قرأت هذه الأرقام الكبيرة والنفقات الباهظة للتسلح فى هذه المناطق المحرومة غرقت فى دوامة من الفكر لأنّ هذا التسلح العسكرى الكبير لبلدنا يشبه أن نقوم بلف شجرة بسلسلة وأسلاك حديدية لغرض المحافظة عليها ولكنّ الشجرة مصابة بالجفاف من الداخل وسوف تنهار تحت ضغط هذه السلاسل والأسلاك، ولهذا فانّ استقلال البلاد لا يقوم على كثرة السلاح ونوعية الأجهزة المتطورة فى عالم التسلح العسكرى، بل يعتمد على إيمان الناس وعشقهم لوطنهم ولدولتهم، فلو أننا تحركنا فى خط التسلح العسكرى وشراء أحدث أنواع الأسلحة المتطورة على حساب اهتزاز القيم وضعف الحالة الاقتصادية والاجتماعية للناس فاننا نتحرك فى طريق الفناء ونحفر قبورنا بأيدينا، فلو أننا قمنا بانجاز بعض الخدمات لتحسين حالة الناس فى هذه المناطق بدل كل هذه الأجهزة الحديدية فإننا سنتمكن من إذكاء حالة العشق والإيمان فى قلوبهم وسيدافعون عن وطنهم وبلادهم بكل وجودهم.

بلاء الاستبداد والنفاق:

قلت: إنّ ماء الحنفية مالح إلى درجة أنّه لا يصلح للغسل أيضاً، وأمّا مياه الشرب فإنّها تنقل إلى المدينة بواسطة الصهاريج أو البراميل

الصغيرة من مناطق قريبة أو بعيدة، وفى أحد الأيّام رأيت ماء الحنفية حلواً، فقلت فى البداية: لعلى مخطىء فى تصورى هذا، فكررت المضمضة بهذا الماء فثبت لى أنّه حلو واقعاً، فصحت بأصدقائى أن يستفيدوا من هذه الفرصة، وفوراً ملأنا عدّة آنية بالماء كذخيرة، ولكن لم تمض سوى ثلاث ساعات تقريباً السيرة المباركة، ص: ٢٦٧ حتى عاد الماء إلى ملوحته، فتعجبت كثيراً من ذلك، فقال لى رجل ذو وقار يعيش إلى جوارنا: لا تتعجبوا، فحتماً جاء إلى هنا أحد المسؤولين الكبار من العاصمة، وعادة يقوم الموظفون هنا بضخ الماء الحلو من المخازن إلى الأنابيب فى المدينة لإثبات نجاح مشروع تحلية المياه، ولكن بمجرّد أن يعود ذلك المسؤول الكبير وتنتهى عملية تفقد المشروع فانّهم يقومون بإغلاق الأنابيب لمياه التحلية. فقلت: إنّ هذا العمل مهما كانت فيه من المعايب والنواقص إلّاأنّه يتضمن حسناً كبيراً، فلا يلزمكم بعد هذا شراء صحيفة كل يوم، لتتفقدوا الأخبار. فعندما تستيقظون من نومكم فى صباح كل يوم عليكم بمضمضة ماء الحنفية، فلو كان مالحاً تماماً فستعرفون عدم مجيىء أى مسؤول إلى مدينتكم، ولكن إذا كان ماء الحنفية حلواً فمعنى ذلك قدوم أحد المسؤولين الكبار من العاصمة حتماً، وإذا كان ماء الحنفية نصف مالح فانّ احتمال قدوم مسؤول من الدرجة الثانية يكون قوياً. بعد ذلك بمدّة كتبت الصحف أنّ فى يزد شارع تمّ افتتاحه عدّة مرات، أى أنّه فى كل مرّة يأتى إلى يزد أحد المسؤولين لتفقد المدينة فانّهم يقومون بافتتاح ذلك الشارع من جديد وينصبون فى بداية الشارع شريطاً ملوناً ليأتى ذلك المسؤول ويفتتح الشارع بقص الشريط المذكور. وقد قام أحد أصدقائى الروحانيين وبمساعدة الناس (وبدون تدخل الدولة) ببناء جسر فى أحد قرى مدينة مازندران، وعندما تمّ بناء الجسر قام المسؤولون الرسميون بالضغط على هذا الرجل لافتتاح هذا الجسر بأنفسهم وأعلنوا بالاذاعة وأخبار الراديو عن افتتاح هذا الجسر كجزء من مشروع كبير للدولة فى تلك المنطقة!! لاحظوا أنّ الحالة فى كل المناطق السيرة المباركة، ص: ٢٦٨ سواء فى شمال ايران وجنوبها وشرقها وغربها هى هذه الحالة، وظاهرة النفاق والرياء تشتد فى جميع المراكز وكافة الأجواء، فالمظاهر براقة وجميلة، أمّا الاسس والدعائم فمنهارة وركيكة. إنّ أهالى مدينة (چابهار) يمتازون بالأخلاق الحسنة والقلوب الطيبة والمليئة بالمحبّة ويتكون ٨٠٪ منهم من أهل السنّة و ٢٠٪ من الشيعة ويعيشون بروابط أخوية فيما بينهم، وهم من أكثر الإيرانيين حرماناً، فى حين أنّ أهالى هذه المنطقة يقولون: إنّ الجو الحار هنا يساعد شجرة الفاكهة على أن تحمل مرّتين فى العام. وقد شاهدت بعض البساتين فى (چابهار) ورأيت أنّ أرضها تعدّ من أخصب الأراضى الزراعية، فهذا البستان مع كل هذه المحصولات الزراعية فى فصل الحر يعتبر أفضل وثيقة حية على إثبات تقصير الجهاز الحاكم ويدلّ على أنّ النظام لو اهتم بتهيئة الماء العذب واهتم بالزراعة فى هذه المنطقة فإنّه ليس فقط يتمكن من تدبير امور الناس والأهالى فى هذه المنطقة بل سيتمكن من التخفيف عن كاهل الناس فى سائر المناطق الاخرى، وسيتقدم خطوة إلى الأمام فى طريق القضاء على التبعية إلى الأجنبى فى مجال المحصولات الزراعية بحيث تمثل هذه المشكلة أصعب وأخطر مشكلة اقتصادية وسياسية فى ايران. ومن المسائل العجيبة هناك وعند بداية دخولى إلى هذه المنطقة رأيت أنّه لا يوجد فى المدينة كلها سوى حمام واحد وكان ذلك الحمام معطلًا. وضمناً علمنا أيضاً أنّ البلدية قامت بتخصيص مساحة ٢٠ ألف متر من السيرة المباركة، ص: ٢٦٩ أفضل أراضى المدينة مجاناً لإحداث مقبرة خاصة لأفراد الفرقة الضالة «البهائية» فى حين أنّ عدد أفراد هذه الفرقة فى (چابهار) لا يتجاور ستة عوائل فقط، ويكفيهم لدفن موتاهم عشرون متراً من هذه الأرض، ولكن فى المقابل لا نجد مقبرة واحدة للمسلمين، وفكّرت فى أنّ السكوت هنا حرام، ولذلك قمت بإرسال تلغراف إلى حاكم المدينة ورئيس البلدية بصفتى أحد المسؤولين المذهبيين وأحد رجال الدين وسجلت فيها اعتراضى على هذه المسألة وبعض المسائل الاخرى فى هذه المدينة (وتصورت فى نفسى أنّ مدينة (چابهار) تمثل آخر الخط حيث لا توجد مدينة أبعد منها لارسالى هناك). ولعلكم تتعجبون إذا علمتم أنّه بعد يومين وصلت لى رسالة جوابية من رئيس البلدية الذى يظهر أنّه رجل صريح وذا همّة عالية، حيث كتب لى فى هذه الرسالة الرسمية وبإمضائه وختم البلدية الرسمى، ضمن ابداء شكره لهذه الانتقادات: «إنّ هذا البذل بالنسبة إلى أراضى المقبرة لم يحصل فى زمان قيامى بالتصدى للمسؤولية، ويظهر من خلال الوثائق والمدارك أنّ الأمر قد صدر من العاصمة»، أى أننا لا نملك شيئاً تجاه هذا الأمر، ولكننا سنقوم بالعمل ببعض مقترحاتكم الاخرى، فرأيت أنّ الماء ملوث من المنبع

وجميع مناطق البلاد لها حصة من هذا الماء الملوث. ولهذا السبب أرى بعض الأفراد الانتهازيين يستغلون الفرص ويتفقون مع المسؤولين فى تلك المناطق ويستغلون أجواء الخوف والصمت المسيطرة على المطبوعات ليتحولوا بعد فترة وجيزة إلى أثرياء من الطراز الأول يمتلكون عشرات المصانع وعشرات الآلاف من الأغنام ومساحات شاسعة من الأراضى فى شرق البلاد وغربها وشمالها وجنوبها، فيكون لهم من الثروات العظيمة السيرة المباركة، ص: ۲۷۰ بحيث لا يصل إليهم أى اقطاعى يعيش فى زمن تسلط الاقطاعيين (يشير بذلك إلى هزبر يزدانى أحد الأثرياء فى زمان حكومة الشاه). أمّا من الناحية الدينية فانّ الناس فى مدينة (چابهار) يعيشون المحرومية المطلقة (كما فى سائر المناطق الاخرى) ولابدّ لى من الاعتراف بأننى لو لم اجبر على المجيىء إلى هنا فإننى لا اسافر إليها باختيارى، ولحسن الحظ أننى ذهبت إلى هناك ورأيت بعينى هذه المسائل وأحسست بالمسؤولية الثقيلة على عاتقى. وطبعاً تحركت هناك فى مجال تدبير امور المسجد والبرامج الثقافية فيه قدر المستطاع وقمت بتأسيس مكتبة بمساعدة بعض الاخوة هناك، وكان يشترك فى بعض الجلسات الدينية التى كنت أُقيمُها بها هناك ۸۰٪ من اخواننا أهل السنة، وكذلك كنّا نتحدّث ونتحاور مع علمائهم فى أجواء مليئة بالتفاهم المشترك وكنّا نطرح الكثير من الامور المتعلقة بالسياسة والحكومة على بساط البحث وتتضح الكثير من هذه المسائل حيث لا يمكن بيانها فى هذا المختصر. وكان أحد الأهالى يقول: يجب علينا أن نشكر اللّه تعالى على أن بعثوك إلى هنا، وإلّا فأين نحن وهذه الامور والمسائل الدينية.

المنفى الثانى إلى «مهاباد»:

ومضى خمسون يوماً على بقائى فى مدينة چابهار وكان الجو فى طريقه السيرة المباركة، ص: ۲۷۱ إلى القيظ وشدّة الحر بسرعة وكان العرق يتصبب من أبداننا وكنّا قلقين من حلول أشهر الصيف فى هذه المنطقة ولكن فجأة صدر الأمر بالتحرك باتجاه (مهاباد) فى شمال غرب البلاد، وهكذا جاء معى شرطيان، أحدهما شيعى والآخر سنى، وأحدهما يمتلك بندقية والآخر مسدساً، أحدهما كثير الكلام والآخر ماهر فى إصابة الهدف، ومعهم مقادير كبيرة من الذخيرة والرصاص، وقطعنا مسافة ۳۲۰۰ كيلومتراً فى مدّة اسبوع تقريباً ودخلنا مهاباد فى طرق ثلجية. ورغم أنّ قانون النفى والإقامة الجبرية يقول: إنّ الشخص المبعد لا ينبغى أن يحاصر بأى محدودية فيجب أن يتمتع بالحرية فى كل شىء، ولكننا وجدنا أنفسنا فى مدينة مهاباد ممنوعين من كل تحرك ولم يسمحوا لنا بالحرية خلافاً لمدينة چابهار. إنّ تصرفات رئيس الشرطة ورئيس البلدية الطفولية واللامسؤولة أدّت إلى أن يتعامل الناس معنا من موقع الحذر والخوف فلا يتصلون بنا إلّاقليلًا حتى أنّ الكسبة يحتاطون فى بيعنا ما نحتاجه، وقد قاموا باستجواب طبيب الأسنان الذى قام بإصلاح ومعالجة أسنانى، فلا أحد يتجرأ على إجارتنا منزلًا معيناً من دون إجازة السافاك، وكان أحد رجال السافاك السريين (ولم يكن سرّياً إلى تلك الدرجة) كان يتبعنا كظلنا، وكان الهاتف فى بيتنا يقع تحت المراقبة الشديدة، وبعض المسافرين الذين يقدمون إلى مهاباد من مناطق بعيدة وقريبة لزيارتنا كانوا يأخذونهم إلى مركز الشرطة أو السافاك ليتحققوا منهم، وبالرغم من رغبتى الشديدة فى الاستفادة من هذه الفرصة الثمينة والاتصال بعلماء أهل السنّة للبحث معهم فى مسائل إسلامية مختلفة وكذلك كانوا يرغبون فى المقابل بعقد مثل هذه الجلسات، ولكن بسبب السيرة المباركة، ص: ۲۷۲ الضغوط الشديدة التى كنّا نواجهها من قبل أجهزة النظام لم تسمح لنا الفرصة بذلك إلّابعد أربعين يوماً، وفى تلك الأجواء كان الخوف مستولياً على الجميع وكان الناس يخيم عليهم ظلال الأجهزة الأمنية والخوف من السافاك. ولكن أخيراً رأيت كيف أنّ الناس فى مهاباد الذين كان يخيم عليهم الخوف والرعب من السلطة، قد استيقظوا وخرجوا إلى الشوارع فى تظاهرات عظيمة ضد النظام؟ وهذه الظاهرة حصيلة تلك البرامج والجلسات، والملفت للنظر أنّ أصدقاءنا المشتركين فى التفسير الأمثل كانوا يقدمون إلى مهاباد بالتناوب كل عشرة أيّام وكان مشروع التفسير مستمراً وبسرعة أكبر هنا فى تلك الفترة.

المنفى الثالث إلى «أنارک نائين»:

وسأترک الكلام عن الـذكريات الحلوة والمرّة في هـذه المدينـة الخضـراء المليئة بالبركة والجمال (مع أهميّتها في بعض الموارد) ومن أجل رعايـة الاختصار في الكلام، وأتحـدث عن المنفى الثالث وهو مدينـة «أنارک نائين» الصـحراوية. في أحـد الأيّام جاء إلينا رئيس مخـابرات الشـرطة في مهاباد يحمل رسالـة من قم وكأنّ المشـكلة قـد انحلت ويجب أن أأتي معه إلى مركز الشـرطة، ولكنّهم قالوا لي هنـاک: يجب عليک أن تتحرک باتجاه مدينـة «أنارک نائين» وليس لک الحق في العودة إلى المنزل لتفقـد زوجتک وأطفالک (لأنّ العائلـة كـانت معي في مهابـاد فـأردت إخبـارهم بمفـاد الاعلان العالمي لحقوق السيرة المباركـة، ص: ۲۷۳ الإنسان، فرأيت شـرطيين مسلـحين ببندقيتين يقفان أمامي وكانا يلفّان حول بدنيهما أشرطة وأحزمة كثيرة من الرصاص بحيث كان الحزام يوشک على الانفلات من ثقل الرصاص، ولا أعلم أنّ هذان كانا يستعدان لقتال جيش كامل أو لتشييع نفر واحد مبعد لا يملک حتى سكيناً صغيرة!!). قالوا: إنّ السيارة حاضـرة ... وتحركت بنا في الطريق لمـدّة عشـرين ساعـة بـدون توقف أو استراحة في وسط الطريق حتى وصـلنا إلى مدينة نائين وهناک جاءتنا سيارة الحرس مع ثلاثة نفرات من الشرطة المسلحين إلى مدينة أنارک التي تبعد ۷۵ كيلومتراً عن مدينة نائين. في هـذه المدينـة، كما يظهر من اسـمها، بعض أشـجار الرمان ولا شـيء غير هذه الأشـجار القليلة، فالصـحراء تنتشـر في كل مكان وتحيط بالمدينـة من جهاتها الأربع، وفي المدينـة شوارع وأزقـة قليلـة معبدة لا يمكن اطلاق اسم شارع عليها إلّابالمسامحة، وكل هذه الشوارع تنتهي إلى الصـحراء الجافـة المحرقـة، وكان الخباز الوحيد قد سافر قبل مدّة منها فلا يوجد الخبز إلّامن خلال البيوت حيث يخبز بعض الأهالي الأرغفة في بيوتهم، لهذا السبب كنّا غالباً نأكل الخبز اليابس الذي يؤتى به إلينا من مناطق اخرى ويبقى لمدّة شهرين، أمّا الماء هنـاک فلم يكن صالحـاً للشـرب، ولهـذا السـبب فـإنّ بعض الأصـدقاء كـانوا يأتون إلينا كل يوم تقريباً ويقطعون مسافـة ۲۰۰ كيلومتراً لملاقاتنا ويأتون إلينا بماء الشـرب من هناک، أمّا بالنسبة إلى النفط والبنزين فالمحطـة الوحيـدة هناک كانت معطلة بسبب قلة الأرباح التي يحصل عليها البائع، ولهذا لم يكن في المدينة أثر للنفط أو البنزين، وكان لدى أهالي السيرة المباركة، ص: ۲۷۴ المنطقة قليل من الماعز التي كانت تشكو الجوع غالباً لقلّة العلف في هذه المنطقة الصـحراوية الجافة، وكان أحدهم يقول: إني حلبت أربعة من الماعز ولم أحصل إلّاعلى ۲۰۰ غراماً من الحليب. هذه المدينة الصـغيرة التي كان عدد سكانها ۲۰۰ نفر تسمّى أحياناً بمدينة «النساء»، وذلک بسـبب أنّ رجـال المدينـة كـانوا يقضون جميع أيّام الاسـبوع «ماعـدا الجمعـة» في منجم لاسـتخراج الرصاص يقع على مقربـة من هـذا المكان ويسـمى «معـدن نخلک»، فتبقى نساؤهم وأطفالهم في المدينـة بـدون رجال. ولعلكم سـمعتم أنّ العمل بمعـدن الرصاص خطر على الإنسـان فكيف بمن يعمل في منجم الرصاص حيث يصاب الإنسان بالضـعف والـذبول أو يصاب بالسل إلّابتوفير الحمايـة الكاملة والرقابـة الصـحية الجيـدة. كان العمال هناک يعملون في عمق ۱۸۰ متراً تحت الأرض وأحيانـاً يصل الماء إلى خاصـراتهم ومع ذلک فإنّهم يسـتلمون حقوقاً ومرتبات شـهرية قليلة جدّاً (من ۲۳ إلى ۳۰ توماناً) في اليوم، ولهذا السـبب نرى هجرة الشـباب من هذه المدينة إلى مناطق اخرى، ومن هنا كان يجب على العاملين في هـذا المنجم وللحيلولـة دون الاصابة بالمرض تناول قنينة حليب كل يوم ولكنّ المسؤولين كانوا يبخلون عليهم بذلک. وكانت الحالة لدى بعض الناس إلى درجة من الرقة والحرمان بحيث لا يمكن وصـفها وبيانها، ولكنّ النـاس هنـاک بصورة عامـة كـانوا يتمتعون بطهـارة القلب وملـتزمين بتعـاليم الـدين، ولهـذا تعرفت على الجميع في مـدّة قصيرة واسـتطعت القيام ببعض البرامـج الدينية هناک ولحسن الحظ أننا لم نواجه منعاً أو تحديداً للعمل من قبل النظام. السـيرة المباركة، ص: ۲۷۵ ولكن لا ينبغي أن تغفلوا عن وجود مناجم كثيرة حول هـذه المدينـة المحرومة، منها منجم للذهب وكذلک اليورانيوم، ولكن مع ذلک لا يحصل أهالي هـذه المدينـة على شـيء من عوائـد هـذه المناجم، والأهم من ذلک وجود قاعدة عظيمة للقوّة الجوية على بعد ثلاثين كيلومتراً من المدينـة (بين أنارک ونائين) إلى جانب الجادة الرئيسـية وقـد قاموا بنصب صواريـخ ضـد الجو حول هـذه القاعـدة الجويـة، وأنفقوا في بناء هـذه القاعـدة نفقات عظيمـة، ولا توجـد منطقة معمورة هناک سوى هذه القاعدة فقط. وكان ما يُسـكِّن غليلنا ويُرقِّق قلوبنا في تلک المدينـة، مضافاً إلى محبّـة الناس وكثرة الأصدقاء القادمين إلينا من اصـفهان ونائين ويزد وكاشان وسائر المناطق

الاخرى، أنّ آيـة اللّه السيد «پسنديدة» الأخ الأكبر للإمام الخميني وعدّة من الاصدقاء كانوا مبعدين أيضاً إلى هنا. فقد أرسلوهم إلى هذه المنطقة بعنوان النفي والتبعيد وكنّا نستأنس ونلتذ بالجلوس إليهم وسماع حديثهم. ومرّ شهران أو ثلاثة فى تلك المنطقة وأخبرونا فى أحد الأيّام عن استبدال مكاننا، ولابدّ من التوجه إلى المنفى الرابع «جيروفت» وقد أحضروا سيارة ونفرات من الشرطة. وفهمت من خلال ذكرياتى فى تلك المنطقة أنّ هذه المنطقة الواقعة بين كرمان وبندر عباس حارة ومحرقة، والذهاب إلى هناك وخاصة فى وسط شهر رمضان المبارك والصيام فى ذلك الجو المحرق لا يعد عملًا معقولًا، مضافاً إلى أننا لا ينبغى أن نسكت على كل هذا الأذى حيث يقذف بنا أزلام النظام كل يوم إلى منطقة معينة مثل كرة القدم، فأخبرت السائق فوراً بذلك وتوجهت سرّاً فى تلك الليلة من «أنارك» إلى قم من طريق فرعى وقلت فى السيرة المباركة، ص: ٢٧٦ نفسى: لا- يوجد لون أشد من السواد، وكتبت رسالة ووضعتها فى مكانى فى أنارك على أن يسلمها إلى المأمورين صباح ذلك اليوم، وقلت فى هذه الرسالة إننى توجهت إلى قم للمشورة مع المحامى الخاص فلا تعتبروا هذا العمل من غيبتى ... واتّفق أنّ الأوضاع تغيّرت فى هذه الأيّام وتصاعدت حدّة الثورة إلى أن انتصرت وتمّ اطلاق سراح جميع السجناء السياسيين وعودة المبعدين، وهرب المستكبرون وقادة النظام الجائر من البلاد أو اودعوا السجون أو حكم عليهم بالإعدام، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد للّه ربّ العالمين. وأخيراً فهمت من هذا الدرس الكبير أنّ السجن من شأنه أن يمنح رجال الثورة القوة والاستقامة فى خط الرسالة أكثر، ويمكّن المُبعدين أن يوصلوا نداء الثورة إلى النقاط القريبة والبعيدة من البلاد (وممّا يجدر ذكره أنّ هذه الرسالة تتعلق بما قبل ٢٣ سنة تقريباً). السيرة المباركة، ص: ٢٧٧

٢٥العبرة

اشارة

إنّ المسار الصعب فى حركة الإنسان لتهذيب النفس والسلوك إلى اللّه بالرغم من كونه يتجلّى للسالك فى كل منزل بمناظر ومشاهد رائعة وجذّابة (حيث يجدها السالك بالشهود القلبى والمعارف اليقينية البهيجة فى عالم اليقظة أو على الأقل فى الرؤيا الصادقة فى حياة المؤمن السالك) ولكنّ كل هذه التجليات والمناظر تصل إلى الذروة عندما يصل السالك فى مسيرته المعنوية وفى خط الانفتاح إلى اللّه إلى منازل متقدمة ويكون شيخاً فى هذا الطريق ويصل فى عمره إلى سنوات متقدمة من النضج، لأنّه: أوّلًا: إنّ الإنسان السالك قد تحمل فى مسيرته هذه آلاماً وأتعاباً كثيرة فى هذه المنازل وفى طريقه المتعرج والصعب إلى لقاء اللّه كما تقول الآية الشريفة: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ» «١» ، وقد تحمل الكثير من أجل الدفاع عن حريم الربّ، وحراسة الدين الإلهى، ومن الطبيعى أنّ حظه من لقاء الربّ سيكون أكثر، وسيكون حظه من رؤية جمال المحبوب أكثر. ثانياً: إنّ ظرفيّة الإنسان السالك وسعته الوجودية فى هذه المواقع وهذه الأعوام ستكون أكثر وأوسع من ظرفيته فى المراحل السابقة، وبديهى أنّ أرضه الواسعة ستنال أمطاراً أكثر كما يقول المثل «كلما كان السطح أكبر فانّ الثلج النازل عليه أكثر». ثالثاً: إنّ هذا الإنسان السالك يعيش فى هذا العمر تجارب أكثر ويعيش النضج العقلى السيرة المباركة، ص: ٢٧٨ والعاطفى من خلال التجارب الكثيرة التى مرّت عليه فى حركة الحياة والواقع من صدود وتنكر أهل الدنيا له، التجارب التى أحسّ فيها بالانكسار والفشل حيث تكون مقدّمة لليقظة والبناء، التجارب التى عاش فيها الأوهام والطموحات: «كَسَرَابٍ بِقِيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَآءً» «١» ، وغرور الدنيا: «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» «٢» ، ومظاهر الدنيا البراقة: «كلّ شىءٍ من الدنيا سماعه أعظم من عيانه ...» «٣» التجربة التى يعيشها السالك بجميع وجوده وأعماق وجدانه فى حياته أو حياة الآخرين تثمر فإنّ لازمها القهرى والطبيعى الانقطاع عن جميع هذه الظواهر البراقة والموهومات الخداعة وقطع الأمل بجميع أنواع التعلقات الدنيوية والانشداد القلبى الخالص نحو الرفيق الأعلى وعالم البقاء «كلّ شىء هالك الّا وجهه». بديهى أنّ العوامل المذكورة أعلاه «وبعض العوامل الاخرى» تثبت حقانية الحضور والشهود وابتهاج اليقين والمعرفة للسالك فى خط الإيمان بصبغة اخرى وتمنحها

قوة واعتباراً أكثر، واضفاء مزيد من التجليات لهذا التكامل المعنوى والصفاء الروحى واليقين القلبى. إنّ أشكال التعب والكدح المضنى الذى يتحمله المؤمن السالك فى سبيل الدفاع عن الدين السماوى واحياء مذهب أهل البيت عليهم السلام يحتاج إلى ظرفية وجودية أوسع وانقطاع أكمل فى واقع الإنسان الوجدانى، وبالتالى زيادة فى الوعى والحكمة واليقين بالحقانية التى تنعكس كلها بشكل عام على كلمات السالك وفى طيات قلمه (بحيث إنّ نثره يتضمن معالم الحرقة والعاطفة، وكذلك شعره يمتاز بالاشراقات المعرفية والفيوضات الحكمية وسيأتى توضيح ذلك لاحقاً) وهكذا تمتد كلماته ومواعظه إلى أعماق الروح وتنفذ نصائحه إلى القلب فتؤثر فى النفس تأثيراً مضاعفاً، لأنّ المواعظ والنصائح الصادرة من السالك فى هذه المرحلة من العمر إنّما تصدر من أعماق قلبه وتتميز بالصدق والصفاء والاخلاص، ولذلك السيرة المباركة، ص: ٢٧٩ نرى صدور هذه النصائح بدون تكلّف أو تصنّع فى العبارة وبدون استخدام أدوات الفصاحة والبلاغة التى تبعد المستمع أو القارىء عن فهم أصل المطلب وجوهر الموعظة. والآن بعد هذه المقدّمة المختصرة، إذا أردت تصديق هذه الحقيقة، كما هو حال كاتب هذه السطور، فعليك أن تطهر روحك المتعبة بالدموع الحارة وتسقى قلبك الضمآن من كوثر المرشد الزلال وتجلس عند مجلس الوعظ معنا لنستمع إلى استاذنا ونصغى لكل ما يقوله وما يكتبه من نصائح وعبر ونتحرك فى خط السلوك المعنوى بقراءة «رسالة العبرة» و «فى مسير القرب الإلهى» لسماحة الاستاذ، ومع رعاية «التقوى» نتخلص من التعلق بالمقامات المادية والدنيوية التى هى أقل قيمة وقدراً من أن يفكر بها الإنسان السالك، ولا نغفل عن «دور التجارب» فى حياة الفرد ونهتم بالتالى ب «جبران الاخطاء» والتى تدعونا إلى أن «نخطو كل يوم خطوة جديدة إلى الأمام» ونحصل على السكينة والطمأنينة من خلال «مكافحة الوسواس» ونتحرك باتجاه «العثور على ضالتنا الأصلية» ومع إزالة حجب الأنانية والنوازع النفسانية فى التفوق والسمعة نزيل عن قلوبنا «الحجاب الأعظم»، وأخيراً عندما نتجه مع «نغمات العاشقين» باتجاه طريق أولياء اللَّه يتجلّى لنا عنصر الفقر الكامل فى أنفسنا للذات المقدّسة ونتخلص بذلك ومن خلال نفى الشرك والرياء من «آخر مانع فى طريق الحق».

موعظة بقلم الاستاذ:

اشارة

«إنّ الكثير من الأعزاء، وخاصة الشباب، عندما يأتون إلينا ويطلبون الموعظة والنصيحة المناسبة لتكون كالمصباح النير فى طريق سلوك المعرفة الإلهيّة وليفتحوا طريق القرب الإلهى فى حركتهم المعنوية (ويتصورون أننا سلكنا هذا الطريق بكل تفاصيله وأزقته وأننا على معرفة بتعقيداته ومشكلاته، وليت الأمر كان كذلك) ولكن بما أنّ كل طلب لابدّ له من السيرة المباركة، ص: ٢٨٠ جواب مناسب ولاسيّما بالنسبة إلى طلب أهل الإيمان والسالكين طريق الحقيقة وسبيل المعرفة، فلا ينبغى رد طلبهم، وهنا أتقدم لهم من خلال الاستفادة من آيات القرآن المبين وكلمات المعصومين عليهم السلام وحالات العظماء من علماء الدين والتجارب التى عشتها فى حياتى اقدمها كبضاعة مزجاة فى هذا التقرير المختصر وأرجو من جميع الأعزاء أن لا ينسونى من دعائهم كما أننى لا أنساهم من الدعاء لهم دائماً بالموفقية:

١- تقوى اللَّه

قبل كل شىء اوصى نفسى وجميع الأعزاء بتقوى اللَّه التى هى الحصن الحصين والقلة القوية الإلهيّة وزاد يوم المعاد بل (خير الزاد إلى خالق العباد)، التقوى التى لا تمثل حركة طارئة فى حياة الشخص بل تمتد إلى أعماق روحه وتصبغ جميع وجودنا بصبغتها «وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ...» «١» إنّ مثل هذه التقوى بإمكانها أن تمنحنا الجهة التى نتوجه إليها فى أهدافنا القريبة والبعيدة وتشخص لنا

مسيرتنا في حركة الحياة وتكشف لنا عن مطبات الطريق وغوامض السبيل. هذه التقوى التي تمثل أكبر رأس مال للإنسان وأعلى وسام يفتخر به، وهي الملكة التي تربط الإنسان بخالقه وتوصله إلى مقام العبودية الخالصة بحيث يسمع هذا النداء من أعماق قلبه: «إلهي كفى بي عزّاً أن أكون لك عبداً وكفى بي فخراً أن تكون لي ربّا» «۲».

۲- المقامات المادّية أقل شأناً ممّا نتصور

أيّها الأعزاء! لقد جربت في هذا العمر القصير المعالم المرّة والتحديات الصعبة في الحياة ورأيت ما تتضمنه الحياة من تعقيدات وصعوبات وجرّبت العزّة والذلة والشدة والراحة، وأخيراً لمست هذه الحقيقة القرآنية بجميع وجودي: «وَ مَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» «۱»، أجل الدنيا متاع غرور وخداع وهي فارغة وموهمة وزائفة أكثر ممّا نتصور. إنّ الأمر الوحيد الذي يمنح هذه الحياة معنىً خاصاً ومفهوماً جميلًا هو الاعتقاد بالحياة الاخرى بعد الموت، فلو لم تكن هناك حياة بعد الرحيل من هذه الدنيا فلا يبقى معنىً ولا مفهوماً ولا هدفاً لهذه الدنيا. إنني لم أجد في جميع سنوات عمري شيئاً ذا قيمة سوى ما كان يتصل بالابعاد المعنوية والقيم الأخلاقية للإنسان، فجميع القيم المادية تنتهي إلى سراب بقيعة، والناس نيام والتخطيط للدنيا رسم على الماء، والإنسان يعيش في هذه الدنيا في تعب دائم ومشقة مستمرة. إنّ أطفال الأمس هم شباب اليوم، وشباب اليوم هم شيوخ الغد، وشيوخ يضطجعون غداً تحت التراب وكأنّهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً، عندما أمرّ إلى جانب بيوت كبار العلماء أو الشخصيات المهمّة في الأزمنة السابقة يتبادر إلى ذهني أنّ هذه البيوت كانت في زمن معين تغص بالرجال ومعمورة بالحركة والنشاط والضوضاء، وما أكثر الأنظار التي كانت متوجه إلى هذه البيوت من موقع التعظيم والتبجيل، ولكنها اليوم تلبس ثياب النسيان وترتدي حلّة غبار الزمان وتسكن في صمت رهيب، وأحياناً أتذكر الحديث الشريف لأمير المؤمنين على عليه السلام في نهج البلاغة حيث قال: «فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيا عُماراً وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ داراً» «۲». السيرة المباركة، ص: ۲۸۲ إنني أرى رفاقاً يسيرون بقامات منحنية متكئين على العصا ويخطون خطواط قليلة ويقفون للاستراحة وهكذا يخطون خطوات اخرى، وفجأة تتجسد أمامي مرحلة الشباب التي كانوا يعيشونها وما كانوا عليه من قامات منتصبة نشاطاً وحركة وفاعلية، وحالات الفرح والضحك التي كانوا عليها في جلساتهم، ولكن اليوم نرى غبار البؤس والضعف على قسمات وجوههم، وتتجلّى سيماء الحزن والكآبة على محياهم وكأنّهم لم يذوقوا طعم الفرح والسرور في السابق. وهنا يتجلّى لنا مفهوم الخطاب الإلهي في القرآن الكريم: «وَ مَا هذِهِ الحَيوةُ الدُّنْيا إلّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ» «۱» فنشعر هذا المعنى بجميع وجودنا وإنني مطمئن إلى أنّ الآخرين عندما يصلون إلى ما وصلت إليه من العمر فانّهم سيجدون صحة ما أقول إذا تأملوا فيه قليلًا، ومع هذا الحال لماذا نرى كل هذه النزاعات وحالات الصراع من أجل المال والمقام والجاه؟ ولماذا هذا التنافس في الحطام الزائل؟ ولماذا نعيش كل هذه الغفلة عن المصير؟ ولاسيّما أنّ الإنسان يعيش في العالم المعاصر متغيرات سريعة وتحولات هائلة في جميع المجالات. إنني أعرف بعض العوائل الذين كانوا يعيشون بالأمس سوية وكانوا على مقدار كبير من التشخص والمكانة الاجتماعية واليوم نراهم متفرقين أشتاتاً فأحدهم يعيش في أمريكا، والآخر في اروبا، والآخر في مكان آخر وقد بقي الوالدان في البيوت كالغرباء، وأحياناً تمرّ شهور عديدة بدون أن يصل خبر من الأبناء ولا أنّ الأبناء يصل إليهم خبر عن الآباء، وهنا أتذكر ما ورد في السيرة المباركة، ص: ۲۸۳ كلمات إمامنا النوارنية: «إنَّ شَيْئاً هذا آخِرُهُ لَحَقيقٌ أَنْ يُزْهَدَ في أَوَّلِه» «۱». أحياناً أتوجه لزيارة الأموات وخاصة مقبرة العلماء والفضلاء، وأتعجب كثيراً من وجود مجموعة كبيرة من الأصدقاء والأحبة القدماء نيام في هذه المقبرة حيث توجد صورهم التي أعرفها على جدار المقبرة وهنا أذهب وأتوجه إلى أعماق التاريخ وأتصور أنني من بين هؤلاء، ثم أرجع إلى نفسي وأجدها على قيد الحياة».

۳- دور التجارب!

أيّها الأعزاء! إنّ الحياة ليست سوى تجربة، التجربة التي بإمكانها إصلاح أخطاء الإنسان وارشاده إلى سلوك طريق أفضل في حركة

الحياة، والتجربـة تظهر للإنسان حقائق الحياة بصورة شـفافة وجليّة وتزيل عنها عنصـر الإبهام والغموض الذى يغطى ملامح هذه الحياة. ومن هنـا نرى أنّ بعض الحكمـاء طلب من اللّه أن يمنحه عمرين: يتحرك فى الأـول من موقع التجربـة، وفى الثانى من موقع الاسـتفادة من هذه التجربة. ولكن بما أنّ العمر الثانى ليس سوى سـراب وحلم وعندما يصل الإنسان إلى مستوى من النضج والمعرفة يصل حينئذٍ إلى نهايـة المطـاف ويجـد نفسه فى آخر الخـط. فلابـدّ من سـلوك طريـق آخر، وهـو الطريـق الـذى أرشـدنا إليه مولى المتقين وأمير المؤمنين الإمـام على عليه السـلام حيث وضع أمامنـا الحـل لمشـكلة العمر الثـانى بأفضل صورة وذلك عنـدما يوصـى ابنه العزيز الإمام الحسن ويقول: السيرة المباركة، ص: ۲۸۴ «أى بُنَىَّ إنّى وإن لم أكن عمرت عمر مَن كـان قبلى، فقـد نظرتُ فى أعمالهم، وفكرت فى أخبارهم، وسِرت فى آثارهم، حتّى عُدتُ كأحدهم بل كأنّى بما انتهى إلىَّ من امورهم قد عُمِّرتُ مع أوّلهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضـرره، فاستخلصت لك من كل أمرٍ نخيلته» «۱». أيّها العزيز! إننى أقول لك مؤكداً أن تهتم كثيراً من بين جميع تواريخ المجتمعات السالفة بما ورد فى القرآن الكريم من حالات الانبياء الإلهيين وأقوامهم السالفة حيث تتضـمن حقائق عظيمة تمثل زاداً ومتاعاً مهماً للسالكين فى خط العبوديـة والإيمان والانفتاح على اللّه، ولكن هناك فئـة من الناس يعيشون اللجاجـة واعوجاج الـذوق وضـيق الافق ويتوقعون أن يجربوا كل شـىء بأنفسـهم لكى يقبلوا به وليس من المعلوم ما هو السـبب الـذى يـدفعهم إلى انكار تجارب الآخرين والاسـتفادة منها، فى حين أنّ أعمارهم لا تكفى لأقل القليل من ذلك، فهؤلاء الجهّال لم يجرّبوا لحدّ الآن سوى عدّة مسائل وتنتهى أعمارهم وقبل أن يصلوا إلى مرتبـة من الكمال والنضـج والمعرفـة يغادرون هـذه الحياة بأيدٍ فارغة. أيّها العزيز! لا تكن كـذلك، بـل كن من اولى الألبـاب الـذين يصـفهم القرآن الكريم بقوله: «لَقَـدْ كَـانَ فِى قَصَصِـهِمْ عِـبْرَةٌ لِّأوْلِى الْأَلْبَـابِ» «۲» ولاـ تنسَ بالأـخص قراءة ومطالعـة حالاـت العلماء السابقين وكبار رجال العلم والأدب والتقوى والسـلوك إلى اللّه فانّ فى حياتهم وسـلوكياتهم نقاطاً مضـيئة وملاحظات عجيبة حيث تمثل كل واحدة منها درّة يتيمة وجوهرة غالية، فاننى استفدت من مطالعة حالاتهم تجارب كثيرة ومهمّة.

۴- جبران الأخطاء

الخطوة التاليـة هى أن نعلم أنّ الإنسـان جـائز الخطأ ويقع دائماً فى معرض أنواع الانحرافات والأخطاء سوى المعصومين عليهم السـلام. المهم أن يهتم الإنسـان بعمليـة اصـلاح هـذه الأخطـاء ولاـ يتعامـل معها من موقع الافراط والتعصب واللجاجـة، ولا يحسن الظن بنفسه ويغض النظر عن أخطـائه وذنوبه فـانّ ذلـك يعـدّ من أكـبر الـذنوب وأعظم الأخطـاء. وحـتى الشـيطان فمع أنّه ارتكب أكـبر الـذنوب والخطايـا واعترض على حكمـة اللّه تعـالى ورأى أنّ السـجود لآـدم غير سديـد، وتمرد على الأمر الإلهى غايـة التمرد والعناد، ولولا أنّ حجاب التعصب والعناد قد غطى على عقله وبصـيرته وركـب مركـب الكبر والغرور فانّ باب التوبة والإنابة سيكون مفتوحاً أمامه. ولكنّ عنصـر الغرور والعناد أدّى إلى أن لا يتحرك فى خط التوبة والإنابة، وليس هذا فحسب بل حمل على عاتقه أثقال ذنوب جميع العصاة والمتمردين، فما أثقل هـذا الحمل الـذى لا يتمكن على حمله الإنسان!! لهذا السـبب نرى أنّ أميرالمؤمنين عليه السـلام يقول فى خطبة القاصعة: «فَعَدُوُّ اللَّهِ إمامُ الْمُتِعَصِّبينَ وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرينَ» «۱» ، فينصح الإمام عليه السلام جميع الناس بأن يأخذوا العبرة من حال إبليس وكيف أنّه خسـر حصـيلة آلاـف الاـعوام من العبادة والعبوديـة بسـبب ساعـة من التكبر والغرور والعناد حيث أورثه ذلك أن يطرد من أجواء عالم الملكوت ومن الملائكـة ليصل إلى «اسفل السافلين». أيّها العزيز! إذا صـدر منك زيغ أو خطأ وارتكبت الذنب والمعصـية فتحرك من مكانك بشـجاعة وقف أمام اللّه تعالى واعترف له بالـذنب والخطأ السيرة المباركة، ص: ۲۸۶ وقل له بصـراحة: إلهى لقد أخطأت فى عملى هذا فأعتذر منك وأطلب المغفرة والصـفح وأن تخلصـنى من مصيدة الشيطان وهوى النفس إنّك «أرحم الرّاحمين» و «غفّار الـذّنوب». إنّ هـذا الاعتراف بحـدّ ذاته يمنحك الطمأنينة ويكشف أمامك طريق الصـلاح والقرب الإلهى. وبعد ذلك عليك أن تتحرك فى خط إصـلاح الماضـى وجبران الخلـل، واعلم أنّ هـذا العمل لا يقلل من شأن الإنسان ومقامه، بل بالعكس فإنّه يزيـده

كرامة وشأناً وقيمة. إنّ طريق القرب من اللّه تعالى لا يجتمع مع عنصر التكبر وحالة العناد، فالكثير من الأشخاص الذين كان بإمكانهم سلوك طريق الهدى والوصول إلى مراتب معنوية سامية ولكنّهم بسبب هذه الرذيلة الأخلاقية (الغرور والعناد) فانّهم تنكبوا عن الطريق وسلكوا فى خط الضلالة والانحراف. إنّ حالة التكبر والغرور والعناد ليست لا تمثّل مانعاً أساسياً فى طريق تهذيب النفس فحسب بل تصد الإنسان من الصعود فى درجات العلم وتحرمه من التوفيق والنجاح على مستوى الامور الاجتماعية والسياسية والعلمية أيضاً، إنّ مثل هذا الشخص يعيش دائماً فى عالم من الأوهام والخيالات الواهية وينتهى عمره وهو حائر فى عالم الأوهام، والعجيب أنّ هذا الإنسان يبحث دائماً عن عوامل فشله من خلال الأسباب الخارجية، فى حين أنّ العامل الأساس لفشله وعدم موفقيته فى حركة الحياة يكمن فى أعماق نفسه ولكنّه يقوم بإسقاط هذه الحالة الذميمة على الوسائل والأسباب الخارجية فيزيد من ضلالته وتخبطه فى متاهة الأهواء.

۵- ينبغى التقدم كل يوم خطوة جديدة إلى الأمام

أيّها الأعزاء! إنّ أوضح معالم الموجود الحى هو النمو والرشد، ففى كل وقت يتوقف هذا النمو فحينذاك يكون قد اقترب الأجل، وعندما يجد الكائن الحى نفسه فى منزلقات الانحطاط فانّ ذلك يعنى بداية موته التدريجى وهذا القانون حاكم على حياة الإنسان المادية والمعنوية بل حاكم أيضاً على المجتمع البشرى (فتدبر). ومع الأخذ بنظر الاعتبار هذه الحقيقة فلابدّ من القول إننا إذا لم نتقدم كل يوم إلى الأمام ولم نتحرك فى خط التكامل الأخلاقى والأدب والطهارة والإيمان باستمرار ونجد حالنا لا يختلف فى هذه السنة عن السنوات السابقة فانّ ذلك يعنى خسارة عظيمة فى وجودنا وأننا قد ضللنا الطريق وسلكنا طريق المتاهة والانحراف، وحينئذٍ لابدّ من أن نشعر بالخطر المحدق ونعيش الخوف والقلق من هذه الحالة. وقد ذكّرنا إمامنا الكبير أميرالمؤمنين عليه السلام بهذا المعنى بأجمل بيان وأبلغ كلام حيث قال فى حديثه المعروف: «مَنِ استوى يَوْماهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ» «۱» «وَمَنْ كانَ فِي نَقْصٍ فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ» «۲». لأنّه يفقد من رأسماله وعمره بدون أن يكسب شيئاً فى تجارته وليس له سوى الحسرة والحزن فى آخر المطاف. ومن كان حاله إلى النقصان والتسافل والانحطاط فالموت له أفضل من الحياة، لأنّ الموت حينئذٍ يمثّل حال التوقف عن النقصان، وهذا بنفسه نعمة كبيرة. إذا كان السالك إلى اللّه والعارف باللّه يرى ضرورة «المشارطة» فى صباح كل يوم و «المراقبة» فى طول ساعات ذلك اليوم، و «المحاسبة» ثم السيرة المباركة، ص: ۲۸۸ «المعاقبة» فى أخر الليل فانّ ذلك كفيل بإزالة حجاب الغفلة عنه وعندما يقع فى الخطأ ويرتكب بعض المخالفة فإنّه يتحرك فوراً لجبران هذا النقص والخلل فى مسيرته المعنوية، وبذلك يعيش كل يوم افقاً جديداً من الأنوار وتنفتح أمامه نوافذ جديدة للأنوار الإلهيّة ويعيش كل يوم موهبة جديدة ونعمة إلهيّة كما هو حال أهل الجنّة: «وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فيها بُكْرَةً وَعَشِيّاً» «۱». ولهذا أيّها العزيز! لا تغفل عن أحوالك وعن هذه التجارة الكبيرة برأسمال عمرك واستبداله بقيم ثمينة ومواهب جليلة، وكل إنسان يمكنه أن يحصد أرباحاً كبيرة بهذا العمر القصير ولا يكون مصداقاً لقوله تعالى: «إنَّ الإِنسانَ لَفِي خُسْرٍ» «۲». ولا تغفل أيضاً عن محاسبة نفسك، وعليك أن تحاسبها فى كل شهر وكل يوم قبل أن تُحاسَب على أعمالك.

۶- التشبّه بالجماعة يورث الفضيحة!

أيّها الأعزاء! إنّ كثيراً من حالات الامتحان الإلهى للإنسان أن يجد الفرد نفسه سواءً فى داخل البلاد الإسلامية أو خارجها وهو يعيش مع جماعة متحللة وغير ملتزمة ديناً ويوسوس له الشيطان بأن يكون مثلهم، ومن هنا تنطلق شرارة الهوى ويجد الإنسان نفسه مضطراً إلى التشبث بهذه الجماعة ويبرر سلوكه هذا بمختلف أشكال التبريرات الواهية والأعذار السقيمة. إنّ ميزان الرشد الأخلاقى يكمن فى استقلال شخصية الإنسان وتفتحُّ عنصر الإيمان فى قلبه ووجدانه، وفى مثل هذه الأجواء، فالأشخاص الذين يميلون مع كل ريح فانّهم سيغرقون فى دوامة الفساد وتكون الفضيحة فى السيرة المباركة، ص: ۲۸۹ النهاية حيث يرون أنّ التشبّه بجماعة الملوثين تحفظهم من

الفضيحة، إنّ مثل هؤلاء الأشخاص لا يجدون لأنفسهم قيمة وقد قنعوا من جوهر الإنسان ولبابه بالقشرة والصدف. ولكنّك أيّها العزيز! عليك بأن تظهر قيمتك وشخصيتك فى أجواء هذا المحيط السافل وأبرز قدرة إيمانك وتقواك واستقلال شخصيتك إليهم، واعلم أنّ التشبّه بالجماعة سبب الفضيحة. إنّ الأنبياء والأولياء والسالكين طريق الحق كانوا يواجهون غالباً هذه المسالك ولكنّهم كانوا يتخذون موقف الصبر والاستقامة والمثابرة بحيث لم يتشبّهوا بالمحيط الاجتماعى ويتأثروا بالأجواء الحاكمة على أقوامهم، ليس هذا فحسب بل تحركوا على مستوى تغيير ذلك المحيط الفاسد والتأثير عليه وجعله مشابهاً لهم ومسايراً لحركتهم التوحيدية. إنّ التشبّة بالمحيط والتلون بلون المناخ الاجتماعى يجعل الإنسان عديم الإرادة وضعيف العزيمة ولكنّ بناء أجواء جديدة وايجاد تحول إيجابى فى الواقع الاجتماعى فانّه لا يصدر إلّامن المؤمنين الشجعان وأصحاب الإرادة والقدرة الروحية الكبيرة. إنّ منهج الفئة الاولى يتلخص فى التقليد الأعمى وهو: «إِنَّا وَجَدْنَآ آبَآءَنَا عَلَى امَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ» «۱» ، فى حين أنّ منهج الفئة الثانية يكمن فى التفكر والتدبر والإختيار المناسب وشعارهم هو: «لَّاتَجِدُ قَوْماً يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُم أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُم أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ» «۲». أجل، إنّ روح القدس يسارع فى بذل المعونة إليهم وتقوم الملائكة السيرة المباركة، ص: ۲۹۰ بحراستهم والدفاع عنهم وتقوية معنوياتهم ودعوتهم إلى الاستقامة والمقاومة. أيّها العزيز! إذا وجدت نفسك متورطاً فى مثل هذه الظروف والتحديات فعليك بتفويض أمرك إلى اللّه والتوكل عليه ولا تستوحش من (كثرة الخبيث) واكتب لنفسك النجاح والموفقية فى هذا الامتحان وانتفع من بركاته ومعطياته الكثيرة وقل: «لَّايَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَو أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» «۱». إنّ هذا الامتحان الإلهى لاسيّما بالنسبة لشبابنا الأعزاء يتضمن أهميّة خاصة فى عصرنا الحاضر، فهؤلاء الشباب هم الذين يمكنهم الخروج من هذا الامتحان الكبير بنجاح ويركبوا أجنحة ملائكة الرحمة ويحلّقوا فى أجواء سماء القرب الإلهى.

۷- ابحث عن الضالة الحقيقية!

إنّ كل شخص ينظر إلى قلبه ووجدانه يرى أنّه يبحث عن ضالة معينة، ولكنّه نظراً لعدم تحليله الصائب لهذه الضالة المنشودة فكأنّه يبحث عنها فى كل شىء وفى كل مكان. فأحياناً تكون ضالته الأصلية هى المال والثروة بحيث لو استطاع أن يجمع منها الشىء الكثير فإنّه سيكون أسعد الناس، ولكنه عندما ينال الثروة يجد نفسه فى مواجهة عيون الطامعين وألسنة المتملقين ومصائد السارقين ويعيش دائماً كيد الحاسدين، وأحياناً يجد فى نفسه الخوف والقلق فى حفظها وانفاق المال الكثير فى سبيل حراستها والاحتفاظ بها فيعيش الاضطراب والقلق من ذلك أكثر ممّا كان يعيشه فى سبيل تحصيلها. السيرة المباركة، ص: ۲۹۱ وهناك يفهم أنّه أخطأ الطريق إلى ضالته المنشودة وأنّها لا تتمثل بالثروةوالمال. وأحياناً يتصور أنّه إذا حصل على زوجة ذات جمال ومال وثروة فإنّه سيجبر ما يحتاجه من السعادة والرفاهية، ولكن عندما يحصل على هذا الهدف وتتجسد أمامه الاخطار والمشاكل الناشئة من الاحتفاظ بهذه الزوجة وتحمل توقعاتها الكثيرة ومطالبها الشاقة فإنّه يجد نفسه فى ورطة جديدة وأنّه كان يعيش السراب فى أحلام وأوهام. أمّا الشهرة أو المكانة الاجتماعية فانّها تتجّلى من بعيد بأجمل صورة بحيث تسلب قلوب المشتاقين ويتصورون أنّهم أسعد الناس فى حال حصولهم عليها، فى حين أنّ المشاكل والأزمات الناشئة والمسؤوليات الإلهيّة والإنسانية المترتبة على الشهرة والمقام أكثر من الجميع. لقد كان المرجع الروحانى والمعنوى الكبير المرحوم آية اللّه العظمى السيد البروجردى فى أوج عظمة مقامه ومرجعيّته لعالم التشيع وانفراده بهذا المقام فى ذلك الزمان، عندما رأى مشكلات الشهرة والمقام قال ما مضمونه: «إذا كان الشخص يتحرك فى سبيل تحصيل مقام مثل مقامى ولكن لم يكن الباعث له هو اللّه تعالى بل بدافع الأهواء والنوازع النفسية فلا تشكّوا فى قلّة عقله!». أجل، فانّ جميع هذه الامور كلها سراب وأوهام لا أكثر بحيث عندما يصل إليها الإنسان فإنّه ليس فقط لا يتمكن من إرواء نفسه وإطفاء عطشه، بل سيزداد عطشاً فى صحراء الحياة المحرقة وكما يقول القرآن الكريم: «كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَآءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ...» «۱».

السيرة المباركة، ص: ۲۹۲ هل يعقل فى حكمة الخالق أنّ الإنسان الذى يعيش هذا الاحساس والشعور الباطنى ولكنّه لا يمكنه العثور على ضالته فى أى مكان؟ لا شك بأنّه لا معنى للعطش بدون وجود ماء، وكذلك لا يمكن فى دائرة الحكمة الإلهيّة وجود ماء بدون الإحساس بالعطش. أجل، إنّ الإنسان الفطن سيدرك تدريجياً أنّ ضالته التى يبحث عنها ولا يجدها، موجودة فى أعماق نفسه وفى محتواه الداخلى وقد استوعبت جميع وجوده، وهى أقرب إليه من حبل الوريد ولكنّه غافل عنها: «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ الَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» «۱». أجل، إنّ ضالةالإنسان موجودة معه فى كل مكان وزمان ولكنّه محجوب عنها بحجاب الابتلاءات الطبيعية التى تمنع من رؤية جمال هذه الحقيقة والتحرك فى الطريق الموصل إليها. أجل أيّها العزيز! إنّ ضالتك موجودة عندك، فعليك السعى لإزالة الحجب والاستار عنها ليتمتع قلبك بجمالها وترتوى روحك من عذب مائها فتشعر بالسكينة والطمأنينة الواقعية والبهجة الكاملة فى جميع وجودك وترى أنّ جنود السماء والأرض تسعى فى خدمتك، إنّ ضالتك الحقيقة هى وجودك الأصيل الذى يشمل جميع أركان عالم الوجود: «هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُواْ إِيمَانَاً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً» «۲».

۸- مواجهة الوسواس!

أيّها الأعزاء! كان حديثنا عن السكينة والطمأنينة للروح والنفس، وهى السيرة المباركة، ص: ۲۹۳ الجوهرة الغالية التى سعى لتحصيلها خليل اللَّه عليه السلام عندما نظر إلى ملكوت السموات والأرض وأراد معرفة أسرار هذا العالم العجيب: «وَ كَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» «۱». وقد فسّرت الطيور الأربعة، كما ذكره بعض أرباب التفسير، بأنّ كل واحد منها يعبر عن مظهر من الصفات الذميمة فى الإنسان (فالطاووس مظهر العجب والغرور، والديك مظهر الرغبة الجنسية، والحمامة مظهر اللهو واللعب، و الغراب مظهر الطمع والآمال الطويلة!) فكان أن ذبحها وخلط لحومها ثم وضعها على الجبال لينال بعد إحيائها مرتبة الاطمئنان القلبى «لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى»». كيف ينال الإنسان هذه الدرّة اليتيمة، أى السكينة القلبية والاطمئنان الروحى، وأين يبحث عن هذه الحالة الملكوتية؟ أقول لكم إنّ طريق تحصيل هذه الملكة الإلهيّة سهل ويسير جدّاً وفى نفس الوقت صعب جدّاً، ولتقريب هذا المعنى نذكر له مثالًا: هل ركبتم الطائرة فى أجواء غائمة؟ عندما تحلّق الطائرة تدريجياً متّجهة إلى عنان السماء وتمرّ بهدوء من بين السحب الكثيفة لتحلق فوقها، هناك يجد المسافر الشمس مشرقة بجلال كامل وترسل أشعتها إلى كل مكان، هناك لا يوجد خبر عن السحاب طيلة أيّام السنة ولا يحجب الشمس شيءٌ أبداً، لأنّ ذلك المكان أعلى من السحاب. إنّ الذات المقدّسة وخالق عالم الوجود هو نور العالم وشمسه المشرقة التى ترسل أشعتها ونورها إلى كل مكان، وأمّا السحاب الذى يحجب الإنسان عن رؤية هذا النور الإلهى فهو الأعمال السيئة والآمال الدنيئة السيرة المباركة، ص: ۲۹۴ والنوازع النفسانية التى تمنع الإنسان من رؤية جمال الذات المقدّسة، فهذه الحجب هى أعمالنا السيئة التى تغطى أبصارنا وقلوبنا. وكما يقول إمام العارفين: «إِنَّكَ لْا تَحْتَجِبُ ومِنْ خَلْقِكَ إلَّا أنْ تَحْجُبَهُمُ الْاعْمالُ دُونَكَ» «۱». هذه الحجب قد تراكمت على القلب بفعل الشياطين التى نفذت إلى قلوبنا وأنفسنا بسبب أعمالنا كما ورد فى الحديث الشريف: «لَوْلا أَنَّ الشَّياطِينَ يَحُومُونَ عَلى قُلُوبِ بَنِى آدَمَ لَنَظَرُوا الى مَلَكُوتِ السَّماوات» «۲». هذه الحجب بمثابة أوثان متنوعة صنعناها بأيدينا وانطلقنا لاشباع رغباتنا وأهوائنا ووضعناها فى كعبة القلب، كما يقول بعض الأكابر: «كُلُّ ما شَغَلَكَ عَنِ اللَّهِ فَهُوَ صَنَمُكَ». أيّها العزيز! إحمل فأس الإيمان والتقوى واهجم على هذه الأصنام الباطنية بروح إبراهيمية وحطّمها لتتمكن من العروج إلى ملكوت السموات والنظر إلى ذلك العالم ولتكون من الموقنين كما كان إبراهيم كذلك: «... وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» «۳». إنّ غبار الأهواء والشهوات لوّث أجواء أرواحنا ومنع بصائرنا من رؤية عالم الملكوت، فتحرك بهمّة وعزم لتطهير هذه الشوائب وكنس هذا الغبار من صفحة القلب. والعجيب أنّ اللَّه تعالى هو أقرب إلينا من أنفسنا ومع ذلك نحن نعيش الابتعاد عنه!! إنّ اللَّه موجود معنا فلماذا نعيش الغفلة عنه؟ أجل فكما يقول المثل: «إنّ الصاحب فى الدار ونحن ندور حول العالم». السيرة المباركة، ص: ۲۹۵ هذه هى مشكلتنا

الكبيرة، وهذا هو ما نعيشه من الحرمان والألم وجفاف الروح رغم أنّ طريق العلاج سهل وميسور.

۹- الحجاب الأعظم!

ما هو أعظم حجاب يمنع الإنسان من لقاء اللَّه؟ بديهى أنّه لا يوجد لدينا حجاب أسوأ وأشدّ من حجاب الأنانية والعجب وحبّ الذات، وكما يعبّر بعض الأكابر من علماء الأخلاق أنّ «الأنانيـة» تعد أكبر مانع يصد السالكين عن طريق اللَّه، والطريق لنيل مرتبة القرب الإلهى وتحصيل لقـاء اللَّه يتمثـل فى قلع شـجرة «الأنانيـة» من جـذورها، ولكنّ هـذا العمل ليس باليسير على الإنسان لأنّ ذلك يعنى انفصال الإنسـان عن ذاته ونفسه. أنت الحجاب على نفسك ... فقم من مكانك يا حافظ. بيـدَ أنّه يتيسر بالممارسـة والتمرين وتهـذيب النفس والإسـتمداد من الحق والتوسّل بذيل عنايات أولياء اللَّه، أجل فمادامت حشائش وأشواك الرغبات والميول النفسانية وحبّ غير اللَّه فى قلب الإنسان، فانّ نبتـة العشق للَّه والشوق إليه لا تنمو فى هـذا المحيط. ويُنقل عن حالات أحـد أولياء اللَّه أنّه كان فى شـبابه من أبطال المصارعـة، وفى أحـد الأيّام اقترحوا عليه أن يتصـارع مع بطـل معروف فى تلـك الـديار. وعنـدما تهيأت حلبـة السـباق وحضـر الناس وأصـحاب المقامات الرسـمية للتفرج على هـذه المصارعة المثيرة بين هذين البطلين واسـتعداد كل واحد منهما لإجراء هذه المصارعة، جاءت امرأة عجوز، وقـد اتّضـح بعـد ذلك أنّها والـدة ذلك البطل المعروف، إلى هذا البطل الشاب وأسـرت فى اذنه كلمات وذهبت إلى حالها، قالت: أيّها الشاب إنّ القرائن تشير إلى أنّك ستنتصـر فى السيرة المباركة، ص: ۲۹۶ هذه المصارعة، ولكن هل ترضى بأن ينقطع رزقنا وننفضـح أمام الملأ بعـد كل هـذه الأعوام المتماديـة؟ شـعر البطل الشاب فى أعماق نفسه بتصادم الأنانيـة والإنسانيـة، فإمّا الشـهرة، أو سـحق الـذات والاـعراض عن المقـام ومـا يحفـل به من معطيـات ومزايـا كثيرة، إلّـاأنّه صـمم أخيراً على رأيه، وفى احـدى اللحظات الحساسة من المصارعة أهمل نفسه ليتفوق غريمه عليه ويلصق ظهره بالأرض وليفوز بالجائزة. ولنستمع الآن إلى ما يقوله هذا الشاب بعـد ذلك: «فى اللحظـة التى أحسـست بظهرى قـد التصق بالتراب رأيت فى لحظـة أنّ الحجب قد زالت عن عينى وبانت لقلبى تجلّيات الحق، فرأيت ما ينبغى رؤيته فى عالم القلب والبصيرة». أجل، فبتحطيم هذا الصنم تتجلّى معالم التوحيد ومظاهر الربوبية.

۱۰- ترنيمات العشّاق

أيّهـا العزيز! من أجـل سـلوك هـذا الطريق عليك فى البدايـة بالتمسك بلطف اللَّه تعالى وبالتوسل بالأذكار الواردة فى القرآن الكريم وأحاديث المعصومين عليهم السـلام لتقترب تدريجياً إلى الذات المقدّسة ولا سيّما أنّ هذه الأذكار تستبطن مفاهيم العبودية والفقر فى واقع الإنسـان للـذات المقدّسـة، وقل حينها كما قال موسـى عليه السـلام: «رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» «۱». و كمـا قال أيّوب عليه السـلام: السيرة المباركة، ص: ۲۹۷ «إِذْ نـادى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْـتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» «۱». وكما قال نوح عليه السـلام: «فَدَعا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِـرْ» «۲». أى مغلوب هوى النفس وأنت قـادر على الانتقام من هـذه النفس الأمّارة. وكما قال يوسف عليه السـلام: «فاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيّى فِى الـدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، تَوَفَّنِى مُسْـلِماً وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحينَ» «۳». وكما قال طالوت وأصـحابه: «رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُـرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» «۴». وكمـا قـال أصـحاب العقول واولو الألبـاب: «رَبَّنَا إِنَّنَا سَـمِعْنَا مُنادِياً يُنَادِى لِلْإِيْمَـانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُم فَآمَنَّا رَبَّنَـا فَاغْفِرْ لَنَـا ذُنُوبَنَـا وَكَفِّرْ عَنَّا سَـيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ» «۵». فى كل واحـد من هـذه الأدعيـة بحر من المعارف الإلهيـة والأنوار الربانية حيث تحكى عن فوارة العشق والحبّ لخالق عالم الوجود ومبدأ الكائنات، هذا العشق هو الذى يقرّب الإنسـان فى كل الأوقات إلى مصـدر النور والـذات المقدّسـة. عليك بالاسـتفادة من أذكار المعصومين عليهم السـلام وزيارة عاشوراء وزيارة آل ياسين ودعاء الصباح وكميل والندبة وأمثالها، بل يمكنك اقتطاف عبارات كثيرة من دعاء عرفة لتدعو بها فى صلاتك ولا تنسَ صـلاة الليل وإن كانت السـيرة المباركة، ص: ۲۹۸ خفيفـة وبدون زوائد وتفاصـيل، فانّها على أيّة حال الكيمياء الأكبر والاكسير الأعظم للسالك فى طريق الكمال المعنوى، وبـدونها لا يصل الإنسان إلى أيّـة مرتبة أو منزل إلّانادراً، وعليك مد يد العون للمحتاجين

وقضاء حاجاتهم (عن أى نعمة أمكنك ذلك)، فانّ لـذلك تأثير عجيب على الروح ويساهم فى وصولك إلى مقامات معنوية عالية، فلا يخلو يومك من تقديم خدمة أو خدمات ولو بسيطة للناس. يجب أن تحقق فى نفسك وقلبك أجواء هذه الأدعية والمناجاة وتمد يدك نحو مصدر الفيض ومبدأ النعمة فانّ القلب الذى يخلو من ذكره هو قلب ميت لا روح فيه. ثم تمسك بالعروة الوثقى للاطهار المعصومين (الأنبياء والأئمّة عليهم السلام) ومن تابعهم فى مسيرتهم الإلهيّة، أى العلماء الكبار والسالكين طريق المعرفة باللّه، وعليك بالتفكر فى حالاتهم ليمتلىء قلبك من نور باطنهم وتشرق روحك من صفاء أرواحهم على أساس أصل المحاكات والسنخية وتتبعهم فى حركتهم ومسيرتهم. وفى الواقع أنّ الاستماع إلى تاريخ الأعاظم والاهتمام بمطالعة سيرتهم بمثابة الجلوس معهم وصحبتهم فى أسفارهم، كما أنّ مطالعة سيرة الأشخاص المنبوذين وأهل الشر بمثابة الجلوس معهم ومصاحبتهم. وأحدهما يزيد فى عقل الإنسان ودينه، والآخر يورثه الظلمة والحيرة والوقوع فى منزلقات الخطيئة. ولا أنسى أننى فى أحد أسفارى لزيارة الإمام ثامن الحجج الرضا عليه السلام فى مشهد وجدت فراغاً من الوقت وبدأت بمطالعة سيرة أحد العرفاء الإسلاميين المعاصرين المليئة بالنقاط المضيئة والعبر المفيدة، فكنت أقرأ السيرة المباركة، ص: ۲۹۹ بخيال بارد وفجأة شعرت بثورة فى أعماقى لم أجد لها مثيلًا طيلة عمرى. رأيت نفسى كأننى أعيش فى عالم جديد يصطبغ كل شىء فيه بصبغة اللّه، فلم افكر فى شىء سوى بحالة العشق إلى اللّه، وبمجرّد أن توجهت بالدعاء وإذا بالدموع تنهمر من عينىَّ كالسيل ولكن مع الأسف لم تستمر هذه الحالة عندى سوى عدّة أسابيع، وعندما تغيرت الظروف تبدلت معها تلك الجذبة المعنوية، وليت أنّ تلك الحالة ثابتة حيث إنّ لحظة واحدة منها أثمن من هذا العالم بأجمعه.

وآخر كلام عن آخر مانع!

إنّ أعقد مشكلة فى طريق السالكين إلى اللّه والمسافرين فى طريق الإخلاص والعشق المعنوى، وأخطر مانع يمنع الإنسان من مواصلة طريق الكمال الإلهى، هو التلوث بالشرك والرياء. إنّ الأحاديث الشريفة والمعروفة تورث الإنسان اليقظة وتجعله يغرق فى دوامة التفكير، من قبيل: «إنَّ الشِّرْكَ أَخْفَى مِنْ دَبيبِ النَّمْلِ على صَفْوانَةٍ سَوداء فِى لَيْلَةٍ ظَلْماء» «۱». وكذلك ورد: «هَلَكَ الْعامِلُونَ إلّاالْعابِدُونَ وَهَلَكَ الْعابِدُونَ إلَّا الْعالِمُونَ ... وَهَلَكَ الصَّادِقُونَ إلّاالْمُخْلِصُونَ ... وَإنَّ الْمُوقِنينَ لَعَلى خَطَرٍ عَظيم» «۲». ولكن التمسّك برحمة اللّه العامة والخاصة وكذلك ما توحى به مضامين الآيات الشريفة: «إِنَّهُ لَايَائِسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ» «۳». السيرة المباركة، ص: ۳۰۰ يحيى فى القلوب نور الأمل ويمنح الروح الجافة حياة جديدة وطراوة لطيفة. أجل، فالإخلاص يزيد فى ثواب الانفاق سبعمائة ضعفاً وأكثر ويسقى سنابل الإيمان: «فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ» «۱». عندما ينزل مطر الإخلاص على أرض القلب وبحكم قوله تعالى: «أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ اكُلَهَا ضِعْفَيْنِ» «۲» فانّ ثمرات الإيمان تتضاعف فى واقع الإنسان وتتجلى على سلوكياته وحركاته. ولكن تحصيل ملكة الإخلاص ليس باليسير وان كان الطريق إليه واضحاً ومشرقاً ولكنّ سلوك هذا الطريق تكتنفه الكثير من الصعوبات والمشاكل. فكلما كثرت وازدادت معرفتنا بصفات الجمال والجلال الإلهى وتعمقت فينا معرفة قدرة اللّه تعالى وعلمه فانّ اخلاصنا سيزداد ويشتد تبعاً لذلك. فإذا علمنا أنّ العزّة والذلة بيده تعالى وأنّ مفتاح الخيرات فى كفّه: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكَ تُؤتِى الْمُلْكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» «۳» فلا يبقى مسوغ لخلط العمل بالشرك والرياء، أو التوجه فى طلب حاجاتنا إلى غيره سبحانه، أو طلب العزّة والكرامة من المخلوقين. عندما نعلم أنّ كل مخلوق لا يتمكن من القيام بشىء إلّابإرادته ومشيئته سبحانه وتعالى: «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» «۴» فلا معنى لأن نتوجه بقلوبنا إلى غيره. وعندما نعلم يقيناً أنّه أعلم بنا من أنفسنا ويعلم حركاتنا وسكناتنا: «يَعْلَمُ السيرة المباركة، ص: ۳۰۱ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ» «۱» فسوف نتحرك حينئذٍ من موقع المراقبة والحذر فى كل تصرفاتنا. أجل، إذا آمنا وصدقنا بجميع هذه الامور بكل وجودنا فإنّنا سنعبر من مضيق الإخلاص الصعب والخطر بسلامة بشرط أن نسلِّم أنفسنا إلى اللّه تعالى بعيداً عن بريق الدنيا الخادع: «ربِّ لَا تَكِلْنى الى نَفْسى طَرْفَةَ عَينٍ أَبَداً لاأَقَلَّ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ» «۲». أيّها العزيز! إنّ تفويض الأمر إلى اللّه لا يعنى ترك السعى والحركة فى

خط الحق والإيمان وتهذيب النفس، بل عليك القيام بما يمكنك على مستوى تهذيب وتزكية النفس، وأمّا ما خرج من طاقتك وقدرتك ففوّض أمرك فيه إلى اللّه واعتمد عليه فى جميع حالاتك وليكن ذكرك الدائم فى قلبك وعلى لسانك هو: «إلهى قَوِّ عَلى خِدْمَتِكَ جَوارحى وَاشْدُدْ عَلَى العَزيمَةِ جَوانِحى وَهَبْ لِىَ الجِدَّ فى خَشْيَتِكَ وَالدَّوامَ فِى الْاتِّصالِ بِخِدْمَتِك» «۳». وأخيراً هذا هو طريق النجاة وذلك طريق الغى والانحطاط، فاذا كنت رجل الهمّة فعليك بأن تحزم ثيابك». والحمد للّهرب العالمين.

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم. مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت – علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و... - مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی. - من الأنشطة الواسعة للمرکز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و... د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَی ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلةَ السَّنَةِ المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة" "تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة) رقم التسجیل: ۲۳۷۳ الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مکتب طهرانَ

۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - في حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.


مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩